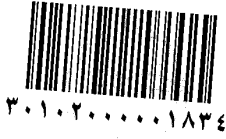


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
فرع الأدب

١ - السيد محمد بن عبد الله
٢ - د. محمد بن عبد الله

عبد المطلب بن عبد الله
صلى الله عليه وسلم



الوصف في شعر عبد الله بن المعتز العنباري

٢٤٧ هـ - ١٦١٠ م - ٢٩٦ هـ - ١٠٨٠ م

رسالة مقدمة لنيذا ورحمة المطالبين
في النهج العربي

إعداد الطالبة

كيلي سألر محمد نور بانبجي

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبد الحكيم حسان



١٤٠٩ هـ / ٢٠١٩ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد لله الذي تم بفضلُه هذا العمل ، وأشكره على جليل نعمائه ، وأسأله تعالى أن يفيض علينا بالخيرات وأن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد .

وبعد :

فأتقدم بحالص الشكر ، وعظيم التقدير والثناء والولاء والوفاء لجامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة الإلتحاق بها لإتمام دراستي العليا ، ثم للعاملين والعاملات بها الذين كانوا يحبرون وسند. وأخص بالشكر والإمتنان كلية اللغة العربية وأساتذتي الأفاضل بها الذين أضاءوا لي طريق العلم والفكر والمعرفة .

ثم شكر وتقدير وامتنان وولاء لأستاذي الفاضل المشرف على البحث الدكتور/عبد الحكيم حسان فقد أمدني بالكثير من علمه وتوجيهاته التي كان لها كبير الأثر في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود . فجزاه الله عني خير الجزاء .

ثم شكر وتقدير وعرقان للجهد الجبارة الصامدة التي شاركتني البحث والتنقيب والجهد وكانت تحتضن متاعبي ، وتشد عزمي ، وتدفعني إلى الأمام : والدي ووالدتي وزوجي وصديقاتي .

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا مكللاً بالرضى والقبول .

المقدمة

الحمد لله الذي يسر لي سبل العلم ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه . والصلاة والسلام على سيدنا محمد معلم البشرية الأول ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فقد كان التخصص في دراسة الأدب العربي ، أمر تطلعت إليه نفسي ، وسعت إليه تحوطني وآمالي وطموحاتي ؛ راجية أن أقف منه جانباً يتيح لي رؤية أوسع وأشمل له ولشخصياته وقضاياها الأدبية والنقدية .

وقد بدأت هذه المسيرة العلمية الشاقة في السنتين المنهجيتين ، ثم أتممتها باختياري موضوع البحث شخصية من بين عمالقة الشعر والبلاغة والنقد في الأدب العربي العباسي ، وهو عبد الله بن المعتز بالله العباسي ، ابن الخليفة العباسي المعتز بالله وحفيد الخليفة العباسي المتوكل .

ويرجع الفضل في اختيار موضوع البحث لأستاذي الجليل الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي ، الذي احتضن البحث في أيامه الأولى . ثم تعهده في مشواره الطويل ، ورعى مسيرته العلمية أستاذي الفاضل الدكتور عبد الحكيم حسان ، فكان خير مرشد ومسدد لخطاه ، وقائل لعثراته . جزى الله أستاذي عني خير الجزاء .

حظيت شخصية ابن المعتز العباسي التاريخية والشعرية والنقدية بالكثير من البحث والدراسة والتحليل ، من قبل مؤرخين ومؤلفين وأدباء . فتناول المؤرخين شخصية عبد الله بن المعتز بين أحداث عصره السياسية ، رجلاً عاش مُعاناة عصره حوادثه وأحداثه ، فسلبته جده المتوكل ، ووالده المعتز ، ثم أعمامه الواحد تلو الآخر . ثم كان هو ضحية جديدة على مسرح أحداث عصره ؛ فقد كان أهلاً للخلافة زمناً ثم أوتيتها فلم يبق فيها سوى يوم ولية ، حتى قُتل شراً قتلة .

(ب)

ثم تناول الدارسون شخصية ابن المعتز الشاعر والناقد وعالم البلاغة ، فكان شاعراً مُبدعاً تأثر بالظروف السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية التي عاشها ، ثم بمخالفة الشعر في عصره والعصور السابقة عليه . من خلال أغراض شعره ، المدح والعتاب والوصف الرثاء والغزل . وقد حصلت على عدد منها :

فكانت الدراسة الأولى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عام ١٩٤٨م - ١٩٥٨م . المتجسمة في كتابه ابن المعتز وراثته في الأدب والنقد والبيان . تناول فيها الكاتب شخصية ابن المعتز الشعرية من جوانبها المختلفة الاجتماعية والفنية ثم تناول منها جانب التأثير والتأثير .

ثم صدرت دراسة أخرى للأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز الكفراوي سنة ١٩٥٧م في كتابه عبد الله بن المعتز العبّاسي حياته وإنتاجه ، تحدث فيه عن شخصية الشاعر في عصره ، وأثره على شعره .

وتخللت الدراستين السابقتين قصة تاريخية لخلافة ابن المعتز وما أحاط بها من أحداث للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل عام ١٩٥١م أسماها يوم وليلة .

ثم في عام ١٩٦٤م ، وفي سلسلة أعلام العرب (٣٦) ، أصدر الدكتور أحمد كمال زكي دراسة تاريخية قصصية ، وترجمة لشخصية ابن المعتز العبّاسي العالم والناقد والشاعر من خلال عصره ، وأحداث حياته . حاول خلال ذلك أن يرسم ملامح واضحة لهذه الشخصية كما شكّلتها الأحداث والأيام .

وفي سلسلة ذخائر العرب (٥٤) أصدر الدكتور محمد بديع شريف ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العبّاسي في عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م في جزئين وصدر للجزء الأول بدراسة للشاعر وعصره وأغراض شعره في مائتين وخمسة عشرة صفحة من الجزء الأول .

ثم جمع الدكتور يونس السامرائي شعر ابن المعتز ، وحققه من خلال مخطوطة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عام ١٩٧٨م في ثلاثة أجزاء ، كان الجزء الأول دراسة للشاعر وعصره وشعره ، والجزءان الآخران أورد فيهما أغراض الشعر المختلفة التي تناولها ابن المعتز . وكان هو المصدر الأول الذي اعتمدت عليه في دراستي لشعر الوصف ، واستخلاص نماذج الشعرية المناسبة منه ، التي عرضتها أثناء الدراسة .

ثم كانت آخر دراسة الدكتور سعد إسماعيل شلبي عن ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، وآثاره في عام ١٩٨١م - ١٤٠١هـ .

ثم طالعتني دراسة للدكتور عبد الفتاح التطاوي ، بعنوان : قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية . وهي عبارة عن دراسة تطبيقية في شعر البحري وابن المعتز عام ١٩٨١م .

وأخيراً يأتي هذا البحث الذي يتناول بجانب الإبداع الشعري في شعر الوصف عند عبد الله بن المعتز ، وهو أول دراسة كاملة لغرض من أغراض شعره .

ومنهجي في البحث تناول الوصف في شعر ابن المعتز بأغراض الطبيعة والحمر والصيد ، كما عُرف في الشعر العربي .

فأستقرت شعر الشاعر ، واستخرجت منه خصائصه الفنية المتصلة بالصورة في الوصف ، ثم الخصائص الأسلوبية له ، وعرضت خلال ذلك نماذج من شعره ، تتضح فيها الخصائص السابقة ، واقتصر اختياري على أبرزها ، وأوضحها دلالة على ما ذكرت .

أما مخطتي في البحث فقد رتبته (بعد المقدمة) إلى أربعة أبواب . وكان الباب الأول : الوصف .. وقد ضم هذا الباب فصلين هما :

الفصل الأول : تناولت فيه تعريف الوصف منذ العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي ؛
متناولة أشهر شعرائه ، وأثر كل منهم على هذا العَرَض .

الفصل الثاني : أبواب الوصف عند ابن المعتز — الطبيعة والخمر والصيد ، منهجه في
الوصف ومعانيه وصوره ، ومكانه بين شعراء الوصف .

أما الباب الثاني : فهو دراسة فنية نقدية لشعر ابن المعتز في الوصف ، ويحتوي على
ثمانية فصول :

الفصل الأول : التعمق في الصورة ، أبعادها ومداهها .

الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة ، والإحاطة بها .

الفصل الثالث : التشخيص ومدى ربط الصور بخصائص الإنسان .

الفصل الرابع : الخيال التركيبي ، وإيضاح التحليل والتركيب في الصورة .

الفصل الخامس : تكثيف الصور لموصوف واحد ، وأثرها على الصورة .

الفصل السادس : الجانب النفسي في الصورة ، وأثره عليها .

الفصل السابع : التعرف على الدلالات الحركية في الصورة .

الفصل الثامن : ضعف التصوير في شعر الوصف .

والباب الثالث : دراسة أسلوب الوصف عند ابن المعتز — وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : لُغته الشِّعرية .

الفصل الثاني : الصِّغَة في شِعره .

الفصل الثالث : مُوسيقى شِعر الوَصف وأوزانه عند ابن المعتز .

أما الباب الرابع والأخير : فعن مَوقف العُلَماء والنُقّاد والدّارسين من شِعر الوَصف عند عبد الله بن المعتز — وفيه فصلان :

الفصل الأول : مَوقف العُلَماء والنُقّاد القُدّامى من شِعر الوَصف عند ابن المعتز .

الفصل الثاني : مَوقف العُلَماء والنُقّاد والدّارسين المحدثين من شِعر الوَصف .

ثم الخاتمة وتحتوي على نتائج البَحث .

ثم المَصّادر والمراجِع ، والفهرس .

وقد بذلت في بَحثي هذا غايةَ جَهدِي ، وأخاضت فيه لله قَصدِي فما فيه من خَير بتوفيق الله وحده ، وما فيه من خَطأ فمن قُصوري لا تَقصيري ، ومن عَجْزي لا تَقْريطي .

أحمدُه تعالى ، وأشكرُه على نِعَمائِه التي لا تُحصى ، وأن أعانَني على إتمامِ بَحثي وأسألُه أن يجعلَ عَملي هذا خالِصاً لوجهه الكَريم ، وأن يَجْزي عني خَير الجزاء ، كُل من أعانَني فيه ، وسَدَد خُطاي ، وأن يوفِّقني إلى مُواصلَة مَسيرَة العِلم ، ومُواكَبَة رحلَة الفِكر ، إنه على كُل شيء قَدِير .



الباب الأول

الوصف

وفيه فصلان

الفصل الأول: تعريف الوصف وظهوره منذ العصر الجاهلي

والعصر العباسي

الفصل الثاني: أبواب الوصف عند عبد الله بن المعتز

الطبيعة والحمر والصيد.

الفصل الأول: تعريف الوصف وظهوره منذ العصر الجاهلي
والعصر العباسي

الفصل الأول

تعريف الوصف وتطوره

منذ العصر الجاهلي وإلى العصر العباسي

تناول عبد الله بن المعتز العباسي^(١) في شعره الأغراض المختلفة : من مدح وفخر وهجاء ورتاء وتهاني وعتاب وغزل ووصف ، فكان شعره ملامح من حياته وحياة عصره النيابية والاجتماعية .

(١) وُلد أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد بن المهدي بن المتصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم في سامرا حاضرة الخلافة العباسية ، وأختلف في سنة مولده والمرجح أنه وُلد لسبع بقين من شعبان سنة سبع وأربعين ومائتين (٨٦١ م) . كان شاعراً مطبقاً فصيحاً بليغاً مطبقاً ، كان أديباً بليغاً وشاعراً مطبوعاً قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة ، حسن الإبداع للمعاني مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً من جملتهم . عاصر الشاعر عشر خلفاء هم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي والعتصم ثم الموفق والعتضد والمكفسي ثم المتصدر ، وكانوا جميعاً بين جد له ووالد وعم وابن عم .

ولم تذكر كتب التاريخ الكثير عن نشأته وحياته في طفولته ، إلا إننا نستطيع أن ندرك ما يمكن أن يحظى به هذا الطفل الذي وُلد وتربى في قصور الخلفاء . وصادف في طفولته الأولى خلافة أبيه المعتز بالله الذي أحبه وأولاه العناية والإهتمام .

وبالإضافة إلى الترف والنعيم الذي عاش فيه ، وما أحاط به من مظاهر الثراء والجمال والأبهة مما كانت تزخر به قصور الخلفاء من الفرش والرياش ، وفنون العمارة والزخارف هناك العلوم والمعارف واللوان الثقافة التي أخذها عن علماء عصره والمتقدمين منهم الميرد ، ومحمد بن هبيرة ، ومن أساتذته أبو علي الحسن بن علي العنزي ، وثعلب . ويذكر الصولي في الأوراق أن عبد الله بن المعتز سمع من أحمد بن أبي قنن . ومن قام على تأديته أيضاً البلاذري ، وأحمد بن سعيد الدمشقي ، وكان محمد بن زياد الضنبي قد رعاه بالتعليم في حياة أبيه ، وكانت دار ابن المعتز مجتمعاً لأهل الأدب ، وكانت جماعة منهم يجلسون إليه فيها . وورد نص في الأغاني يدل على حُسن بحلم عبد الله بن المعتز بصناعة الموسيقى والكلام على النغم ، وأنَّ له في ذلك كتباً مشهورة - مثل الجامع في الغناء - ومراسلات جرت بينه وبين عبید الله بن طاهر وبين بني حمون وغيرهم .

ويذكرون له عدة مؤلفات هي : كتاب الزهر والرياض ، ومكاتبات الإخوان بالشعر ، وكتاب أشعار الملوك ، وحلي الأخبار ، والجامع في الغناء ، والسرقات والجوارح والصيد ، وكتاب الآداب ، وطبقات =

ومن الأغراض التي برع فيها : وصف الطبيعة والخمر والطررد . وقد شهد له بهذا التفوق والسبق والإجادة كثير من العلماء والنقاد قدامى ومحدثين . وقد أوردوا شواهد ونماذج من شعره تدل على تفوقه في هذا الغرض ، واختاروا من شعره شواهد تُعرض في الدرس البلاغي على حُسن

الشعراء ، وكتاب في ذم الصبوح وهي أرجوزة ، وكتاب فصول وتمثيل في تباشير السرور ، ثم كتاب البديع الذي تناول فيه ابن المعتز علوم البلاغة ، وكان له أثر في النقد والبلاغة فيما بعد .

أما قصة مقتله فهي مشهورة لغرابة أحداثها . فبعد وفاة المكلفي يُبوع بالخلافة لأخيه المعتز — بعد أن اختاره المكلفي لها — وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، ثم انشغل بجاريته ظلوم ، وأصبحت الأمور بأيدي نساء القصر ؛ فوجدت حركة عند آل الجراح ، واتضم إليهم الحسين بن حمدان ، ومحمد بن سعيد الأزرق الأنباري كاتب الجيش ، وبُدر الأعجمي ، ووصيف بن صوار تكين لخلع المقتدر بالله ، وتولية ابن المعتز ، فهو أحق بالخلافة وأقدر عليها ، وأجابههم على أنه لا يُسْفِك ذم . وكان المقتدر قد خرج يلعب بالصولجان فقصده إليه الحسن بن حمدان يريد أن يفتك به ، فلما سمع الصيحة بادر إلى دار الخلافة ، فأغلقها دون الجيش ، واجتمع الأمراء والأعيان والقضاة في دار المحرمي ؛ فبايعوا عبد الله بن المعتز ، وخطب بالخلافة ، ولُقب بالمرتضي بالله ، وقال الصولي : إنما لقبوه المنتصف بالله ، واستوزر أبا عبيد الله محمد بن داود ، وبعث إلى المقتدر ، يأمره بالتحول عن دار الخلافة إلى دار ابن طاهر ؛ لينتقل إليها ، فأجابه بالسمع والطاعة ، فركب الحسن بن حمدان من الغد إلى دار الخلافة ليتسلسلها ؛ فقاتله الخدم ومن فيها ولم يسلموها إليه وهزموه ... ثم ارتحل من فوره إلى الموصل ، وتفترق نظام ابن المعتز وجماعته ، فأراد ابن المعتز أن يتحول إلى سامراء لينزل بها ؛ فدخل دار ابن الجصاص التاجر الجوهري ، فأستجار به فأجاره ، ... وبعث المقتدر إلى أصحاب ابن المعتز فقبض عليهم ، وقتل أكثرهم ، وأعاد ابن الفرات إلى الوزارة ، فجدد البيعة إلى المقتدر ، وأحضر ابن المعتز وابن الجصاص ؛ فصادر ابن الجصاص مجال جزيل نحو ستة عشر ألف درهم ، ثم أطلقه واعتقل ابن المعتز فلما دخل في ربيع الآخر ليلتان ظهر للناس موته وأخرجت جثته فسُلِّمت إلى أهله فدفن ، وصفح المقتدر عن بقية من سعى في هذه الفتنة حتى لا تفسد نيات الناس .

فمكث عبد الله بن المعتز في الخلافة يوم وليلة ، قُتل بعدها ، وطار خبره هنا وهناك ، وتناقل المؤرخون للسياسة خبرة ، كما تناقله المؤرخون للأدب والشعر ، والدارسون له .

وقلة أخباره ، وعدم توفر المصادر الكافية عن أحداث حياته ليست هي المشكلة الوحيدة التي تواجه الباحث عن ترجمة وافية لابن المعتز ، بل هناك الإختلاف في عام مولده ، والإختلاف في أمر زواجه ، ثم إختلافهم في إنجابهم للأولاد .

التشبيه وروعته وبراعة الاستعارة^(١)، ومهارة الشاعر في استغلال الظواهر المتشابهة والبعيدة .

= وكان لأحداث عصره، والظروف التي مرت به وبأسرته، والسوء الذي لحق بأفراد منهم أثر بعيد في نفسه، وشعره، وكان أكثر بني العباس أدباً وعلماً، ومن أشعر شعراء عصره .
انظر :

— أبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) كتاب الأغانى ، مصور عن طبعة دار الكتب ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م ، ج ١٠ ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

— عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، كتاب الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت . ١٣٩٨ هـ - ١٩٨٧ م ، الجزء السادس ، ص ١٢١ — ١٢٢ .

— ابن تحلکان (ت ٦٨١ هـ) كتاب وفیات الأعميان ، حققه الدكتور إختان عباس . دار صادر ، بيروت . المجلد الثالث ، ص ٧٦ .

— الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، كتاب البداية والنهاية ، تحقيق دكتور أحمد أبو مليح وآخرون ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م دار الكتب العلمية — بيروت ، لبنان ، المجلد السادس ، الجزء الحادي عشر ، ص ١١٤ وما بعدها .

— الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، كتاب تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، ص ٣٥٠ — ٣٥١ .

— دائرة المعارف الإسلامية ، أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها إبراهيم زكي خورشيد ، وآخرون تحت رعاية الاتحاد الدولي للمجامع العلمية ، الشعب ، ج ١ . ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

— الدكتور أحمد كمال زكي ، كتاب ابن المعتز العنبري ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة من سلسلة أعلام العرب ٣٦ — ص ١٣٧ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

— أبو بكر محمد بن يحيى الضولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق الدكتور يونس السامرائي ، سلسلة كتب التراث (٦٧) وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، القسم الثاني ، الدراسة ص ٢٧ — ٣٠ — ٥٧ — ٩٦ .

(١) أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق الدكتور مفيد قميحة ، الطبعة الأولى عام ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م . الناشر دار الكتب العالمية — بيروت — لبنان ، ص ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٤ .

وانظر كذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ — ١٠٧٨ م) ، كتاب أسرار البلاغة ، شرح محمد عبد النعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٩ — ١٩٧٩ م . الناشر مكتبة القاهرة . ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٦٢ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٥ ، ٨٦ .

والوصف من الأغراض التقليدية المتجددة تُعبّر بها الفطرة الإنسانية عما تريد أن تنقله وما مرّ بخيرتها ، فهو وسيلة متطورة لدى الأمم لتقل أحاسيسها وانطباعاتها تجاه ما حولها .

ومع أنّ معظم الشعراء قد تناول هذا الموضوع ، إلا أنهم يتفاوتون في مراتبهم وأقدارهم فيه ، بل وفي أبوابه ، فمنهم من برع في وصف الطبيعة حية وجامدة بيساتينها ورياضها وأشجارها ، وأزهارها وأرضها وسماؤها ، ومنهم من برع في وصف الخمر لونها وطعمها وأوانها وعصرها وشاربها وساقبها ، والبعض الآخر برع في الطرد ، فوصف حيوانه من خيل و كلاب وصقور ، والآتة من نبال وقسي وحبال ، ثم الحيوانات المصطادة نفسها كالحمام والبط وغيرها .

وقد عُرف الوصف^(١) منذ عُرف الشعر العربي ، بل هناك من يقول أن الشعر العربي كله إلا أقله من باب الوصف^(٢) ؛ فيدخلون الغزل والمدح والفخر وغيرها من الأغراض في دائرة الوصف على اعتبار وصف الإنفعال والشعور . ثم تطور الوصف مع تطور الشعر ، وتعرض للمؤثرات المختلفة في العصور الأدبية المتعاقبة .

« والوصف جزء طبيعي من منطق الإنسان ، لأن النفس محتاجة من أصل الفطرة إلى ما يكشف لها من الموجودات ، وما يكشف للموجودات منها ، ولا يكون ذلك إلا بتمثل الحقيقة ، وتأديتها إلى التصور في طريق من طريق السمع والبصر والفؤاد »^(٣) .

(١) ، والوصف في اللغة : الكشف والإظهار ... ونقول : « وَصَفْتُهُ وَصْفًا وَصِيفَةً ، وَهُوَ أَوْصَيْتُ وَصِيفَاتٍ وَصِيفَاتٍ حَسَنَةً . وَتَوَاصَفُوا بِالكَرَمِ ، وَهُوَ تَوَاصَفٌ وَمَتَوَاصَفٌ وَمَتَّصِفٌ ؛ قَالَ طَرَفَةُ :
إِنِّي كَفَيْتُ مِنْ أَمْرِ هَمَّتْ بِهِ جَارٌ كَجَارِ الْخُذَاقِيِّ الَّذِي اتَّصَفَا
الْخُذَاقِي : أَبُو دُوَادِ الْإِيَادِي وَقَدْ اتَّصَفَ جَارُهُ أَي صَارَ مَنَعُوتًا مَتَوَاصِفًا بَيْنَ الْعَرَبِ مَمْدُحًا . وَوَأَصَفْتُهُ الشَّيْءَ
وَمَوَاصَفَةً (الإمام جلال الله الزمخشري ، كتاب أساس البلاغة ، طبعة عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . الناشر :
دار صادر ، بيروت ، ص ٦٧٨ .

(٢) ابن رشيقي القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) . كتاب العُمنة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م . الناشر دار الجليل ، بيروت ، لبنان ، ص ٢٩٤ .

(٣) مصطفى صادق الرافعي ، كتاب تاريخ آداب العرب ، ج ٣ ، الطبعة الثانية ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .
ص ١١٩ ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان . ص ١١٩

فكان قدرة الشاعر على نقل الصفة بما يبرزها بخصائصها للقارئ ، ثم درجة النقل دليل على تفوق الشاعر وبراعته ، ومدى دقته في نقل الصفة تجعله يتبوأ مكانة بين شعراء الوصف . ومما يؤكد ذلك قولهم في الوصف أيضاً « أحسن الوصف ما نُعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع »^(١) .

وللرافعي رأي في منزلة الوصف من العلم ويستشهد على ذلك برأي للجاحظ في أشعار العرب التي تناولت شيئاً من صفات الحيوان الواردة في كتب العلم . يقول الرافعي : « وهي الطريقة التي اتبعها العرب في أوصافهم بدلالة الفطرة القوية ، والطبيعة الراقية ، وقد كان سبباً في تطبيقهم وصف الحيوان والنبات ، وغيرهما على علومهم ومعارفهم التي خلدوها بذلك في أشعارهم ؛ لأن أخص مزايا العلم التدقيق والاستقصاء حتى قال الجاحظ : كل معنى سمعته في باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه في كتب الأطباء والمتكلمين إلا ونحن قد وجدنا قريباً منه في أشعار العرب والأعراب »^(٢) ، انتهى .

ولما كان الوصف يعني القدرة على استقصاء معاني الموصوف « كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من ضروب المعاني ، وكان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها ، ثم بأظهرها فيه وأولهاها به ، حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته »^(٣) .

هذا المقياس القديم يتسم بالسطحية في الحكم على ظاهرة الوصف إذ أنه لا يقيس مدى ارتباطه بالحس الشعري وبأفكار الشاعر وخيالاته ، بل وارتباط الموضوع في الوصف بنفسية الشاعر ، ويذكر ابن رشيق تفاضل الناس في الأوصاف ، فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ، ومنهم من يجيد الأوصاف كلها ، وإن غلبت عليه الإجابة في بعضها ، ثم يذكر ابن المعتز وأنه من المتصرفين الجيدين للأوصاف ، ثم أشار إلى جيميته^(٤)

(١) ابن رشيق القيرواني ، كتاب العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٢) كتاب تاريخ آداب العرب ، ج ٣ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٣) ابن رشيق القيرواني ، كتاب العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

(٤) انظر كتاب العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ .

وحين أورد ابن رشيقي شعراء اشتهروا في وصف أشياء بعينها ذكر « أما نَعَات الخيل فامرؤ القيس ، وأبو دؤاد^(١) ، وطُقَيْل الغَنَوِي^(٢) ، والنابغة الجعدي^(٣) ، وأما نَعَات الإبل فَطَرْفَة في معلقته من أفضلهم ، وأوس بن حَجْر^(٤) ، وكعب بن زهير ، والشماخ^(٥) ، وأكثر القدماء يجيد وصفها ؛ لأنها مراكهم ، ... وكان عُبيد بن حُصَيْن الراعي التميمي^(٦) أوصَف الناس للإبل ،

(١) أبو داود الإبادي : شاعر قديم من شعراء الجاهلية ، وكان وصافاً للخيل ، وأكثر أشعاره في وصفها ، وله في غير وصفها تصرُّف بين مدح وفخر وغير ذلك إلا أن شعره في وصف الفرس أكثر (أبو الفرج الأصبهاني ، كتاب الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٢٧٣ - ٢٨١) .

(٢) طفيل بن عوف الغنوي : شاعر جاهلي من الشعراء المعلومين ، يزعم الأصمعي أنه أقدم من النابغة وهو ثالث الشعراء الوصافين للخيل ، ولقب بالمخير لشهرته بذلك (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب الغربي ، ج ١ ، ص ١١٩ - ١٢٠) .

(٣) النابغة الجعدي : هو أبو ليلي حسان بن قيس بن جعده بن كعب بن ربيعة بن صعصعة ، كان الجعدي أسن من نابغة بني ذبيان .. طويل البقاء في الجاهلية والإسلام ، وفنون شعره المشهورة : المدح والهجاء والوصف ، وكان من أوصف الناس للفرس (أبو فرج الأصبهاني ، كِتَابُ الأَغَانِي ج ٥ ، ص ١ - ٢٣) .

(٤) أوس بن حجر التميمي : كان معاصراً لعمر بن هند ملك الحيرة ، وقتل أبوه يوم الحجاز سنة ٥٥٤م ، وكان مولده بالبحرين . وطاف بشعره ومدائحه في نجد والعراق ، حيث نادى ملوك الحيرة . وكان زهير المشهور ربيعة وراويته . ونالت أشعاره شهرة في وصف الصيد والسلاح . (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ١١٢ - ١١٣) .

(٥) شماخ بن ضرار الديباني . كان معاصراً للحطيئة ، ويروى أن الحطيئة كان يعده أشعر بني غطفان . وضع محمد بن سلام الجمحي شماخ في الطبقة الثالثة من طبقات الشعراء . مع أبي ذؤيب والنابغة وليد . وأشتهر شماخ بوصف القوس وحمار الوحش ، كما تفوق في شعر الإرتجال والرجز . (كارل بروكلمان ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، ج ١ ، ص ١٧٠) .

(٦) عبيد بن حصين الراعي التميمي : لقب براعي الإبل لكثرة وصفه للإبل .. ولجودة ذلك الوصف ، وكان شاعراً فحلاً يسلك النهج القديم ، وقد جعله ابن سلام في الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين .. أما فنونه فالهجاء والمدح ووصف الإبل ، وكانت وفاته سنة ٩٠هـ (عُمر فروخ ، كتاب تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ج ١ ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦) .

ولذلك سمّي راعياً ، وأما الحمر الوحشية والقيسي فأوصف الناس لها الشماخ ، شهد له بذلك الحطينة والفرزدق ، وهذان يجيدان صفات الخيل والقيسي أيضاً والنبل ، وأما الحمر فمن أوصاف الأعشى ، والأخطل^(١) ، وأبي نواس^(٢) ، وابن المعتز ، ولأبي نواس أيضاً وابن المعتز الصيد والطرْد «^(٣)» . انتهى .

فإجادة ابن المعتز لفن وصف الحمر والصيد جعل ابن رشيق يلحقه بشعرائها الأوائل . فابن المعتز في المرتبة الرابعة من شعراء الحمر ، وهو أيضاً مع أبي نواس في الصيد والطرْد .

وهذا القول وثيقة تاريخية نقدية نضعها في اعتبارنا ونحن ندرس الوصف في شعر ابن المعتز . ثم يبقى تتبع هذه الظاهرة — الوصف — ومعرفة مكانها من الظواهر المشابهة عند غيره من الشعراء في عصره والعصور السابقة عليه ما أمكن ذلك .

وبما قيل في هذا الصدد أيضاً « لا يُذكر مع أمريء القيس في منزله من اختراع التشبيه إلا ابن المعتز »^(٤) .

واختراع التشبيه معناه إبداع الشاعر في الصورة الشعرية في مجال الوصف وابتكاره لها حتى أصبحت سمة مميزة جعلته يُشبهه شاعر العربية الأول إمراً القيس ، مع محافظته على لغة الوصف القديم .

وأحسن الوصف عند الرافعي ، هو ما يخرج عن علم ، وصرّفته روعة العجب ؛ ليخرج في أكمل صورة وأروعها يقول : « وإن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج من علم وصرّفته روعة العجب ، فإن العلم يُعطي مادة الحقيقة ، والعجب يُكسبها صورة المبالغة الشعرية »^(٥) .

(١) انظر ترجمة الأخطل ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) انظر ترجمة أبي نواس ص ١٧ من هذا البحث .

(٣) ابن رشيق القيرواني ، كتاب العُمد ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٤) مصطفى صادق الرافعي ، كتاب تاريخ آداب العرب ، ج ٣ ، ص ١٢٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢١ .

وإذا أردت أن أتبع الوصف في العصور الأدبية المختلفة ، فإن الشعر الجاهلي صورة صادقة ودقيقة للبيئة الساذجة ، وهو : « سجل أو شريط واضح جلي ، تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية ، كأنها تجري في حقيقة الواقع ، وليست توصف في الحروف والألفاظ ، عبر الذهن . فهو يضعنا وجهاً لوجه أمام معالمها ، كأننا نعيش في قلبها ، ولسنا نتخيلها تخيلاً ، أو نفترضها افتراضاً . ويكاد الجاهلي لا يدع حيواناً أو مشهداً دون أن يصوره . لقد ذكر الفرس والأرابد والحمر الوحشية ، والعقاب والذئب ، فضلاً عن الصقر والقطاة ، كما أنه تصدى لوصف الحيات والأفاعي . هذا في الحيوان ، أما في الطبيعة الساكنة فقد عرض لها بقسم وافر من شعره ، خاصة تلك المظاهر التي كان لها تأثير مباشر في حياته ، كاللطلل والصحراء والبرد والليل ... والواقع أن القصيدة الجاهلية تختلف إلى مواضيع متعددة ، لكنها تتردد في الغالب على بعض المواضيع أكثر من سواها ، أو من دونها . وقد كان الطل أهم تلك الموضوعات ، لما له من علاقة مباشرة بوجدان الشاعر ، وتنازعه مع ميوله وعواطفه ، ولما يستثيره في نفسه »^(١)

أما الوصف في العصر الأموي فهو : « وصف متعزل ، ظل يعيش في خاطر الصحراء بعيداً عن الرياض والجنان وأنه ظل يتولى المواضيع والمعاني والصور القديمة ، يتطور بها بعض التطور ويخلع عليها الجدة من نفسيته ، لكنه لم يتحول عنها إلى البيئة الجديدة المترفة التي نعم بها . وإذا تمثلنا الحقبة التي تفصل بين الأخطل وذي الرمة (٦٤٠ - ٧١٠) (٦٩٧ - ٧٣٦) نتحقق ان الوصف كان ينزع إلى التجريد والصور المعنوية الوجدانية ، تلك الصفات التي ستغلب على الوصف في الشعر العباسي »^(٢) .

ويذكر الدكتور مصطفى هدارة منهج الوصف في القرن الثاني الهجري فهو يتسم بالشمول والاستقصاء والسخرية أحياناً والفكاهة أو المجون أحياناً أخرى . يقول : « أن الوصف كان من فنون الشعر التي تجددت بالفعل في القرن الثاني واتسعت دائرتها إلى حد بعيد في وصف الماديات والمعنويات على السواء ، ووصف المحسوس وغير المحسوس ، وأن مظاهر الحضارة الجديدة قد

(١) إيليا الحايي ، كتاب فن الوصف وتطوره في الشعر العربي ، الفنون الأدبية عند العرب (١) ، الطبعة الثالثة

١٩٨٠ م ، الناشر دار الكتاب اللبناني - بيروت ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

انعكست بأجلى صورها وأدق جزئياتها في شعر هذا القرن ، كما اتخذ الموصف ألواناً كثيرة ، منها شمول النظرة والاستقصاء ، والميل إلى السخرية والفكاهة والنزوع إلى المجون أحياناً . يضاف إلى ذلك تطور شعر الطبيعة تطوراً ظاهراً ، فبعد أن كان وصفاً تقليدياً يصور الجانب العنيف من الطبيعة أو الجانب الوحشي ، أصبح وصفاً وجدانياً يصور جميع نواحيها وبخاصة الرقيق الباسم « (١) » .

فالوصف أصبح أكثر ارتباطاً بالوجدان حين يتناول الطبيعة الهادئة ومظاهرها المختلفة .

وقد أغرم الشعراء العباسيون بمظاهر الحضارة المادية الأخرى ، فوصفوا القصور والقباب ، والقوارات ، والرياض ، والبساتين ، والأزهار ، ومظاهر الحضارة المادية الأخرى ، فوصفوا داخل القصور والبيوت ، وما تحويه من أثاث ورياش ، وكذلك وصفوا وسائل الثقافة في عصرهم من أقلام وأوراق وغيرها .

فوصف علي بن الجهم (٢) أحد قصور المتوكل ، ووصف البحتري إيوان كسرى (٣) ، ووصف الصنوبري (٤) الرياض والأزهار ، حتى عُرف بشاعر الروضيات .

(١) كتاب اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، مكتبة الدراسات الأدبية (٢٩) الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف ، ص ٤٦٦ .

(٢) علي بن الجهم بن بدر ، السامي الشاعر . جيد الشعر ، عالماً بفنونه ، وله اختصاص بجمع المتوكل ، نادمه زمنياً ، توفي سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م (أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٠٦ - ٢١٩) .

(٣) الحافظ البغدادي ، ت ٥٤٦٣ / كتاب تاريخ بغداد ، الناشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة ، ج ١١ ، ص ٣٦٧ .

(٤) انظر ديوان البحتري (ت ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ هـ) ، الناشر دار صادر ، المجلد الأول ، ص ١٩٠ - ١٩٤ .

(٤) أحمد بن محمد بن الحسن الضبي الصنوبري . لقبه « الصنوبري » توفي سنة ٣٣٤ هـ ، ٩٤٥ م . وله ديوان جمعه الصولي في نحو ٢٠٠ ورقة ، وأكثر شعره في وصف الطبيعة يسجل ظاهراتها ، تسجيل فن ودقة ثم يخرج تلك الظاهرات إخراجاً فنياً حافلاً بالحياة والحركة واشتهرت روضياته كما اشتهرت خمريات أبي نواس (الدكتور شوقي ضيف ، كتاب الأدب العربي - ٤ - ، العصر العباسي الثاني ، الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف ، ص ٢٤٧ - ٢٦٨) .

وافتنّ الشعراء في كل ذلك وأبدعوا ، وجاءوا بالجديد والطريف ، وأصبح وصف الطبيعة في قصيدة المدح العباسية ركناً هاماً من أركان معنى المديح فيها ؛ فيورده الشاعر « تمهيداً لثناء على المدوح ، وهناك يتحرى الشاعر أن يصف من الطبيعة ظواهر بعينها ، كالبرق والسحاب والأمطار التي تجود على الأرض فتحبها التماساً للحديث عن فضل المدوح وجوده ، وعن نعمة الحياة في ظل حكمه »^(١) .

ولم تكن معاني المديح وحدها المعتسدة على الطبيعة وأوصافها بل أصبحت عناصر الطبيعة تحتل مكاناً في مقدمات القصائد بدلاً من الأطلال والحديث عنها أو وصفها عند الوقوف عليها

« والشاعر العباسي كان يحتفظ أحياناً في مقدمات مدائحه بوصف الصحراء وأحياناً يتركها إلى وصف الطبيعة في الحاضرة ببساتينها ورياحينها ، وقد أخذ يخص هذه الطبيعة بمقطوعات وقصائد كثيرة ، بحيث أصبحت موضوعاً جديداً واسعاً ، وكان يمزج نشوته بها في بعض الأحيان بنشوة الحب أو نشوة الخمر وسماع القيان ، وفي كثير من الأحيان كان يقف عند تصوير فنته بها وبورودها ورياحينها »^(٢) .

وكان للفلسفة والمنطق وعلم الكلام والجدل ، ثم لاتجاه الصنعة أثر على الشعر العباسي عامة ، ثم الوصف خاصة ؛ فظهر التعمق في المعاني والصور ، ولم يُعدّ الجناس تركيبات صوتية متأنلة ، ولا الطباق معاني ذهنية متقابلة ، بل اتخذت داخل صور لها أعماق وأبعاد ؛ فأورث ذلك بعضهم الغموض الفني ، والبعض الآخر التعقيد المعنوي . « ولعل أهم خاصة من خصائص

(١) الدكتور عز الدين اسماعيل ، كتاب الشعر العباسي الرؤية والفن ، ١٩٨٠ م ، الناشر دار المعارف ، ص ٤٠٢ .

وانظر كذلك : د. شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الثاني ، ص ٢٣٢ .

(٢) الدكتور شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الأول ، الطبعة السابعة ، ١٩٦٦ م ، دار المعارف ، ص ١٨٤ .

الوصف في الشعر العباسي هي خاصة التعقيد . فالشاعر لم يعد يسبغ المعاني البسيطة المنفردة ، والصور القرية المتناول ، والتشايه الدنيّة اليسيرة ، بل نراه يُمزج المعاني ، ويمخّذ في سترها وطلاتها بمتراجاً في ذلك بين النزعة الفلسفية التي تظهر في شعر أبي تمام ، والنزعة البديعيّة المسرفة ، كما ظهرت في شعر مسلم بن الوليد ، أو تأثير علم الكلام والجدل كما في شعر ابن الرومي . وهناك ، أيضاً المواضيع التي ألمّ بها الشاعر العباسي ، وقد اختلفت غاية الاختلاف عن المواضيع التي كان يلمّ بها الشاعر في الوصف الأموي والجاهلي : إلا أن اختلاف المواضيع لا يعدو أن يكون اختلافاً خارجياً ، لأن قيمة للتطور الداخلي تظهر في روح الأسلوب ، وطبيعة الصورة الفنية . ومن هذا القبيل ، يتبيّن لنا أن الوصف العباسي تميز بمخائص جديدة ، تمثلت في قدرة الشاعر على التجريد وتداول المعاني كصور ، وانكشاف على عالم الضمير ، وما يتّموّج فيه من ظلال وأشعة شعورية . بيد أن البديع أغوى الشعراء العباسيين ، بالزخرف والأصباغ ، فأصبح الغاعر يلتفت إلى الخارج ، مفتشاً عن الحروف المتجانسة ، والمعاني المتطابقة ، والصور المتناقضة وما إلى ذلك من أساليب خارجية تستثير بالغرابة والدهشة أو تُوهم بالعمق والجذّة لما تشتمل عليه من تعقيد وازدواج وتردد «^(١)» .

ومن خصائص الشعر العباسي عامة والوصف خاصة « استقلال القصيدة وترباطها بوحدة متطورة محكمة ، فضلاً عن توازن التشبيه وتناسبه كجزء في القصيدة »^(٢) .

وارتفعت نبرة الوجدان في الوصف العباسي ، وأكثر الشعراء من التشخيص لإبراز الطبيعة في صورة أوضح وأقرب للإحساس بالمعاني . أما النزعة الوجدانية « هي التعبير عن الأشياء من خلال الواقع الذاتي فقد تردد بها الوصف العباسي ، وجعلت تصفو ، كما في قصائد البحتري وابن الرومي ، وأحياناً أخرى ، فقد كانت تتجهم ، وتجنّف ، ويعروها الانكماش خاصة عندما تستبدّ بها نزعة التشخيص ، لاقتناص الشبه بين الحالات الإنسانية والمظاهر الطبيعية »^(٣) .



(١) إيليا الحاروي في كتابه فن الوصف ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

ويضيف الدكتور هدارة إلى وصف الطبيعة شعر الطرد ووصف الخمر ، وإن أصبح كلُّ منهما فناً مستقلاً رئيسياً من فنون الشعر العربي^(١) .

ويذكر الدكتور مخلوف أن صاحب الحماسة (أبا تمام) عرض لفن الوصف فلم يزد على أن ذكر له ثلاثة نماذج ، مجموع أبياتها سبعة عشر بيتاً التموذج الأول للبعث الحنفي ، وموضوعه الناقة ، والثاني لعنترة بن الأخرس في أرقم ، والثالث للمحمة الجرمي في السحاب والبرق^(٢)

ونخلص إلى أن الوصف نقل للموصوفات عن طريق إحساس الشاعر بها كشكل أو هيئة أو لون ، استثار خياله ووجدانه فيلمُّ بأحوالها — أي الموصوفات — بأكبر قدر ممكن ، وهنا تكون الإجابة .

ويتفاوت الشعراء في مقدار براعتهم وإبداعهم في نقل الموصوف ثم امتزاجه بمشاعرهم ، واثارته لإحساس القارئ به .



(١) اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص ٤٧٤ .

(٢) انظر ديوان الحماسة ، شرح العلامة البتريزي ، ج ٢ ، دار القلم ، بيروت — لبنان ص ٣٨٠ — ٣٨٤ .

الفصل الثاني: أبقراط الوصف عند جده لسكان العنز
الطبيعة والخمر والصيد

الفصل الثاني

الوصف عند ابن المعتز

أولاً - وصف الطبيعة :

كان العرب أقواماً ، وقبائل تعيش في الصحراء ، وكان لإلتصاقهم بالصحراء أثر في دقة ملاحظتهم لها ، وحسن فهمهم لأحوالها ، وتقلباتها ، وقوة روابطهم ، وصلاتهم بها . ومن ثم أدى ذلك بالضرورة إلى جودة تعبيرهم عنها .

وشعر الطبيعة الجاهلي « بسيط في أسلوبه ، عار من البهرج اللفظي ، يقصد إلى سبيله مباشرة في غير زينة ولا زخرف ، وإذا كان فيه غرابة فليس منشؤها التعقيد وإنما غرابة قاموسهم اللغوي بالقياس إلى قاموسنا ، وبعدها عن مألوف الحياة العربية »^(١) الأولى القديمة .

ومن صفات الشاعر الجاهلي أنه « صادق التعبير عن إحساسه ، يصف الحاضر المشاهد في غير مغالاة ، ولا إسراف ، وخياله محدود ، لا يبلغ درجة التخيل . وإبداع مخلوقات غريبة يُحاكي الطبيعة في دقة ، ويُمثل ما أمتثلته نفسه في غير مغالاة ولا إغراب .. شديد الشعور سريع التأثر .. وهو ذاتي يمثل نفسه بالآمها وأحزانها وخواطرها »^(٢) .

وبسبب ذاتية الشاعر الجاهلي ، واقتصره على تصوير مشاهداته وآلامه وأحزانه ، وقف عند هذا الحد ، ولم يتعداه .

(١) الدكتور سيد نوفل ، في كتابه شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مكتبة الدراسات الأدبية (٧٢) الطبعة الثانية ، الناشر دار المعارف ، ص ٧٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ - ٧٢ .

ولم يستطع الشاعر في صدر الإسلام أن يتعدى الحديث عن الدعوة الإسلامية ، وتناول أغراضها ، وموضوعاتها ، وإن كان لوصف الطبيعة نصيب في شعره ، فهي مقدمات تقليدية ، ولحات عابرة هنا وهناك .

ثم انصرف الشعراء عن شعر الطبيعة حين انشغلوا بشعر المدح ، وكانت الطبيعة فيما بعد مدخلاً للمدح ، ومشاركة في آيات الولاء والإعجاب بالمدوح .

وشعراء الطبيعة في العصر العباسي اتخذوا وصفها طريقاً إلى ممدوحهم مع إجادتهم الوصف ، وتفوقهم فيه ، إلا أنهم لم يقصدوه لذاته ، ولم يكن متعة أنفسهم ، ولا هدفاً يُطلب إلا لغاية أخرى — غالباً — .

أما الشاعر عبد الله بن المعتز ، فقد وصف الطبيعة هارباً إليها بخياله وفكره من واقع مؤلم ، وحياة لم يكن يرضاها ، فكان « يحب الطبيعة يُفتن بها لا ريب ، لكنه حين يتعلق بها تستهويه الصور قبل كل شيء فيُعنى برسم الشكل الخلاب . وشعره آيات على أرهاف حاسة البصر ، وحسن إستقباله للألوان والأشكال ، ودقة إخراجهِ للصور والأمثال . وهو في إخراجهِ للصورة يَحْتال ويتألق ويتأنق ويكتفي بالإشارة عن الإطناب ، ويستخدم براعات عجيبة »^(١) .

وابن المعتز أيضاً في وصف الطبيعة يختار الصور المشرقة المتألثة الجميلة ، ويُظهر مهارة فائقة في ذلك ، وهو أيضاً يتعمق معاني الصورة ، فيصبح للصورة في الوصف اعتبارات معنوية ومتعلقات فكرية ونفسية تطبعه بطابع خاص .

ومع تميز ابن المعتز بالتعمق في الصورة ، فهناك ميزة أخرى وهي الثراء في مادة الصورة نفسها ؛ فتحظى الظاهرة الواحدة من الطبيعة بالعديد من التشبيهات والصور متعاقبة في المقطوعة أو القصيدة أو في أماكن متفرقة من شعره .

(١) الدكتور سيد نوفل ، من كتابه شعر الطبيعة ، ص ١٨٦ — ١٨٧ .

وحين تتوالى الصور في حديثه عن الظاهرة الواحدة ، تعطي إحساساً بأن الشاعر يضيف مزيداً من الأضواء والألوان عليها ؛ لتبرز أكثر في ثوب أنيق بديع .

وهو — أي ابن المعتز — في وصفه للطبيعة أيضاً ، وفي تناوله لصفاتها وخصائصها وأشكالها وألوانها « يتمثل أماننا .. شاعراً يُحيي الطبيعة ، وتعلق بها نفسه يجاوبها الشعور والإحساس ، ويشاركها البأساء والسراء »^(١) .

وكما وصل الشاعر ابن المعتز الطبيعة بالإنسان وجعل لها بعض خصائصه وصفاته — حسبما يقتضيه وصف الظاهرة — وصفها أيضاً بالمذاهب والمفضضات والآليء حتى أتهمه ابن الرومي بأنه يصف ماعون بيته^(٢) . والقضية معروفة ومشهورة ، إلا أن تلك التهمة تبطل بالنظر إلى مستوى إجادة ابن المعتز للوصف عامة ، والطبيعة خاصة ، بسمائها ونجومها وسحابها ، ومطرها وبساتينها وأزهارها وأثمارها وحيواناتها من طيور وصقور وغزلان وأناعي وحتى الجرزان^(٣) . وقد استقى مادة الصورة ليس من قصور الخلفاء بجواهرها ودُررُها فحسب ، بل ومن معين الطبيعة ذاتها تارة أخرى .

(١) الدكتور سيد نوفل ، من كتابه شِعْرُ الطَّيِّبَةِ ، ص ١٨٩ .

(٢) — انظر للأستاذ عباس محمود العقاد ، ابن الرومي حياته من شعره ، الطبعة السابعة ١٩٦٨ ، دار الكتاب

— العربي ، بيروت — لبنان — ص ٣١٥ — ٣١٨ .

— وانظر هذه القضية ص ١٦٦ من هذا البحث .

— وانظر للدكتور مصطفى ناصف ، الصورة الأدبية ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م ، دار الأندلس ،

— ص ٤٨ .

(٣) في داره التي اشتراها من ابنة أبي نوح :

وإذا ما ذكـرت جرذان داري

قد تمردن منذ مات أبو نو

مرهفات الأنياب يسجن أذنأ

يفرق المر حين يشلى عليهن فيفـي

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٠ .

فيها يضرب السورى الأمشالا

ح فصيرن أرضها غربالا

بأ إذا ما مشين جردأ طوالا

تعلـي واشتغالا

أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٠ .

« ولم يقف عند الطبيعة المتحضرة وحدها فقد كان يلجأ بالطبيعة الصحراوية »^(١) ، والطبيعة
بجمال رحب يستقي منه الشاعر ابن المعتز صورته ، فتشاركه الرؤيا ، ويخلع عليها عواطفه
وانفعالاته وتجاربه .

وتحظى السماء والنجوم والحلال بأوصاف ساحرة خلابة ، تدل على شدة تعلقه بها ،
وإعجابها بجمالها حتى أنه اشتهر بوصفها شهرة فاقت كل نظير .

ومما يكثر ذكره من الطبيعة في شعر ابن المعتز أيضاً الكواكب ، والبرق والرعد والسحب
والمطر . والأزهار والثمار والحيوانات والمعادن الثمينة كالذهب والفضة ثم الياقوت واللؤلؤ .
« وتكثر في الديوان ... التشبيهات البارعة لعناصر الطبيعة »^(٢) .

ولابن المعتز معاني سابقاً غيره من الشعراء متقدماً عليهم ، ومن ذلك في باب الوصف :
إذا الهلال فارقتـه ليلقـه
بدا لمن يبصره وينعتـه
كهامة الأسود شابت هامته^(٣)

(١) دكتور شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٤٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ .

(٣) محمد عبد المنعم تحفاجي ، كتاب ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٣١٨ وما بعدها .

ثانياً - وصف الخمر :

وصف الخمر والحديث عنها موضوع قديم في الشعر العربي برع في وصفها واشتهر بذلك مجموعة من الشعراء منذ العصر الجاهلي ومنهم « الأعتى والأخطل^(١) وأبو نواس^(٢) وابن

(١) هو غياث بن غوث بن الصلت بن الطارقة .. والأخطل لقب غلب عليه ، بمعنى السفیه أطلقه عليه كعب بن جعيل شاعر تغلب ؛ فغلب عليه ، وُلد في الحيرة نحو سنة (٢٠ هـ - ٦٤٠ م) واتصل بالسياسة العليا لبني أمية ، وهو من أعظم ممثل للحياة الإجتماعية والسياسية ، فهجا الأنصار ، ومدح بني أمية ، والتخر بموقفه من أعداء بني أمية ووصف الخمر ، فأكثر من صفاتها ، كما عني بتتبع معاني من سبقه ، والأخذ بها ، وتوسيعها . جدة ، وهم الأكبر أن ينقل بطريقة محسوسة ، لا أن يعالج الخواج النفسية ؛ وأن يكثر من التشبيه والتصوير والقصص بحيث يتفوق على غيره في مادة التفصيل والتجزئ ، في كمية ما يقال ، فأضاف إلى ما قبل ما أوحى به تجربته وتوفى سنة (٩٢ هـ - ٧١٠ م) .

(أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، المجلد الثامن ، ص ٢٨٠ - ٢٩٢ .

(حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي ، الأدب القديم ، ص ٤٦٤ - ٤٧٨) .

(٢) الحسن بن هانيء الحكمي . أحد فحول شعراء العرب . ولد بالأهواز عام ١٣٠ هـ - ٧٤٧ م أو كما تقول مصادر أخرى عام ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م ... وقد أمضى سنين شبابه بالبصرة والكوفة ، حيث درس على اللغويين أبي زيد وأبي عبيدة ، وعلى الراوية خلف الأحمر . وهو أول من نهج للشعر طريقته الحضريية وأخرجه من اللهجة البدوية . وقد نظم في جميع أنواع الشعر ، وأجود شعره خمرياته التي حاول أن يضارع بها الوليد بن يزيد ، أو عدى بن زيد ، وذلك أنه اتخذها مثلاً له ، وقد حذا بنوع خاص حذو معاصره الحسين بن الضحاك الباهلي . له شعر مطبوع ، وديوان آخر سمي « الفكاهة والانتقاس في مجون أبي نواس » وهو مطبوع أيضاً . ومن شعره في الخمر قوله :

جريت مع الصبا طلق الجموح وهان على مائور القبيح
إلى أن يقول :

تزود من شباب ليس يقي وصل بعري الغبوق عرى الصبوح
وخاها من مشععه كمنيت تنزل درة الرجل الشحيح
تغيرها لكسرى رائدة لها حظان من طعم ورج

وكما اختلف في تاريخ ميلاده ، اختلف في تاريخ وفاته فقيل ١٩٥ أو ١٩٦ أو ١٩٨ هـ .

(الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٤٣٦ - ٤٤٩) .

(الزركلي ، الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار

العلم للملأين ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٠ م ، ج ٢ ، ص ٢٢٥) .

المعتر « (١) » .

والخمر في شعر الأعشى غرض من بين أغراضه المختلفة يأتي بذكرها في أبيات تطول وتقصّر ثم ينتقل إلى غرض آخر في القصيدة نفسها إلا إنه أبدع وابتكر في الأساليب والصور ، فهو « لا يصف الخمر إلا في سبع عشرة قصيدة ، ووصفه لها يطول أحياناً ويقصر أكثر الأحيان ، ولكنه على أية حال ، يمتاز من غيره بابتكارات لا نجدها عند سواه . بل إنه قد أثر في من تلاه . لقد وصف الخمار ، والساقى ، وآنية الشرب ، ولون الخمر ، ورائحتها ، وأثرها ومجلس الشراب ، والندماء ، وذلك في أسلوب تشخيصي قصصي ينبض بالحياة ولا يخلو من التصوير النفسي » (٢) .

« فالأعشى الأكبر يحدث عنها واصفاً لونها وصفاءها وطعمها وريحها وفعلها في الشاربين ، ثم نال الخمر شيء على عهد يزيد بن معاوية (٣) ، وأشياء على عهد الوليد بن يزيد (٤) ، ولكن ذلك

(١) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٣) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، بويح له بالخلافة بعد موت أبيه في رجب (سنة ٦٠ هـ) ، ولد بالماطرون ، ونشأ بدمشق ، وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي ، فأنصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة ، ومدة خلافته ثلاث سنين وتسعة أشهر ، وكان نزوعاً إلى اللهو ، ويروى له شعر رقيق (عز الدين ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد الثالث ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

(خير الدين الزركلي ، الأعلام ، المجلد الثامن ، ص ١٨٩) .

(٤) الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أشهر شعراء البيت الأموي ، ولد سنة تسعين ، مات أبوه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وورث عنه ملكة الشعر وحب الخمر ، ولما استخلف عمه هشام بعد أبيه طغى في خلعه من ولاية العهد ، وعقد لها لابنه مسلمة ؛ فجعل يذكر الوليد وتهتكه وإدمانه على الشراب ، وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط ، وحج فظهر منه فعل كثير مدموم ، وتشاغل بالمغنين والشراب ، فلما عاد من الحج طالبه هشام بجمع نفسه ، فأبى ذلك ، فحرمه العطاء ، وحرم سائر مواله وأسبابه ، وجفاه جفاء شديداً ؛ فخرج الوليد إلى البادية في قصر له بفلسطين ، فلما توفي هشام سنة ١٢٥ هـ - ٧٤٢ م ، بويح له بالخلافة واستقبله أهل دمشق ، وهم يرجون أن ينجمهم من مظالم هشام . فرجع إلى قصره يدمن التغني بالشعر والشراب . ولم يُقل عن هشام في طلبه للمال فتقل ذلك على رعيته

لم يصل بها إلى أن تكون فناً مستقلاً من الفنون ، حتى جاء أبو الهندي ، عبد المؤمن بن عبد القدوس الرياحي ، وكان شاعراً مطبوعاً من مخضرمي الدولتين ، فأشاد بذكرها لإدمانه المعاقرة ، وشغفه بالشراب ، مع ما كان يُرمى به من الفسق والمجون ، والرقّة في الدين ، حتى كاد شعره يكون كله فيها ، وكان كله في تلك الإشادة ، كثير الحض عليها كقوله :

أبا الوليد أما والله لو عجلت فيك الشمول لما فارقتها أبدا
ولا نسيت حمياها ولذتها ولا عدت بها مالا ولا ولدا

ثم جاء أبو نواس إمام واصفياً بالإجماع ، ثم كان بعده عدد من الشعراء اللاهين حتى جاء ابن المعتز ، فأستوت عنده الخمر فناً مستقلاً في ديوانه ، بما يناهز ألفاً وخمسمائة بيت^(١) .

وأول ما استقل شعر الخمر عند أبي نواس ؛ فتناول موضوعاتها وأجاد فيها ، وشخصها ، والتجأ إليها ليجد عندها الراحة والسعادة .

ونظرة أبي نواس للخمر فلسفية ، وجه لها عشق ، ومذهب فيه الصدق والمجاهرة بشرها ، وحيا .

وجدد في المجال الخمري بالانتقال من التجربة المحصورة ، والتخصيص إلى التعميم والشمول والمعاني الفلسفية . فإن تجربة خمرية بسيطة حرية بأبي نواس أن يتدع المعاني الكبار ويخرج إلى حكمة عامة وشاملة .

وَجُنْدُهُ وَكَرِهُوا أَمْرَهُ . ثُمَّ عَهْدَ بِالْوَالِيَةِ لِابْنِهِ وَهَمَّا صَغِيرَانِ ؛ فَغَضِبَ أَقْرَبَاؤُهُ ، وَاسْتَخْلَفُوا بَدْلًا مِنْهُ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَرْسَلَ عَلَى الْوَلِيدِ الْجَنْدَ وَهُوَ فِي قَلْعَتِهِ : الْبِخْرَاءَ ، جَنُوبِي تَدْمُرَ . فِقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَقُتِلَ وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ... وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِلْيَلْتِينَ بَقِيْنَا مِنْ جُمَادِي الْآخِرِ ١٢٦ هـ / ١٣ م .
أبريل ٧٤٤ م .

(كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج ١، ص ٢٤٠ - ٢٤١) .

(١) الدكتور سعد اسماعيل شلبي، في كتابه ابن المعتز القباصي صورة لعضره، الناشر دار الفكر العربي، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

ولقد ابتعد أبو نواس عن وحدة البيت في معظم قصائده القصصية التي تظهر فيها الحركة التمثيلية ؛ فانفردت القصيدة بموضوع الخمر كما لم تكن كذلك من قبل^(١).

أما شاعرنا عبد الله بن المعتز فقد تناول موضوع الخمر متأثراً بأستاذ عصره فيها أبي نواس ؛ فأفرد مقطوعات وقصائد في الخمر أصبحت باباً من أبواب شعره .

وإذا كان أبو نواس قد شخّصها فإن ابن المعتز قد استقى مادة صورها من الإنسان وخصائصه كالعروس ، وكالأحداق والفم والأسنان ، والأوداج والدم والأذن والشيب كجزئيات

ثم يضيف ابن المعتز أيضاً إلى مادة الصورة مادة الطبيعة بنوعها :

الصامنة من كواكب ونجوم وليل ونهار وسحاب ومطر وغيرها . كإداة سماوية علوية ، والأرض وما يتعلق بها من ألوان الأزهار والنباتات بخصائصها المختلفة ، ثم الطبيعة المتحركة من ظباء وحيات وخيول .

ثم مادة الذهب ، والفضة ، واللؤلؤ ، والعقيق وغيرها .. ويستقي صوره أيضاً من معين الخبرات المختلفة فالحرب تعطيه مادة خصبة ، والعقيدة الدينية تُثري خياله الشعري بصور ومعان لوصف أدوات الخمر ، مما يؤكد تعدد مادة الصورة الشعرية عند ابن المعتز في موضوعات الوصف عامة ، وموضوع الخمر خاصة .

وتأثر ابن المعتز بأبي نواس واضح ، فقد عارض همزته المشهورة^(٢) ، كما محارضا الحسين

(١) انظر : جورج عبدو معتوق ، أبو نواس في شعره الحمري ، الطبعة الثانية ١٩٨١ م ، الناشر : دار الكتاب

الليثاني ، ص ٢٨ - ٣٠ ، ٣٢ - ٣٣ .

(٢) وصف أبو نواس الخمر فقال :

وداؤني بالثبي كانت هي السداء

دع عنك لومسي فإن اللوم إغراء

إلى أن يقول :

لو مسها حجر مسته سراء =

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها

بن الضحاك « وهؤلاء الشعراء ركضوا في ميدان واحد فوصفوا الخمر والسقاة وصفاً يختلف بعض الاختلاف ، وكان أقصرهم نفساً أبو نواس ، ولكنه كان أعرفهم بأسرار الصبء »^(١).

وانفرد ابن المعتز بمزدوجته في ذم الصبوح^(٢) ، وهو عمل شعري جديد من نوعه في مجال الخمر ، إذ يجاور الشاعر صاحبه في خمر الصبوح ، والفرق بينها وبين الغبوق ، فالثاني يفضل الصبوح ، ويذكر سبب ذلك ، لكن يذكر الشاعر سبب تفضيله للغبوق ، ويقبح الصبوح « وهذه الأرجوزة ليست مسرفة في الطول ، لكنها ليست قصيرة وترتيبها يسير . فابن المعتز يتخيل أن صاحباً له أنكر عليه شرب الخمر في المساء وثقال له : مالك لا تصطبج ، ومالك لا تؤثر الصبوح على الغبوق ، فهو يستطيع أن يظهر على ما في البساتين من جمال ، فيصور جمال الرياض والبساتين تصويراً هو آية في الإبداع الفني . لا أظن أن أحداً قد استطاع أن يأتي بمثله في

كأنما أخذها بالعين إنغفاء
لطافة وجفا من شكلها الطاء
حتى تولد أنوار وأضواء

فأرسلت من فم الأبريق صافية
جفت عن الماء حتى ما يلائها
فلو مزجت بها نوراً ملازجها

ويعارضه ابن المعتز بقوله في وصف الخمر :
أمكنت عاذلتي من صمت أباء
أبين التورع من قلب ييم إلى
وصوت فتانة التفريد ناظرة
وقرع ناقوس ديري على شرف
وكأس حريبة شكت بمزما

أحشاء مشعرة بالقمار جوفاء

(الدكتور زكي مبارك في كتابه الموازنة بين الشعراء ، أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان ، الطبعة الثانية ، الناشر مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ص ٣٨١ - ٣٩١ .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٩٠ .

(٢) كل ما أكل أو شرب غدوة ، وهو خلاف الغبوق ، والصبوح : ما أصبح عندهم من شرابهم فشربه ، وحكى الأزهرى عن الليث : الصبوح الخمر .

(ابن منظور ، معجم لسان العرب ، حققه الأستاذ عبد الله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، ج ٤ ، ص ٢٣٨٩ .

تشبيهاً واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرياض « (١) .

وفي الأرجوزة يقول :

لي صاحبٌ قد لا مني وزادا في تركي الصبوح ثم عادا
وقال لا تشرب بالنهار وفي ضياء الفجر والأسحار
إذا وثى بالليل صبوحٌ فافتضح وذكر الطائر شجواً فصدح
والنجم في حوض الغروب وارد والفجر في إثر الظلام طارد (٢)

ويستمر في وصف الطبيعة في الصباح ، على لسان داعية لشرب الصبوح ، ثم يستمر في سرد الحوار حتى يذكر له سبب تركه للصبوح فيقول :

فاسمع فإني للصبوح عائب عندي من أخباره العجائب
إذا أردت الشرب عند الفجر والنجم في لجة ليل يسري
وكان برد بالنسيم يرتعد وريقه على الثنايا قد جمد
وللفلام ضجرة وهممه وشمته في صدره مججمه
يمشي بلا رجل من النعاس ويدفق الكأس على الجلاس
ويلعن المولى إذا دعاه ووجهه إن جاء في قفاه (٣)

ولابد أن سبب نظمه هذه الأرجوزة ، ما شاع في عصره من الموازنات والمناظرات لبيان المحاسن والمساويء والمفارقات . والأرجوزة « تصور إحساسه بما ينعكس على بصره من جمال

(١) الدكتور طه حسين ، في كتابه من حديث الشعر والنثر ، الطبعة الحادية عشر ، ١٩٢٦ م ، الناشر دار

المعارف بمصر ، ص ١٦٤ - ١٧٠ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ، ميشيل لقمان ، الناشر الشركة اللبنانية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع ،

بيروت لبنان ١٩٦٩ م ، ص ٤٢١

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

الطبيعة صباحاً في الربيع ، ولكنها لا تصور حباً ولا تهالكاً على الخمر ، ولا عاطفة جامعة متقدة ، إنها ليست أكثر من أبيات يتسلى بها ويتغذى ويظهر مقدرته على النظم في الخمر ، ... ويطيل في الأسباب التي من أجلها يذمه ذمماً قبيحاً ، كأن يعرض المصطححين للبرد القارص شتاءً والحر اللافت صيفاً . وقد يكون مصدر هذا الذم شيوع المناظرات لعصره وبيان محاسن الشيء ومساوئه كما عند ابن الرومي في ذمة للورد «^(١)» .

وأرجوزة ابن المعتز هذه في تفضيل الغبوق على الصبوح ، ودم الصبوح يُجري المعاني فيها مجرى الحوار ، ويعتمد على الوصف تارة ، والتمثيل للمعاني تارة أخرى . مع تحليل نفسي للسائي والشاربين في صباح بارد أو حار . وتناول الجوانب النفسية لشاربي الصبوح ، ووصف الطبيعة بأجزائها . ويتأنق الشاعر كعادته في وصف مظاهر جمالها - الطبيعة - ، مع واقعية في نقل المعاني وتصويرها ؛ ليحقق الشاعر ابن المعتز اقناعنا بفضل الغبوق على الصبوح .

والموازنة بينهما غالبية على القصيدة ، والألفاظ سهلة ، والمعاني واضحة - غالباً - وإن كان هناك بعض الغريب . من مثل قوله :

تعطط القوم به حتى بدر وافتتح القول بعبي وحصر^(٢)

وقوله :

وترك النياط بعد الحمد ذا نقط سود كجلد الفهد^(٣)

(١) الدكتور شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٤٣ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٤٧٣ - ٤٨٠ .
وتمطط : ضج وصخب ، الحصر والعبي : العجز عن الكلام .

(٣) ديوان المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ، ص ٤٢٤ .

والدارس لشعر الخمر ووصفه عند ابن المعتز يجده يتميز أحياناً بمشده من المشاعر النفسية الإنسانية في الصورة ، وإن لم يكن ذلك من خصائصها أصلاً . كقوله :

فلما رآها الليل حثَّ صباحه مخافة صبح في الذنآن كمين

فالرؤية لليل ، وحثه للصباح ، وخوفه من صبح آخر ، من باب التجسيد .

وقد يجد الدارس أيضاً لشعر ابن المعتز في الخمر تناقضاً في اعتقاده فيها فهو قد يبدو أحياناً وفي مواضع من شعره فيها - أي الخمر - محباً لها ، داعياً لشربها ، ومصوراً لها بصور تدل على أثرها الطيب في نفسه ، وعلى انتظاره منها جلب السعادة والسرور ، وطرد الحزن والألم ، وامتلاك الفرحة ، إلا أنه قد يأتي أحياناً أخرى بصورة من شأنها أن تناقض هذا الاعتقاد ، فيشبهها مرة بدم زنجي ، ومرة بدم المقتول ، وأخرى بالمجاج ، ويصف الحجاب - أحياناً بالأحداق ، وكأنه من جانب خفي ينفر من الخمر .

« غير أن هذا الأمير العالم الفقيه في الشريعة والحديث (ابن المعتز) كان لا يتناولها كما يروي السأريج . وكان في انتهائه من بعض مطولاتها وفي ثناياها يسئل نفسه كما تُسئل الشعيرة من العجين ، ويجعل شاربها في آخر القول يعتصم بالندم والتوبة .

وبمقدار ما وصفها حمداً انقلب عليها ذماً في أرجوزته المشهورة (في ذم الصبوح) . يذمها ويهزأ بالسكرارى ، ويصف مجالسهم وصفاً مزرياً يجعل القاريء يكفر بالخمره وعاصرها وشاربها » (١) .

هذا وتفتقر بعض أبيات الخمر ، ومقطوعاته عند ابن المعتز إلى صدق العاطفة ، وحرارتها ، فلا تكون أبياته أكثر من تركيب لفظي لرسم صورة بعيدة كل البعد عن إحساسه ، ومشاعره ، في مثل قوله :

(١) : الدكتور محمد بدیع شریف ، کتاب دیوان اشعار الأمير آبی العباس عبد الله بن محمد بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ .

يـمـج من أفواهها قهـوة تـقـذف بالمسك وبالغـنـبر
كأنما أقداحنـا فضة قد بـطـنت بالذهب الأحمر^(١)

ومن إن ابن المعتز قد تناول صوراً ، قد تناولها شعراء الخمر قبله مثل الأعشى ، وأبي نواس ، إلا أنه قد ابتكر بعض الصور ، وكان هو صاحبها ، مثل وصفه لساق الخمر بمقسم قطع الشمس^(٢) .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٤٢ .
(٢) انظر ص ١٧١ من هذا البحث .

ثالثاً - وصف الصيد (الطرد) (١) :

تمثلت الطبيعة أمام الشاعر بصحرائها ، وسهولها ، وهضابها ، وسماؤها ، ونجومها ، وأمطارها ، وتمثلت كذلك بحيواناتها المختلفة الأنواع : من خيل ، وجمال ، وأغنام ، وكلاب --- وطيورها : من صقور ، ونسور ، وحمام ... وغيرها .

ذلك أن الشعر عموماً صورة للبيئة ، وتصوير لحياة الأمة ، فقد جاء الشعر الجاهلي صورة ناطقة بأهمية الصيد في حياة العرب ، فكثرت في شعرهم ذكره ، وذكر حيوانه ، بل كان يُمدح الرجل بإجادته الصيد ، وأكله منه .

ولم يكن الهدف من الصيد هو الحاجة للحيوان فحسب ، بل كان وسيلة ترفيه ، وتسلية ، ومظهراً للفروسية والبطولة .

ومع عناية الشاعر الجاهلي بالحيوان ، ورسم صورة لشكله ، وهيبته ، وأعضائه ، وحركته ، وسرعته . فقد ربط ذكره للحيوان بالطبيعة « فلم ينس أن يتأمل في الصحراء ورمالها ، وديارها ، وأطلالها ، وما يمر عليها من رياح ، أو سحب ، أو مطر . ويتأمل كذلك في السماء ، والنجوم ، وكان يشيم البرق ويستعلم الغمام ، ويذكر شدة الحر وقسوة البرد ، ولا ينسى لحظة من مجالس يعقدها للهو وشرب الخمر ، وسماع الغناء » (٢)

(١) (الطرديات) وهي الأرجوزة أو القصيدة التي تتحدث عن جملة من حملات الصيد يخرج إليها فريق من الناس، قد لا يكون هناك أمير أو رئيس، وإنما أصحاب متحابون متشاكلون... ولذا لا يصح أن تُطلق كلمة طردية على قول في كلب أو في فهد، وليس من الطرديات ما قاله شعراء الجاهلية في الصيد. ومن شعراء الطرديات كشاجم.

(الأستاذ محمد القادر حسن أمين، كتاب شعراء الطرد عند العرب، ١٩٧٢م، مطبعة النعمان - النجف الأشرف - ص ٣١٦.

(٢) ألدكتور يحيى الجبوري في كتابه الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٣٩٠.

واستقلت القصيدة بالطرد ، منذ بدأ العصر الأموي ، وشجع على ذلك حب الخلفاء ورجاهم للصيد ، وخروجهم له في مجموعات كبيرة ، وفي رحلات يقيمون فيها أياماً .

« والطردية فن مستقل لها خصائص وميزات تفرد بها عن غيرها من فنون الشعر ، ظهرت بوادرها في العصر الأموي على الأرجح عند طائفة من الرجاز أمثال الشمردل بن شريك وأبي النجم الراجز وأبي نخيلة الحماني ، ثم تعمقت أصول هذا الفن على يدي الرقاشي وابن أبي كريمة وعبد الصمد بن المعذل ، اثبت دعائمه في هذا العصر ، واستطاع أبو نواس قبلهما أن يضع على طردياته اللمسات الفنية الأخيرة ، وأن يوفيهما العناية الكافية من التنقيح والتهديب والإبتكار»^(١) وكان لشغف الخلفاء والوزراء وعلية القوم بالصيد والطرد ، أثر في انشغال الشعراء بكتابة الشعر في هذا الفن .

ف « الشعراء وفي مقدمتهم أبو نواس نظموا طرديات كثيرة ، اختاروا لها وزن الرجز ، ولأبي نواس نحو خمسين طردية أحسن فيها غاية الإحسان ... وقد مضوا ينظمونها في مجور وأوزان مختلفة غير مكتفين بالرجز ، إذا نحن استثنينا ابن المعتز ، وكأنه رأى أن يظل متمسكاً بوزنها القديم ، أما معاصروه فرأوا الاتساع بها ، بحيث تنظم في أي وزن حسب مشيئاتهم الفنية ، ولم يتركوا ضارياً من ضواري الصيد إلا وصفوه ولا جارحاً من جوارحه إلا نعتوه .

نعتوا الكلاب والفهود والبزاة^(٢) والشواهين والصقور والعقبان ، ونعتوا الصيد من حمر

(١) الدكتور أنور عليان أبو سويلم ، كتاب الطبيعة في شعر العصر العباسي الأول ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م . الناشر دار العلوم ، ص ٣٤٩ .

(٢) البازي : أفضل الجوارح صيداً وأعلاها كعباً ، وأغلاها ثمناً ، وبه يضرب المثل في نهاية الشرف . وفي تطلق اسمه لغات منها : « البازي » بكسر الزاي ، وتخفيف الياء ، ويجمع على بزاة ... و « الباز » بغير ياء في الآخر ، ويجمع على بيزان ... و « الباز » ويجمع على أبوز وبوز ... و « البازي » بإثبات الياء وتشديدها وهو مشتق من البروان بمعنى التطاول والثوب ، وهو مذكر بلا خلاف . ويقال له في أول سنة من عمره فرخ ، وفي الثانية كرز عام . وفي الثالثة : كرز عامين ، والكرز لفظ معرب عن الفارسية .

الوحش وأنته ، وثيرانه ، وبقره ، وظبائه ، ونعامه ، وكذلك من الأرانب ، والثعالب ، والذئاب ، والآساد ، والطير والإوز .

وألوا بآلاته من النبل والسهم ، والنشاب والبقاخ والشباك والحبال المسماة بالأوهاق التي تُجعل في أطرافها انشوطة وترمى على الحيوان فتمسك بعنقه ، والجلاهق وهو بندق مدور من طين يرمى به ، وكان لهذا النشاط الواسع في الصيد ، وما يتصل به من الشعر أثر في أن أخذت تُؤلف كتب مختلفة في البيزرة^(١) وفي المصايد والمطارد .

تُفصّل القول في الصيد وآلاته وضواريه وجوارحه ، وقد نُظمت حينئذ طرديات كثيرة ، لا نستطيع أن نستقصيها ولا أن نستقصي شعراءها^(٢) .

ويورد ابن رشيقي^(٣) اسم ابن المعتز بين شعراء الصيد والطرود مع أبي نواس ممن لهم فيه أوصاف جيدة .

وفي طرديات ابن المعتز يقول الدكتور شوقي ضيف « لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنه أكبر شاعر نظم طرديات في العصر (العباسي) . ويذكر مترجموه أنه صنف كتاباً في جوارح الصيد وضواريه ، ولا يكاد ضار أو جارح يفلت منه في شعره أو في طردياته^(٤) .

وكنية البازي أبو الأشعث ، وأبو البهلول ، وأبو لاحق .

وفرخ البازي يدعى غطريفاً .

وقد ميزه ابن سيده من الصفر بأنه « الأزرق ، الأحمى ، الأرقط ، القصير الجناحين ، الغليظ . (الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، في كتاب الصيد عند العرب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، دار النفائس ، بيروت ، ص ٩٨ - ١٠٣) .

(١) ابن رشيقي القيرواني ، العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٣) ابن رشيقي القيرواني ، العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٤) تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، ص ٤٨٩ .

وفي دراسة الدكتور محمد بديع شريف لشعر ابن المعتز يتحدث عن الصيد وتناول ابن المعتز لهذا الغرض وقد ألبسه رداء جميلاً ممتعاً ، حتى أنه جعل الحيوان الأعجم إنساناً عاقلاً في تصرفه ، وتعمق أيضاً في خصائص حيوانات الصيد وطيوره ، وجوارحه . يقول :

« فمَنح (أي ابن المعتز) هذا الفن جمال اللغة وسمو الخيال ، ورسم للصيد صوراً رائعة ، وللطبيعة في غدوة ورواحة وللكلاب والخيل والبزاة والصقور والفهود ، ونفذ إلى أسرار حياتها ؛ فكشف غرائزها المتوحشة والمهذبة ، ومن لطيف القول أنه كان على عادته يمنح الجماد حياة ، والحيوان الأعجم تصرفاً عاقلاً »^(٥) .

وفي مجال الحديث عن شعر ابن المعتز في الطبيعة ، يتحدث المؤلف عن قدرته على إبراز حيوان الصيد بمظهر حسن ، ووصفها بخصائص طيبة ليست من خصائصها ، ويضيف إلى الصور القديمة لباساً جديداً خلافاً رائعاً ، ويضرب على ذلك المثل بوصفه للفهد ، وحمار الوحش يقول :
« على أن ابن المعتز لا يجلي السماء بأعلامها ، والفاكهة والزهر فقط ، وإنما يعرض الحيوان كذلك هذا العرض الذي يُعنى بالشكل ، وإبراز محاسنه وألوانه ، والربط بينه وبين أشكال أخرى أكثر فتنة ، وأبهى منظراً .

وأي شاعر يستطيع أن يُجعل الفهد^(٦) كما جملة ابن المعتز ، وأن يجليه في مقام الصيد

(٥) ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي ، ذخائر العرب ، ٥٤ ، الناشر دار المعارف ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(١) وقد أورد الدكتور سيد نوفل هذه الأبيات :

تطير على أربعم كلفم كلب
تريك على الأرض شيئاً عجب
كضم الحبيبة من لا يجب
تناجت ضائره بالعطب
كتركيبة قد سبها العرب
وقد حليت سبحاً من ذهب
وطار الغبار وجد الطلب
تقوم بزاد الخميس اللجب

ولا صيد إلا بوئاب
لمعة من تتاج الرياح
تضم الطربسند إلى ثمرها
إذا ما رأى عدوها خلفه
لها مجلس في مكان الرديف
ومقلتها سائل كحلها
متى أطلقت من قلاذتها
غدت وهي واثقة أنها

والفتك ، كما تُجلى العروس الحسناء بقلائدها الذهبية ، ومنظرها الغض النضير .

وقد أدت عناية ابن المعتز بتمثيل الحيوان على هذا اللون إلى نشر هذا الفن على نحو واسع في العربية ، ولعل أبا بكر بن العلاف كان متأثراً به حين غنى يالهر عناية كبرى ، ووصفه في قصائد طويلة ، كما يصف حياة البطل المغوار ، وورثاه رثاءً مستفيضاً . وقد يتناول ابن المعتز معاني القدماء في الحيوان فيجلبها على طريقته الخلابه «^(١)» .

وطرديات ابن المعتز يربط فيها بين وصف الطبيعة في مقدمات طردياته أو خلالها ، وربما كان ذلك لبيان أوقات الصيد ، وتحديد زمن الخروج إليه .

وهو يعمد إلى وصف الحيوان الصائد والمصيد ، ويدع ويفتن . وصوره في ذلك رائعة في شكلها ، ولها أواصر ووشائج في أعماق المعنى .

وطرديات ابن المعتز رجز غالباً ، وإن نظم بعضها في القصيد ، وهو فيها بين الوضوح والإغراب ، بل قد يأتي بأسلوب هو أقرب إلى الألفاظ .



(١) الدكتور سيد نوفل ، كتاب شعر الطبيعة ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

الباب الثاني

دراسة فنية نقدية للصورة في شعر الوصف

عند ابن المعتز

وفيه ثمانية فصول :

الفصل الأول : التعمق في الصورة .

الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة .

الفصل الثالث : الشخصيات .

الفصل الرابع : الخيال التركيبى .

الفصل الخامس : تكيف الصورة لموضوع واحد .

الفصل السادس : الجانب النفسى في الصورة .

الفصل السابع : دلالات عرzkية في الصورة .

الفصل الثامن : ضعف التصوير

الفصل الأول : التعميم في الصورة .

الفصل الأول التعمق في الصورة

يصف الشاعر الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، ويصوّر الخمر وأوانها ، والصيد وأدواته وطيوره وحيوانه ، بصور يختارها مناسبة ، ثم يمضي بإصرار فني في الحديث عن الصور أو ذكر شيء من خصائصها يربطها بالموصوف ، ويقارب بينهما ليتحقق للشاعر الصدق في إحتواء الموصوف .

هذه الطريقة في تناول الظواهر المختلفة إذا جاءت عن طريق الاستعارة يصنفها عُلماء البلاغة تحت عنوان الترشيح^(١) ، ولكنني أتناولها في شعر ابن المعتز من خلال الصورة عامة سواء كانت تشبيهاً أو استعارة .

والتعمق في الصورة من أولي خصائص الفن الشعري في الوصف عنده . وما يؤكد لنا أهمية هذه السمة في وصفه استشهاد لآدم بن الرومي بيت من الشعر يتسم بالتعمق في الصورة ؛ ليفضل به وصف ابن المعتز علم وصف ابن الرومي ، سائلاً إياه عن سبب عدم مجيئه بمثله في شعره^(٢) .

(١) الترشيح : هو الإمعان في تناسي التشبيه الذي هو أصل الاستعارة ، والاستعارة « المرشحة » هي التي قرنت بعلامم المستعار منه (أي المشبه به) - نحو : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ﴾ استعير الشراء للاستبدال والاختيار ، ثم فرغ عليها ما يلامم المستعار منه (الربح والتجارة) ... وسُميت مرشحة : لترشيحها وتقويتها بذكرى الملامم ، وترشيح الاستعارة التصريحية متفق عليه « (السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، في المعاني والبيان والبديع ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١) .

(٢) راجع هذه القضية ص ١٦٦ - ١٧٠ من هذا البحث .
الأستاذ عباس محمود العقاد ، في كتاب ابن الرومي ، حياته من شعره ، ص ٣١٥ - ٣١٨ .

ولاشك أن أهمية هذه السمة الفنية في التصوير ، تأتي من استغراق الشاعر في أعماق الصورة ؛ فهي تحظى منه بعناية فكرية ونفسية وتأملية يمنحها قيمة فنية كبرى .

وأولى النماذج بالتقديم في هذا الموضع ، وأكثرها إتصافاً بهذه الطريقة التصويرية ، تشبيه الشاعر الهلال بزورق الفضة عليه حمولة العنبر . وجمال الصورة ، وروعها ، وإتقان الشاعر في اختيارها قد بلغ الإجادة . فجسم الهلال من الثور ، وجسم الزورق من الفضة ، وليس التشابه بينهما في الشكل واللون فقط ، بل يتضمن التهابه مدى أعمق من ذلك وهو عدم استمرار كلي منهما ، فالهلال يختفي بطلوع الفجر أولاً ، وهذا المدى الزمني الأول وهو قصير ، ثم مدى زمني أطول وهو إكتاله بديراً .

وكذلك الزورق يختفي في مدى زمني قصير ، وهو بعده عن مدى الرؤية للعين . وأما المدى الزمني الأطول فهو إنتهاؤه إلى مرساه الأخير .

أما حمولة العنبر على الزورق فينقل بها الشاعر سواد الليل حول الهلال أولاً ؛ ثم إحساسه به عنبراً زاد وفاض عن حمولة الزورق فأحاط به لوناً داكناً ، ويؤكد هذا المستوى من الإحساس به تقديمه للبيتين بقوله (أهلاً بفطر) وترسم قواعد التأكيد عند دعوته إلى المدام ، وهي رمز للمتعة والتحلل ، بعد أن حرمه الصوم في شهر رمضان من الكثير منها .

فيضرب الهلال بزمانه ومكانه ، وارتباطه بمجديد في حياة الشاعر ، ورحيل إلى المتع التي منع نفسه عنها زمناً على أوتار أحاسيسه ، ليصور الهلال بزورق من فضة ليس غير ، وحمولته عنبر ، وكلها مما يسعد النفس النظر إليها ، ومما يثري الإنسان إمتلاكها ، كما يثري الهلال - على هذا الشكل وفي هذا الوقت - حياة الشاعر بمرح وسعادة وضجيج وامتلاء .

ومما يجدر ذكره هنا أن الشاعر بخياله جعل سطح البحر مرآة لصفحة السماء ؛ تعكس الشكل واللون والمكان والزمان من خلال إحساسه بها ، وارتباطها بالرغبات والآمال . يقول :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلالُهُ فالآنَ فاغْدُ على المُدامِ وبُكْرِ
وانظرْ إليه كزورقي من فضةٍ قد أثقلتُهُ حُمولةٌ من عَبْرِ^(١)

فتشبه الهلال بالزورق هذا خيال ، وأما وصف الزورق بأنه مثقل بحمولة الفضة فهو تمادي من الشاعر في الخيال الشعري .

ومن التعمق في الصورة أيضاً تصوير الشاعر للزهرة ، وقد أسرجت مصابيحها بالضوء . ثم يُجيبك الشاعر عن سؤال مُتوقع . كيف أكانت هذه المصاييح ؟؟؟ . فيذكر أنها عبارة عن شعل نارية ؛ يخفف من اشتعالها ويقلل من وهجها ، وتطير شررها وجود الندى عليها ، تصوير بديع حقاً لشدة حُمرة الزهر ، تلك الحُمرة التي تكاد تحترق خلايا الزهور .

ثم يستمر الشاعر مُحلّقاً في دنيا الخيال الشعري ، وفي عالم الصورة السابقة لا يغادرها . وفي آفاق هذا العالم يتخيل الماز بالزهرة في الليل ، يقترب منها ؛ ليستضيء بشعلة .

ثم يتابع الشاعر بخياله الشعري المقتبس ، فإذا به يجد شيئاً غير الضنوء والحرارة والدفء ، يجد الزهرة مجمرة طيب طار أريجه مع كل ربح مرت به .

وييني الشاعر الفعل للمجهول (أسرجت) ليسنده إلى قوة غيبية مجهولة ترتبط بعمق الإيمان 'بيديع صنع الله' .

وأجاد الشاعر في ربطه بالخيال بين الندى وحمرة الشرر . فجعله ارتباطاً دائماً ليس بشدة حمرتها ، فلولا الندى لتطير شررها .

ثم يُوجد حلقة أخرى بين هذه الصورة والتي تليها ، فعدم تطير الشرر من الزهرة مكن للمار بها من الإقتراب منها ؛ لينال نصيباً من ضوئها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي في كتابه شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ٥٩١/الكامل :

يقول الشاعر في الأبيات :

في زهرة أُسْرَجَتْ مَصَابِحُهَا لولا التُّدَى طَارَ حَوْلَهَا الشَّرُّ
دَنَا إِلَيْهَا فِي اللَّيْلِ مُقْتَسِمٌ لَمَّا رَأَاهَا كَالنَّارِ تَسْتَعِيرُ
وظَنَّ فِيهَا مَجَامِرًا سَطَعَتْ فِي كُلِّ رِيحٍ مِنْ طَيْبِهَا خَبَرُ
رَعَتْ نَجْمَومَ السَّمَاءِ بَاهِتَةً وَاللَّيْلُ دَاجِي الْقِنَاعِ مُعْتَكِرُ
بِعَيْنٍ يَقْظَى وَجِدْرٍ نَاعِسَةٍ دَامَ عَلَيْهَا الْوَقُوفُ وَالسُّهْرُ^(١)

ثم يضع الشاعر اللمسات الأخيرة على الصورة ، فيربط بين الزهرة والنجوم الباهتة ؛ فكأن تقابلها في الطبيعة الأولى في الأرض ، والأخرى في السماء ارتباط وجداني بينهما ؛ فالنجوم في حالة فقدتها لبريقها ، مريضة تستحق الرعاية ، ويضطرب الليل ويقلق فإذا به — مع سواده — مُعْتَكِرٌ .

ويجلبو للشاعر — كما يبدو لي — أن يربط بين مظاهر الطبيعة — على النحو السابق — بصلات وثيقة ، بعضها مادي والآخر معنوي أو نفسي ؛ ليعوض ما خسرته من إحساسه بهذه الروابط ، وتدمير تلك العلاقات في محيط أسرته العباسية ؛ فالابن ينسى حق أبيه ، فيدبر قتله ، والأخ يسعى في هلاك أخيه دون أن يراعى حرمة الدم والنسب ووشائج المحبة والرعاية .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق دكتور يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٥٧٣/المنسرح .

والشاعر في طريقه لوصف الخمر يجتهد في استدعاء الصور المتابعة التي تنقلها
بخصائصها مثل: مصدرها ، وزمن حفظها في الدن ، وشكل الحَبَابِ على سطحها ، ولونها حين
تختلط بالماء .

فأصلها بنتٌ لكرم العنب ، نبتت فيه متصلة به ، ثم فصلت عنه وأبعدت ، وما زالت تُنسب
إليه .

أما زمن حفظها في الدن ، فهو حقب متعاقبة جعلت الفتاة الصغيرة العضة - بنت العنب -
عجوزاً هرمة أبيضَ شعرها ، واكتمل عُمرها .

وبعد أن نقل أصلها ، ومداهها الزمني في الحفظ للتحويل إلى خمر عن طريق تتابع الصور
الإنسانية ، انتقل إلى تشبيه شكلها ولونها بالمعادن ، فالزبد الأبيض بالزرد من الفضة ، وهي دروع
الحرب تتكون من حلقات متداخلة من الحديد .

والرابط بين وصف حَبَابِ الخمر بالدرع ، وبين الخمر ذاتها ، مهاجتها العقل ، وقضاؤها
على الممّ والحزن - كما يبدو من رأي الشاعر فيها في مواضع أخرى من خمرياته - .

ثم يصوّر الخمر في داخل الكأس فيما يلي سطحها بالذهب الأحمر . ثم يُعزّر هذه الصفة ،
وهذا اللون بوصف شكلها حين يُمزج بها الماء . فحين يسقط عليها تندفع هي إلى الأعلى -
في حركة طبيعية - كرد فعل لاندفاع الماء فيها ، فإذا بالسائل المتصاعد في هذا الموقف لهب
يندلع منها .

وأعتقد أنه لا تفسير لوصفه لها بالنار إلا أنه استحضار لعاقبة شرب الخمر في اللاشعور .
فما يعمل في النفس يُفضي به اللسان . يقول :

أَسْقِيَانِي وَاغْمَبَا طَرَبَا وَأَدِيرَا الْكَأْسَ وَانْتَجِبَا
بِنْتُ كَرَمٍ شَابَ مَفْرُقُهَا وَثَوْتُ فِي دَنَهَا جَقْبَا
وَاكْتَسَتْ مِنْ فِضَّةٍ زَرْدَا خَلَّتْهَا مِنْ نُحْتِهِ ذَهَبَا^(١)
وَكَأَنَّ الْمَاءَ ، إِذْ مُرِجَتْ مُلَعَجٌ فِي كَأْسِهَا لَهَبَا^(٢)

وفي سياق حديث الشاعر عن الخمر هو وصفه لها ، تقف قليلاً عند تصويره لها بمصباح السماء ، ويربط الشاعر كأس الخمر بمصباح السماء ؛ لإرتباطه نفسياً بموعد لقاء .

ويؤكد الارتباط الزمني في الصورة — السابقة الذكر — ، تناول الشاعر لتعاقب الأزمان على الخمر ، وهي في مكانها في الدن ؛ فإذا بها بعد ذلك تفور وتربد ، فهي شهب تقذفها السماء .

ويختتم الشاعر الصورة السابقة بالتأكيد على ضوء الخمر في الكأس بسطع لا يحجبه حجاب ، ولا يمنع من الظهور غطاء ، فيؤكد نفاذه واختراقه للحواجز .

والنسق التصويري في الأبيات يعتمد على خاصيتين هما الضوء واختراقه للحواجز وارتباطه بالزمن . يقول الشاعر :

وَكَأْسٍ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا عَلَى قُبْلَةٍ أَوْ مَوْعِدٍ يَلْقَاءِ
أَتَتْ دُونَهَا الْأَيَّامُ حَتَّى كَأْتِهَا تَسَاقُطُ نُورٍ مِنْ فَوْقِ سَمَاءِ

(١) زرداً : الزُّرْدُ والزُّرْدُ جَلَقَ المِعْفَرِ والدَّرْع . والزُّرْدَةُ : حَلَقَةُ الدَّرْعِ والجمع زُرُود ، والزُّرْدُ مِثْلُ السَّرْدِ ، وهو تَدَاخُلُ جَلَقِ الدَّرْعِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، وَالزُّرْدُ بِتَحْرِيكِ : الدَّرْعُ المَزْرُودَةُ (ابن منظور) معجم لسان العرب ، ج ٢ / ١٨٢٤ .

(٢) ديوان ابن المعتز — دار صادر ، ص ٧٨ .
وأنظر : أبو بكر الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٤ / المديد .

تَرَى ضَوْءَهَا مِنْ ظَاهِرِ الْكَأْسِ سَاطِعاً عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءٍ^(١)

وفي وصف الشاعر ابن المعتز للخمر أيضاً يَصَوِّرُ حَبَابَهَا بِالذُّرِّ الْمُنْتَظَمِ فِي سَلْكِ تَحْتِهِ
الذهب . فكَمَالٌ فِي الْجَمَالِ ، الدر الأبيض منتظمٌ ترتاح إليه العين ، ومن تحته الذهب اللامع
الأصفر .

وأما حالة الخمر فهي التوهج والحركة والتردد في الكأس تزيد بمرور الرياح بها ؛
فاحتكاكهما يزيدا توهجاً ، واندفاعاً كألسنه اللهب .

فالبيت الثاني تحليل وتعليل للبيت الأول ، وبالذات لظاهرة انتظام الحَبَابِ عَلَى سَطْحِ
الخمر . يقول :

كَأَنَّ الْحَبَابَ إِذَا صُفِّقَتْ سُمُوطٌ مِنَ الذُّرِّ فَوْقَ الذَّهَبِ^(٢)

وَتَحْسِيئُهَا قَبْساً مُزْعِجاً إِذَا جَرَشْتَهُ^(٣) الرِّيحُ التَّهْبِ^(٤)

ومن وصف الخمر إلى وصف مجلسها ، وما يضمه من موسيقى ، وغناء وطرب ، مصاحباً
لشرب الخمر .

ثم يتأمل الشاعر في الخمر ، فشأنها معه ، فهو يشربها ويزيلها بشربه وشأنه معها ؛ فهي
تزيل عقله وتفقدته رشده وصوابه ، وتجعله يقترف الفسق والمجون . وحين وصل إلى هذا

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ١٧/الطويل .

(٢) السَّمُوطُ : نَحِيْطُ التَّنْظِمِ لِأَنَّهُ يُعْلَقُ ، وَقِيلَ هِيَ قِلَادَةٌ أُطْوِلُ مِنَ الْمِخْنَقَةِ ، وَجَمْعُهُ سُمُوطٌ (ابن منظور ، لسان
العرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٩٣) .

(٣) الْجَرَشُ : حَلْكَ النَّعْيِ الْحَشِينِ بِمِثْلِهِ وَدَلْكُهُ ، كَمَا تُحْرَشُ الْأَعْيُنُ أَنْبَابَهَا إِذَا احْتَكَّتْ أَطْوَأُهَا تَسْمَعُ لِذَلِكَ
صَوْتًا وَجَرَشًا . وَقِيلَ : هُوَ قَشْرَةٌ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٩٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٩/المقارب .

الحد من التأمل فيها وفي أمرها ، تذكر الوليد بن يزيد ، وشأنه مع الخمر ، حيث أفسدت أمره ، وأدت إلى قتله آخر الأمر .

وموسيقى الأبيات رتبية تسير في نسق واحد — عللاني ، وعود والعنقود وعقلي . ويبدأ الأبيات بالتجريد . فيقول :

عَلَّلَانِي بِصَوْتِ نَائِي وَعُودِ واسْقِيَانِي دَمَ ابْنَةِ الْعُنُقُودِ
أَشْرَبُ الرَّاحَ وَهِيَ تَشْرَبُ عَقْلِي وعلى ذاكَ كَانَ قَتْلُ الْوَلِيدِ^(١)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٠١/الخفيف . ثم انظر ترجمة للوليد بن يزيد ، وقتله والسبب في ذلك ص ١٨ من هذا البحث .

وفي مقدمات شعر الصيد كثيراً ما يقف الشاعر عند رحيل الليل وقدام الصبح ، وكأنه يرمز عنده إلى بداية الحياة وإنتائها .

وفي إحدى المقدمات يتحدث عن خروجه في وقت رحيل الليل شديد السواد يصوره بالحبشي الهارب . فالكون مدىً يحتويه نظر الشاعر ، يرى فيه الحبشي الفار من أصحابٍ مثله .

والصبح يتمثل أمامه بنوره وضوئه مبتسماً لقدمه وذهاب الليل ، والفرار لليل يعني سرعة إنتائه ، وضحك الصبح يعني الانشراح والانطلاق والسعادة والتفاؤل .

وكانني بإحساس الشاعر في البيتين ينتظر هذا الصباح مما جعله يحسن سرعة رحيل الليل الفار الهارب . يقول :

قد اغتدي والليل في مآبه كالحبشي فر من أصحابه
والصبح قد كشف عن أنيابه كأنه يضحك من ذهابه^(١)

وأنياب الصبح ذلك البياض الممتد في الأفق حين ظهوره مبكراً ، بعد رحيل الليل .

وبدلاً من المقدمات التقليدية التي وقف فيها القدماء على أطلال المحبوبة ، يقف ابن المعتز على أماكن مخصصة له ، ربما كان ارتباطها بمن يُحب ، أو بذكريات أخرى ، والأغلب أنه يقصدها لشرب الخمر بها .

والجديد في هذه المقدمة أنه إذا كان القدماء قد شغلوا بالأطلال ، فهو قد شغل عنها بأماكن يُسميها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٣ /الرجز .

وطريقة الشاعر هنا في التصوير غير شائعة ، إذ يصور المحبوبة بمواطن من الجمال المكتمل بعدد من الصور متوالية . وأن أسنانها كالجواهر والدَّرّ أو الزينة الملونة أو زهر الرياض حين يبدو في أجمل صورة .

وفي تشبيهه بديع يصور الشاعر لنا موقفه من الدهر ، وموقف الدهر منه . فالدهر يتربّص به ، وما زال يُلاحقه ويؤدبه ، ويسعى إلى عذاب قلبه وإيلامه . ويسقيه الشقاء والتعاسة .

ثم يتوغّل الشاعر في الصورة أكثر فيشبه قلبه في صدره بالطائر القلق المضطرب الذي لا يعرف السكينة لأنه محبوس .

وأن يرمز الشاعر إلى نفسه وقلبه بالطائر الحبيس ، فهي فكرة متداولة بين الشعراء ، يعبرون بها عن الأفكار والآمال والرغبات التي لا يمكنهم التعبير عنها أو اظهارها ، إلا أن ظروف ابن المعتز تختلف عن ظروف شاعر آخر ، بفقده عدداً من أهله يُقتلون على يد الأتراك (جده ، وأبوه ، وأعمامه) ، ثم إن مصاب الشاعر في نفسه أعظم : إذ لم يجد نفسه في المكان اللائق به ، وهو من أكثر بني العباس علماً وعقلاً ، وكان من المتقدمين في زمانه . إلا أنه لم يحظ بمكانة تليق به ، ولم ينل حظه من ميراث أجداده في الخلافة ، وهو ابن خليفة وحفيد خليفة . يقول الشاعر :

شُعْبُكَ عَنْ أَطْلَالٍ وَهَيْبِنَا^(١) وَعَنْ رُسُومٍ أَفْقَرَتْ جِينَا
بِالْكَرْحِ وَالْقَفْصِ وَقَطْرُبَيْلٍ وَطَيْرِنَابِئِادَ وَكِرْكِينَا^(٢)

(١) وَهَيْبِنَا : جبل من جبال الدهناء (صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفي سنة ٧٣٩ ، في كتاب مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، وهو مختصر معجم البلدان لياقوت ، تحقيق وتعليق على البخاري ، ط ١ ، ج ٣ ، ص ٤٤٦) .

(٢) الْكَرْحُ : سُوقٌ يَبْعُدُ نَبْطِيْسَةً ، وَفِي التَّهْدِيبِ : كَرْحٌ بَعْدَ تَعْرِيفٍ ، وَأَكْبَرُخُ مَوْضِعٌ فِي السَّوَادِ ... وَفِي التَّهْدِيبِ : الْكَرَاخَةُ الْكَارْحُ الرَّجُلُ الَّذِي يَسْتَوِقُّ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ، سَوَادِيَّةٌ (ابن منظور : معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٨٤٩) .

وشادِنِ عَذْبَنِي جُبُهُ مُعْرِقٍ مِنْ صُدْغِهِ نُؤْنَا
كَأَنْبِي حِينَ أَرَى وَجْهَهُ وَقَدْ فَقَدْنَا مَنْ يُرَاعِينَا
أَكْشِفُ عَنْ دُرٍّ وَعَنْ جَوْهَرٍ قَدْ رَاحَ فِي الْأَسْفَاطِ مَكُونَنَا^(١)
أَوْ أَنْشُرُ الْوَشْيَ الطَّرَازِيَّ أَوْ أَفْتَحُ عَنْ نُورٍ بَسَاتِينَنَا
نُقَرَّ قَلْبِي بَيْنَ أَضْلَاعِهِ دَهْرٌ يُحْسِيهِ الْأَمْرِينَا

القفس : أو القفس : بالضم ثم السكون ، والسين المهملة ، أكثر ما يتلفظ غير أهله
بالصاد : جبل بكرمان أهله كالأكراد ، يُقال لهم القفس والبلوص .. وهو مما يلي البحر ، وأصل
أهله عرب لم يكن لهم دين ، يرجعون إليه موصوفون بقلّة الرحمة والفساد في الأرض ... وقد تتبعهم عضد
الدولة حتى أفناهم (صفى الدين البغدادي ، كتاب مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ،
ج ٣ / ١١١٣ .

قَطْرُبُل : بالضم ، ثم السكون ، وفتح الراء ، وباء مشددة مضمومة ، ولام ... قرية بين بغداد
وعُكْرَا ... يضاف إليها الخمر والحانات ، وهي الآن خراب .. (المصدر السابق ، ج ٣ ،
ص ١١٠٦) .

طَيْرِزَابَاذ : بالكسر ، ثم السكون ، ثم زاي مفتوحة ، ونون وبعد ألفها باء موحدة ، وآخره ذال معجمة ،
موضع بين الكوفة والقادسية . على جادة الطريق إلى مكة ، بينها وبين القادسية ميل ، وهي الآن خراب لم
يبق بها إلا أثر قباب أبي نواس ، الذي أنشد بذكرها :

قَلَبُوا تَسْلُكَ بَعْدَ الْحَجِّ قَلْتُ لَهُمْ أَرْجُو الْإِلَهَ وَأُخْشِي طَيْرِزَابَاذَا
(المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٠٠) .

كِرْكِنِيَا : بكسر الكافين ، وآخره نون ، من قرى بغداد و قرب البَردان (صفى الدين البغدادي ،
كتاب مرصد الاطلاع ، ج ٣ ، ص ١١٦٠) .

(١) الأَسْفَاطُ : السَّفَطُ : الذي يُعْبَى فِيهِ الطَّيْبُ ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَدْوَاتِ النَّسَاءِ ، وَالسَّفَطُ مَعْرُوفٌ . ابْنُ سِيدِهِ :
السَّفَطُ كَالجَوَالِقِ وَالجَمْعُ أَسْفَاطٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ٢٠٢٧) .

كطائر في قفص لم يزل مضطرباً مُذْ كَانَ مَسْجُوناً^(١)

وتيار الشعور مترابط في الأبيات منذ أول بيت إلى آخر بيت ؛ فاشتغاله عن أماكن أحبها وأحب ارتيادها ، وانشغاله عن من يجب ، كان سببه انصرافه إلى آلام نفسه ، وتوجعات قلبه اللذين أصابهما الدهر أيما إصابة !

هذا فيما يختص بمقدمات الصيد ، أما بالنسبة لقصيدة الصيد نفسها فمن بديع تصوير الشاعر لسرعة الكلب ، وخروجه سريعاً فيستمر في العدو طويلاً ، ثم يربط الشاعر — كعادته — بين خروجه للصيد ، والزمن ، وشكل الطبيعة ، وهو وقت رحيل الليل وطلوع الفجر . فالليل هو الأعم والأشمل ، وهو المسيطر على الكون . وكأن الفجر موقد به ، تظهر منه أشعة ضوء الفجر ونوره .

وبعد تحديده للوقت بالضبط من خلال مكان الفجر من الليل . وعلاقة كل منهما بالآخر ، عاد الشاعر مرة أخرى إلى الحديث عن سرعة الكلب ، فهو يعدو مادام الطريق يمتد أمامه للسير . وهي مبالغة طريفة من الشاعر ، أن يجعل السرعة في غايتها ومنتهاها ، ليس لها ضابط سوى انتهاء الطريق ، فكلما امتد الطريق استمر في السرعة .

ثم ينتقل أيضاً إلى وصف سرعة الخيل بقوائمها في سباق مع بعضها البعض ، فالأيدي تُسرع وتجري ، والأرجل تقتفي أثرها في السرعة .

وبعد أن وصف الشاعر سرعة كلاً منها على حدة ، الكلاب أولاً ثم الخيل ، صور بعد ذلك أثر هذه السرعة ؛ فصوت عدو الكلاب والخيل وركضها كان يشبه صوت البرق والرعد . فحركة حوافر الخيل ، وقوائم الكلاب على الأرض تُحدث صوتاً عالياً لا يتبينه السامع ، ولا يُدرك مصدره فيتخيله من السماء .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٧ — ٤٧٨/السريع .

فيصل الشاعر الأرض بالسماء ، فالحركة صداها في الأرض ، ولكن صوتها يصدر من السماء ، فخيال الشاعر جمعها في صورة واحدة .

ثم يتعمق الشاعر الصورة أكثر ، فيذكر انطباعات أخرى للناظر إلى هذا المشهد المركب من عناصر سبق له ذكرها ، وبيان علاقتها ، الكلاب والخيول السريعة المستمرة الحركة ، تسبب حركتها في تطاير الغبار في الفضاء . وهو على هذه الهيئة يشبه ملاءً نشره غسال ينتظر جفافه .

ثم يُوغل الشاعر في الصورة أكثر ، فملاء الغسال بين النشر والطيء ، فالنشر يقوم به السهل عندما تمر به الكلاب والخيول المسرعة ، فما تكاد تصل الجبل حتى يطويها فلا تظهر ، وهي في بعدها كأنها قريبة . فيطول نفس الشاعر في الصور ، ويأتي بها متلاحقة متتابعة ، ويصل بينها بعري وثيقة ... يقول :

عَدُوْتُ لِلصَّيْدِ بَعْضُفٍ كَالْقَبْدُ
والليلُ قد رَقَّ على وجهِ البَلْدِ^(١)
وابتَلَّ سِرْبَالُ النِّسِيمِ وَبَرَدُ
والفجرُ في ليلِ الظلامِ يَتَّقِدُ^(٢)
غواضِفُ مُتَهَيِّاتٍ لِلأَمْنِ
ما يَسْتَرْدُهَا الشَّوْطُ من عَدُوِّ تَرْدُ
وتَقْتَضِي الأرجلُ والأيدي تَعِيدُ
لَمَّا غَدَوْنَا وَغَدَتْ خَيْلُ الطَّرْدِ

(١) غُضِفَ : قيل للكلاب غُضِفَ ، إذا اسْتَرَحَّتْ آذَانُهَا على المَحوَرَةِ مِنْ طُولِهَا وَسَعَتِهَا ، ... وَالغُضْفُ كِلابُ الصَّيْدِ مِنْ ذَلِكَ ، صِفَةٌ غَالِبَةٌ وَغُضِفَ الكَلْبُ أذُنُهُ غُضْفًا وَغُضْفَانًا ، وَغُضْفَانًا : لَوَاهَا ، وَكَذَلِكَ إِذَا لَوَتْهَا التَّرِيحُ ، وَقِيلَ غُضِفَهَا أَرْجَاهَا وَكَسَرَهَا ، وَالغُضْفُ ، بِالتَّخْرِيقِ : اسْتِرْحَاءٌ فِي الأذُنِ ، وَفِي التَّهْدِيدِ : الغُضْفُ اسْتِرْحَاءٌ أَعْلَى الأذُنِ على مَحَارَتِهَا مِنْ سَعَتِهَا وَعَظَمِهَا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٢٦٧) .

(٢) سِرْبَالُ : السَّرْبَالُ : القَمِيصُ وَالدَّرْعُ ، وَقِيلَ : كل ما لَيْسَ ، فهو سِرْبَالٌ وَقَدْ تَسْرَبَلَ بِهِ ، وَسَرَبَلَهُ إِيَّاهُ . وَسَرَبَلْتُهُ فَتَسْرَبَلَ أَي أَلْبَسْتُهُ السَّرْبَالَ ...

وقيل في قوله تعالى : ﴿ سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾ ﴿ إِنَّا القَمِيصُ نَقَى الحَرَّ وَالبُرْدُ فَانْكَفَى بِذِكْرِ الحَرِّ ، كَأَنَّ مَا وَقَى الحَرَّ وَقَى البُرْدَ . وَأما قوله تعالى : ﴿ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بِأَسْكَكُمْ ﴾ فهي الدَّرُوعُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٩٨٣) .

أَبْرَقَ بِالرَّكْضِ الْفِضَاءُ وَرَعَدَ وَقَامَ شَيْطَانُ الْحَرِيصِ وَقَعَدَ
وَطَارَ نَقَعٌ فِي السَّمَاءِ وَرَكَدَ كَأَنَّ مَلَأَهُ مَلَأٌ غَسَّالٌ جُدَّدُ^(١)
يَنْشُرُهَا السَّهْلُ وَيَطْوِيهَا الْجَدُّ مَثَلُ الْقَرِيبِ عِنْدَهَا مَا قَدْ بَعُدَ

والصورة مع بساطتها عميقة التناول تلائم نسق الصورة السابقة في ربطها الأرض بالسماء .
والملاء يُنْشَرُ بين الأرض والسماء ليحف ماؤه ثم يُطْوَى ، فشدة السرعة ، وما يترتب عليها .
استدعت في خيال الشاعر رؤى من الطبيعة ؛ ليعمق إحساسنا بالسرعة ، ويلتقط الصور التي تبين
مداها وأثرها الدال عليها .

ومن خلال تصوير الشاعر للسرعة على هذا النحو ، وإبداعه في تناولها على هذا النسق
الفني ، ثم إطالته التأمل فيها ، ونقلها متلائمة من جيز الطبيعة تجمعها وتشترك فيها ، يتبين خطأ
القول بأن المعتز لا يُجيد إلا التشبيه بالفنائس كالذهب واللؤلؤ والفضة والجواهر ، وإن التشبيه
عنده إنما يستمد جودته من نفاسة مادته . ذلك أن التشبيه الذي مرُّ بنا منذ قليل لا أثر لمثل تلك
الفنائس فيه ، ومع ذلك فقد لمسنا روعته ، وحسن تناوله ، وبديع تركيبه .



(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، في كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٣٣ - ٤٣٤ /الرجز .

الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة .

الفصل الثاني

العناية بتفاصيل الصورة

وهي من أوسع الخصائص في شعر ابن المعتز ، فالشاعر ينقلك إلى خياله ؛ لترى معالم الصورة عنده — شكلها أو هيئتها أو لونها — في إحساسه بها ، وانطباعه عنها ؛ فيخلق لها كوناً جديداً في عالمه الشعري ، مادامت قد مرت بخبرته التأملية ، واتسع لها نطاق شعوره .

والظواهر التي يتناولها الشاعر هي كل ما يمكن أن يمرّ بخبراته اليومية في الطبيعة أو الحياة المادية .

ومادة الصورة عنده مستمدة أيضاً من تلك الظواهر ، إذ يربط الشاعر بين الظواهر والصور ، فيجعل الصورة ظللاً للظاهرة لا تنفك عنها وتتلون بألوانها ، وتشكل بأشكالها .

ويبقى للشاعر فضل تلك التركيبة الفنية المتقنة ، والتي هي مزيج من الظاهرة والصورة ، ثم فكره وإحساسه بهما وانطباعه النفسي الذي يحرك هذا الإحساس .

ولنتبع بعض الصور التي اتضح إصرار الشاعر على بيان أشكالها وهيئاتها وألوانها من خلال أغراض شعر الوصف الثلاثة الطبيعية ثم الخمر والصيد .

وفي مقدمة الصور في وصف الطبيعة ، أبياته المشهورة في تشبيه الهلال وحوله النجوم بالمنجل من الفضة يحصد النرجس ، وبها يُستدل أيضاً على براعة الشاعر في الوصف .

لقد استطاع الشاعر أن ينقل إلى قارئه استدارة الهلال غير الكاملة ، وبياضه ولمعانه ، ثم شكل النجوم المنتشرة حوله ، وهي أيضاً بيضاء جميلة وتبقى الحركة في الفعل (يحصد) ، تنقل لنا إحساس الشاعر بالهلال ، وعلاقته بالنجوم من حوله . فهي علاقة الأصل بالفرع ، والقائم على من يستحق الرعاية .

ثم يقيم الشاعر صلة بينك وبينه بقوله في أول البيتين انظر ...

يقول :

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هِلَالِي بَدَا يَهْتِكُ مِنْ أَنْوَارِهِ الْجِنْدَسَا
كَمِنْجَلِي قَدْ صَيَّعَ مِنْ فِضَّةِ يَخْصُدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى تَرْجَسَا^(١)

وبكثير من الدقة يصف الشاعر المصباح في المجلس بقمر مشرق ، ثم يشبهه بالترس من الفضة يُمزق الظلمة .

وقد وُفق الشاعر في نقل الصورة بظاهاها ، وبقى بها جانب خفي رمزي ، يتأق من تشبيه الشاعر المصباح المستدير بالترس ، وهو سلاح في الحرب يتقي به المقاتل الضربات ، ويختفي خلفه . ثم إن هذا الترس المصنوع من الفضة يُمزق الظلام ويُشّته ، وربما كانت ظلمة الدجى في الصورة رمز للظلم والجور والبغي والطغيان ، ويؤكد هذا التفسير للصورة ذكره للمثبه مضافة إليه نون المتكلمين وعلى رأسهم الشاعر الذي تولى مهمة التعبير . يقول :

ومصباحًا قمراً مشرقاً كترس^(٢) اللجين يشقُّ الدجى^(٣)

وله تصوير رائع وبديع للقشاء ، يُبين فيه شكلها وهيئتها ولونها . فهي أنابيب مجمعة إلى بعضها البعض ، مادتها الزمرد الأخضر الممتد ، وينفي عنها اتصالها بالورق .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ٦٠٥ - ٦٠٦ / السريع .

(٢) الترس من السلاح المتوقى بها ، معروف ، وجمعه أتراس وتراس وترسة وتروس (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٢٨) . وهو قرص معدني مستدير ، يستتر خلفه المقاتل .

(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٢ / المتقارب .

ويصوّر الشاعر شكلها ولونها ، ويترك تحديد طولها ، وكأن الأنابيب المجتمعة إلى بعضها البعض أغرته بأن يتركها ممتدة . من إحساسه وإلى كل إحساس ترك الشعور بأهمية الالتفاف والوحدة والألفة والتقارب . والقشاء هي النموذج الرائع من الطبيعة . يعطينا درساً للجمال في الاجتماع ، ونتيجته قوة تصنع السلام ، ولون الخضرة يرمز إليه . يقول :

انظر إليه أنابيباً منضّدةً من الزُّمردِ حُضراً ما لها ورَقُ
إذا قلبت اسمه باثت ملاحظته وصار مقلوبه أني بكم أثق^(١)

وأما النارج^(٢) فيصف الشاعر شكله ولونه وهيئته على الشجرة فالنارج كُرّة من الذهب الخالص . ليؤكد الشاعر على لونها شديد الصفرة ، واستدارتها ، ثم يصورها في مكانها على الشجرة ، فإذا هي الكرة المذهبة رماها الصولجان^(٣) ؛ فبقيت معلقةً في الهواء ، والجانب الأخير في الصورة ، من صنع خيال الشاعر ، إذ لا وجود في الطبيعة لكرة تتعلق في الهواء ولا تسقط .

يقول في الكامل :

وكأنما النارجُ في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يُخلط
كُرّة رماها الصولجان إلى الهوا فتعلقت في جوه لم تسقط^(٤)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٢٣/البيسط .

(٢) التارنج : شجرة مثمرة من الفصيلة السذابية دائمة الخضرة . تسمو بضعة أمتار ، أوراقها جلدية خضراء لامعة ، لها رائحة عطرية ، وأزهارها بيض عبقة الرائحة ، تظهر في الربيع . والثمرة لينة تُعرف كذلك بالنارج ، عصارها حمضية مرّة ، وتُستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر ... (المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٩١٢ - ٩١٣) .

(٣) الصولجان : العود المِعْوَج . قال سيويه : فارسيٌّ مُعَرَّبٌ والجمع صَوَالِجَةٌ والهَاءُ لِمَكَانِ الْعُجْمَةِ ... التهذيب : الصولجان عَصَا يُعْطَفُ طَرَفُهَا يُضْرَبُ بِهَا الْكُرَّةُ عَلَى الدُّوَابِّ ، فَأَمَّا الْعَصَا الَّتِي أَعْوَجَ طَرَفُهَا خَلَقَتْ فِي شَجَرَتِهَا فَهِيَ مِخْجَنٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦١٠/الكامل .

والصورتان السابقتان والصورة الأخيرة خاصة بالشاعر ، لم يتناولها شاعر مثله على هذا النمط .

وإذا خرج الشاعر إلى الطبيعة ، وتجوّل في أرجائها ، فإنه لا ينسى أن يصف أجزاءها بصفات الذهب ، وخصائصه التي نعرفها عنه .

فالعدير^(١) حين تسقط الشمس عليه ، يعتقد الناظر إلى سطح الماء أنه درع صنع من الذهب .

فالشاعر دقيق في رسم الصورة ، فاختلاط أشعة الشمس بسطح الماء الذي حركته ريح الصبا يُحيل سطحه أصفرًا موجاً ، كأنه درع من الذهب .

يقول في المتقارب :

عَدِيرٌ يُرْجِرُ أَمْوَاجَهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا^(٢)

إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ تَوَهَّمْتُهُ جَوْشَنًا^(٣) مُذْهِبًا^(٤)

(١) العدير : القطعة من الماء يُغادرها السيل ، أي يتركها ... وقد قيل : إنه من العذر ؛ لأنه يُخَوّنُ وِرَادَهُ فَيَنْضُبُ عنهم ، ويفدر بأهله فينقطع عندما تشتد الحاجة إليه (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٢١٧) .

(٢) والصبا : ريحٌ معروفة تقابل الدبور . الصحاح : الصبا ريحٌ ومهبها المستوى أن تهب من موضع مَطَّلَعِ الشَّمْسِ إذا استوى الليل والنهار. ونسختها الدبور . المحكم : والصبا ريح تستقبل البيت ، قيل : لأنها تحن إلى البيت . وقال ابن الاعرابي : مَهَبُ الصَّبَا مِنْ مَطَّلَعِ الثُّرَيَّا إِلَى بَنَاتِ نَعَشٍ . ومن تذكرة أبي علي : تكون اسماً وصفة ، وتنتبه صنوان وصبيان (عن اللحياني) ، والجمع صبوات وأصباء . وقد صبت الرِّيحُ تَصْبُو صَبَاً وَصَبَاً (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٣٩٨ ، ٢٣٩٩) .

(٣) الجَوْشَنُ : الدَّرْعُ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٢٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥١٠/المتقارب .

ومصدر الصورة الحرب بأحداثها وأدواتها التي تُثري خيال الشعراء .

إلا أن الشاعر جعل طرفي الصورة نكرة ، فقال : (غدير ، وجوشنا) ، والتنكير هنا أفاد الصورة التعميم ، فأصبحت بمثابة لوحة فنية لمظهر من مظاهر الجمال في الطبيعة . مع أن تشبيه الغدير بالدرع المذهب أفاد المشبه قوة وصلابة ، والذهب وصف به الغدير بلونه حين تشرق الشمس عليه لينقل لنا لونه كما تراءى للشاعر في وقت رؤيته له .

والنار كذلك تحظى من الشاعر بتصوير بديع ، فيصفها في اندفاعها ، وانتشار ضوئها بالسيوف المصقولة ، يتم صقلها بين عيدان الحطب . وهذا التشبيه ينقل لنا شكل ألسنة النار ولعانها وضوئها ، واستقامتها . والنار والسيوف تشترك في صفة واحدة هي التوجه إلى القتل والدمار ، والصلة بينهما وثيقة ؛ فالسيوف تُصاغ من المعدن بتعرضه للنار ثم تصقل فيها أيضاً . يقول :

مُشَهَّرَةٌ لَا يَحْجُبُ الْبُخْلُ ضَوْءَهَا كَأَنَّ سِوْفًا بَيْنَ عِيدَانِهَا تُجَلَّى^(١)

وَمُشَهَّرَةٌ صِفَةٌ لِأَلْسِنَةِ النَّارِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْرَحْ بِإِسْمِهَا فِي الْبَيْتِ لِذِلَالَةِ الْمَعْنَى عَلَيْهَا . وَلِوُجُودِ قِرَائِنٍ لَفْظِيَّةٍ مِثْلَ (ضَوْءَهَا ، تُجَلَّى) .

والسيوف أيضاً أولى مستلزمات الحرب ، فيستحضر الشاعر صورها في أكثر من موضع .

وَذَكَرَ الشَّاعِرُ لِلْبُخْلِ فِي الْبَيْتِ ؛ لِإِرْتِبَاطِ النَّارِ بِالكَرْمِ ، وَالكَرِيمِ هُوَ الَّذِي يُشْعَلُ نَارَهُ لِيَرَاهَا الْمَسَافِرُ فِي اللَّيْلِ ، وَيَقْدَمُ عَلَيْهِ .

ثم وصف آخر للنار المندفعة بين عيدان الحطب بالخيل ثمزق عنها غطاءها ، فالنار والسيوف والخيل هذه هي أجزاء الصورة .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يوس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٣/الطويل .

والتشبيه هنا في ظاهرة بيان شكل خروج النار من بين عيدان الحطب المتقاربة ، ثم شبه لون الخيل بلون النار . يقول :

تُفَرِّجُ أَغْصَانَ الْوَقُودِ إِذَا التَّقَتْ كَمَا شَقَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جُلًّا^(١)

خيال لَمَاحٍ استطاع الشاعر به أن يُخرج لنا من بين عيدان الحطب، وألسنة ناره خيلاً نافرة، تُمزق ما عليها ، والخيل رمز للقوة والخير ، والصورة حافلة بالحركة في طرفيها في قوله [تفرِّج - وشقت] .

وينظر الشاعر إلى السماء ، ويتأمل الثريا^(٢) في صور كثيرة ، وأشكال متعددة ، توافق صوراً وأشكالاً ، وأنماطاً تطالعها في حياته من قبل من حوله .

فالثريا - كما بدا له شكلها في السماء - تشبه العقنود .

فيحدد الشاعر وقت الزيارة ، في الليل حين اشتد سواداً في جوانبه ، وأن سواد الليل هو الذي أتاح له رؤية الثريا في غرب السماء بالعنقود .

(١) الشقراء : أنثى الخيل .

جُلًّا : ما يُغطى به ظهرها من نسيج غليظ .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣٣/الطويل .

(٣) وهي النجم كما يُطلق عليها أحياناً ، وهي ستة كواكب متقاربة جداً (انظر : د. يحيى شامي ، كتاب النجوم في الشعر العربي القديم حتى أواخر العصر الأموي ص ٩٣ ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م ، الناشر : دار الآفاق الجديدة ، بيروت) وتتألف الثريا كما كشفت المراقب المنظورة حديثاً من رشاش من النجوم له أصل واحد ، وهي تقع على بعد ٢,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل (انظر هامش ص ٩٣ من كتاب النجوم في الشعر العربي القديم ، نقلاً عن مشارف علم الفلك - لوحة ١٧ ، ٢١٢) . ومعها سابغ خافت سُميت بهذا الاسم لما يتجم عن مطرها من الثروة والغنى وهي تصغير تُرُوى ، ولم يُنطق بها إلا مُصَغَّرَةً (ابن رشيقي ، كتاب العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٥٦) .

يقول :

زارني والدُّجَى أَحْمُ الحَواشي والثَّرِيَا في الغَربِ كالعُنُقودِ
وهلالُ السماءِ طَـوَقُ عروس باتُ يُجَلَى على غلائلِ سُودِ^(١)

ويؤكد الشاعر سواد الليل ، بوصفه للهلال بطوق عروس يُلْمَعُ على قماش أسود ، فتشبيه الهلال بالطوق كناية عن استدارته المفرغة أول الشهر أو آخره ، وعُنصر الربط أقوى بين الصورتين السابقتين .

ثم أوجد الشاعر رابطة نفسية عميقة بين الهلال الذي يشبه في استدارته نصف السوار ، والثريا التي تشبه كفاً مشيرة إليه ، معجبة به ، والتصوير هنا في ظاهرة لنقل الشكل يقول :

وكانَ المَجَرُّ جَدَوُلُ ماءٍ نَوَّرَ الأَقْحوانُ في جانِبَيْهِ
وكانَ الهِلالُ يَصِفُ سِوارِ والثَّرِيَا كَفَّ تُشِيرُ إِلَيْهِ^(٢)

وكما ألمح الشاعر إلى صفة نفسية إنسانية في الصورة السابقة للثريا ، فهو ينظر إليها في الغرب ، فإذا السماء تعكس شكل غصن من الزهر على صفحتها ، فالسماء مرآة صافية تنقل بصدق ما على الأرض . والتصوير هنا أيضاً لنقل الشكل في الظاهر ، وإن كان الشاعر يقرب بين السماء والأرض .

ومما يدل على ذلك أن الصورة المتأملة في السماء ، تُحديده لمكانها في الغرب . يقول :

والثَّرِيَا كَنَـوَرِ غُصْنِ من على العَـرَبِ قد تُثِيرُ^(٣)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول

الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٦/الخفيف .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٥٥/الخفيف .

وانظر : ديوان ابن المعتز ، دار صادر ص ٤٧١ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٢٦/الخفيف .

هذا من شعر الطبيعة في تفاصيل الصورة . أما شعر الخمر ، فيقدم الشاعر لإحدى خمرياته بوصف شكل الثُّرَيَّا في إطار حديثه عن الكون لتحديد وقت شربه الخمر .

فظلمة الليل تحيِّم على الكون من كل جانب ، والنجوم راکضة في حلبته ، ثم يطوي المدى الزمني لليل ، ويتحدث عن الثُّرَيَّا في آخر الليل فإذا هي أشكال مختلفة ليس بينها رابطة ، زهرٌ متفتح ، أو لجام من الفضة البيضاء اللامعة .

والكون بأطرافه ، مسافة محددة في خيال الشاعر يحتويها . فهو ليس إلا حلبة للسباق ، تتسابق فيها النجوم .

وأركض الذي وُصف به النجم ، والتفتح الذي وصفت به الثُّرَيَّا ، يعبر بهما الشاعر عن حالتي الظهور والإختفاء والتلاؤؤ . يقول :

ألا سَقَنِيهَا وَالظَّلَامُ مَقْوُوضٌ وَنَجْمُ الدُّجَى فِي حَلْبَةِ اللَّيْلِ يَرْكُضُ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نُورَ أَوْ لِيَجَامَ مُفَضَّضٌ^(١)

أما أباريق الراح المصنوعة من الفضة ، فهي تشبه الطباء وقفت بمكان مرتفع .

فالقيمة الجمالية لإبريق الراح ، وشكله وهيبته قائماً بين الشارين، جعل الشاعر يشبِّهه بالطباء تقف في مكانٍ مُرتفع ، وجمال الأباريق من خلال إحساس شارب الخمر بها . يقول :

كَأَنَّ أَبَارِيْقَ الرَّقْمِيْنَ لَدَيْهِمْ طِبَاءٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ قِيَامٌ^(٢)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٦٧/الطويل .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٠/الطويل .

وحين يصف الشاعر الخمر في رائحتها ولونها وشكلها حين تُصَبُّ في الكأس ، يشبها بالخنجر في نفوسه . وإن اختياره للخنجر في وصف الخمر يرتبط باغتيالها العقل ، وفتكها به . ثم يملأ الساقى الكأس بخمر كالعقيق في حُمرتها القانية ، يظهر المسك في اخر الكأس من شدة حمرة ، وقلة انعكاس الضوء عليه ، وكذلك شبهه بالخمر في إزالة الهم . يقول

وطاف بها ساقٍ أديبٍ بمبزلٍ كَخَنْجَرٍ عِيَارِ صِنَاعَتِهِ الْفَسْكَ
وَحَمَلْ آذْرِيُونَةَ فَوْقَ أَذْنِهِ^(١) كَكَأْسِ عَقِيقٍ^(٢) فِي قَرَارَتِهَا مِسْكَ^(٣) ؛
وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ تُرْفُلُ فِي الدُّجَى فَكَانَ لَيْسَرَ اللَّيْلِ مِنْ نُورِهَا هَتَاً

والاطار العام لتصوير الخمر هو تشبيهاها في صفرتها بالشمس ، وحمرتها بالعقيق أو الدم ، وأحياناً أخرى يشبها بالذهب، ومرة بالفضة .

فسير الشاعر على هذا النشق في تصويره للخمر . فإذا شبهها الشاعر بالشمس ، نقل لك أشعتها اللامعة ، وأبرز لونها وأشعتها ، وسواد الليل حولها . وذكَّره لسواد الليالي ، نُقِلَ للصورة من الطبيعة — وهي الشمس — إلى عالم الخيال الشعري ؛ فالشمس في الواقع لا تسطع في الليل . ويتحفظ الشاعر في إطلاق التشبيه فيجعل الاستخلاف خاص بأشعة الشمس وضوئها . يقول :

رُوحٌ دَنَّ صَفْرَاءَ تَسْتَخْلَفُ الشَّمْسَ مِنْ سَنَاهَا عَلَى سَوَادِ اللَّيَالِي^(٤)

- (١) الازديون : نبات زَهْرِيٌّ خَرِيفِي ، زهره اصفر أو احمر ذهبي ، في وسطه خَمَلٌ أسود ، وهو من فصيلة المركبات الأثيوبية (المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١) .
- (٢) تحقيق : أستخدم اللفظ في البيت وهو غير ملائم للمعنى ، وربما كان خطأ مطبعياً ، أرتحجيف
- (٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٣/الطويل .
- (٤) المصدر السابق ، ص ٢١١/الخفيف .

ويستمر الشاعر في مواضع أخرى من شعره في ملاحظة خارجية للظواهر من حوله ، وربطها بظواهر أخرى مادية ليس للشاعر فضل فيها سوى قوة ملاحظتها وربطها ، وهو في هذا يشبه الشاعر الجاهلي ، ويمزج ذلك بإستخدام الصنعة ، التي أخذ بها الشاعر العباسي المحدث .

فحمرة الخمر إن لم تكن تشبه العقيق فهي تشبه الدم ، ولناسبة وصفها بالدم ، يشبه زقها^(١) برجل من الزنج مؤثق ومذبوح .

وهذا التشبيه للزق بالمذبوح يرجع إلى الاشتراك في اللون الأسود ، وسيلان اللون الأحمر منه . والصورة تقليدية للزق تناولها شعراء الخمر السابقين عليه . يقول :

يَيْسُتُ يَسْحَبُ زَقاً أَوْ يُفْرَغُهُ كَمُوثِيٍّ مِنْ رِجَالِ الزُّنْجِ مَذْبُوحِ^(٢)

ويذكر الشاعر للخمر أكثر من لون ، فيذكر لونها قبل المزج وبعده ، فهي تُشبه الحدود الوردية اللون ، فحمرتها خفيفة ، وقبل مزجها كلون الياقوت الأحمر القاني ، وهو وصف دقيق جداً للون الخمر ، فهي إلى نفسه كرؤيته لهاتين الصورتين [الحد المورد ، والياقوت] والشاعر هنا فنان يعطيك درجة لونها بدقة . يقول :

وهي بعد المِزاجِ تُورِيْدُ خَدْ وهي مثلُ الياقوتِ قبلَ المِزاجِ^(٣)

(١) الزُّقُ : السَّعَاءُ ، وَجَمْعُ القِلَّةِ أَرْقَاقٌ ، والكثير زِقَاقٌ وَزُقَاقٌ مثل ذئبٍ وَذُؤْبَانٍ ، والزُّقُ من الأُهبِ : كُلُّ وعاءٍ انْحَدَّ لِشَرَابٍ ونحوه . وقيل : لا يَسْمَى زَقاً حَتَّى يُسْلَخَ مِنْ قَبْلِ عُنُقِهِ ، وَتَرْقِيقُهُ سَلَخَةٌ مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ . قال أبو حنيفة : الزُّقُ هو الذي يُنْقَلُ فِيهِ الخمر ، والجَمْعُ أَرْقَاقٌ وَأَرْقُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٨٤٥) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٣/البيسط .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٨/الخفيف .

ويتحدث الشاعر عن الصيد بجوارحه وضواريه ، ويصف البازي أكثر من وصفه غيره ، فينقل شكله وسرعته ، ثم يتناول دوره في عملية الصيد ، وما يفعله في سبيل حصوله عليه . يقول :

غَدَوْتُ لِلصَيْدِ بِفَثِيانٍ تُجِبُّ وَسَبِّ لِلرِّزْقِ مِنْ خَيْرِ سَبِّ
غَدَا فَلَاقَى الطَّيْرَ حَتْفَ مَنْ كَتَبُ وَهِيَ عَلَى مَاءِ الْخَلِيحِ تُصَطَّخِبُ
يَطْلُبُ دَيْنًا فِي النُّفُوسِ قَدْ وَجِبُ ذُو مُقْلَةٍ تَهْتِكُ أُسْتَارَ الْحُجُبِ
كَأَنَّهَا فِي الرَّأْسِ مِسْمَارُ ذَهَبُ كَانَتْ لَنَا وَسِيلَةَ فَلَمْ تُخِبُ^(١)

فيذكر الشاعر خروجه إلى الصيد مع رفاقه لتحصيل الرزق . ثم هم يحملون الموت للطير ، في الوقت الذي كانت هي تلعب بأصوات مرتفعة على الماء ، وذلك بجملة الحال التي ضمها الشطر الثاني من البيت الثاني [وهي على ماء الخليج تصطخب] فبذلك يبين هيئة الطير وحالها . ثم الحركة الموحية بالمعنى في الفعل [تصطخب] فهذا الفعل روح جملة الحال ، وعمدة فيها .

وأشار الشاعر إلى البازي بالضمير في قوله [سبب للرزق] ثم الضمير في [غدا ويطلب] يعود على [سبب للرزق] ، فوصفه للبازي من خلال هذه الضمائر بالجرأة ، وسرعة الفتك بالفريسة : فأعتبره الشاعر طالب دين ، وطالب الدين مُتَّجِهٌ إليه دائماً ، لا يلتفت لغيره . ثم تحدت عن مقلته التي تخترق الحُجُبَ ، فوصفها بأنها في رأسه تشبه مِسْمَاراً من ذهب ، والجامع بينهما صفرة اللون واللمعان والاستدارة ، وثباتها . ويتألق البازي في وصف الشاعر له بهيئته وشكله ، ومنقاره ، وساقه . يقول :

يَعْلُو الشِّمَالُ كَالْأَمِيرِ الْمُنتَصِبِ أَمَكْنَهُ الْجَبُودُ فَأَعْطَى وَوَهَبُ
ذُو مَنَسِيرٍ مِثْلِ السِّنَانِ الْخَتَّصِبِ وَذَنْبٍ كَالذُّبْلِ رِيَّانِ الْقَصَبِ

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٥ /الرجز .

أَسِيلٌ فَوْقَ عُطْبَةٍ مِنَ الْعُطْبِ كَأَنَّ فَوْقَ سَاقِهِ إِذَا انْتَصَبَ
مِنْ حُلَيْلِ الْكَثَّانِ رَانًا ذَا هُدْبٍ قَدْ وَثِقَ الْقَوْمُ لَهُ بِمَا طَلَبَ
فَهُوَ إِذَا جَلَّى لِصَيْدٍ وَاضْطَرَبَ عَرَّوْا سَكَكِيَتَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ^(١)

فيشبه البازي في هيئته العامة ، وهو واقف بالأمير في عزته وشموخه ، ويضيف إليه ندى اليد ، هاتان صفتان جعلته يربط بين البازي والأمير . وله أيضاً منقارٌ طويلٌ يشبه رأس الرمح المغطى بالدم في انحنائه ، وسرعة فتكه .

ثم يتحدث عن ساقه المغطى بريش صغيرٍ منفوش كالقطن ، ويجعل المعنى مشتركاً بين بيتين ، وذلك بأن جعل اسم كأن في الشطر الأول من البيت الرابع [راناً ذا هُدْبٍ] .

وفي وصف البازي أيضاً يقول :

كَأَنَّهُ فِي جَوْشَنِ مُزْرَرٍ ذِي مُقْلَةٍ تُسْرِجُ فَوْقَ الْمَخَجِرِ^(٢)
وَمِنْسَرِ عَضْبِ الشَّبَا كَالْخَنْجَرِ تَخَالَهُ مُضْمَخاً بِالْعُصْفَرِ^(٣)
وَهَامِيَةِ كَالْحَجَرِ الْمُدَوَّرِ وَجُوجُوٍ مُنْمَمٍ مُخَبِّرِ^(٤)

- (١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٥/البيسط .
- (٢) الجَوْشَنُ : الصَّدْرُ ... والجَوْشَنُ اسم الحديد الذي يُلبس من السلاح ... الجوهرى : الجوشن الدُرْعُ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٢٩) .
- (٣) العَضْبُ : السيف القاطع ، والمِنْسَرُ بكسر الميم لسباع الطير ، بمنزلة المنقار لغيرها (الجوهرى ، معجم الصحاح ، تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطا ، ج ٢ ، ص ٨٢٧) .
- (٤) جُوجُو الطائر : صدره والجمع جَاجِيء (الجوهرى ، معجم الصحاح ، ج ١ ، ص ٣٩) .

كَأَنَّهُ رَقٌّ خَفِيُّ الْأَسْطَرِيرِ وَذَنْبٌ كَالْمُنْصَلِّ الْمُدْكُرِ^(١)
أَوْ كَخَنْيِّ الطَّلَعَةِ الْمُقَشِّرِ وَقَبْضَةٌ تَفْصِيلُ إِنْ لَمْ تُكْسِرْ
فَلَّصَ فَوْقَ الدَّسْتَبَانِ الْأَحْمَرِ جَنَاحَهُ كَرْدَنْةٍ^(٢) الْمُشْمَرِ^(٣)

فهو في ضخامة شكله وامتلائه أو انعطاف جناحيه على جسمه يشبه المرتدي درعاً من الحديد . وقد أراد أن يصفه بالقوة والصلابة وعدم استطاعة أحد أن ينال منه . ثم البريق في كل من الريش الأبيض والدرع من الحديد . وأكد الصورة بقوله [مُزَّرر] .

ثم يستمر الشاعر في بيان تفاصيل الصورة في وصفه للبازي ؛ فمقلته مضيئة كأنها سراج لما فوق محاجرها . ويقصد بتلك الإضاءة البريق الشديد في عيني البازي ، والذي يعتبر صفة ملازمة له . أما منقاره فكالحنجر قوي فتاك ، والغرض من الصورة تأكيد صفتي الانحناء لمنقاره ، وصفة فتكه بالفريسة بسرعة ، مع أن لونه مُصْفَرٌ كأنه دُهْنٌ بِالْعُصْفَرِ .

ويثبت الشاعر للبازي صفة القوة ؛ فيذكر أن رأسه كالحجر المدور ، فالحجر من الطبيعة الجامدة حوله ، إلا أن الشاعر عاجله بخياله ليجعله يناسب المشبه به ؛ فيصف الحجر بالاستدارة .

(١) المنصل : النَّصْلُ نَصَلْتُ السَّهْمَ وَنَصَلْتُ السَّيْفَ وَالسَّكِينَ وَالرُّمْحَ ، ... الْمُحْكَمُ : النَّصْلُ حَدِيدَةُ السَّهْمِ وَالرَّمْحِ ، وَهُوَ حَدِيدَةُ السَّيْفِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهَا مَقْبَضٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ص ٤٤٤٥) .

المُدْكُرُ : مَخَوْفٌ صَعْبٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٥٠٨) .

(٢) قَلَّصَ وَقَلَّصَ وَتَقَلَّصَ : كُلُّهُ بِمَعْنَى انْضَمَّ وَانزَوَى ... وَفَرَسٌ مُقَلَّصٌ مُشْرِفٌ أَي مُشْمَرٌ طَوِيلُ الْقَوَائِمِ (الجوهري ، معجم الصحاح ، ج ٣ ، ص ١٠٥٣) .

الرُّدْنُ بِالضَّمِّ : أَوَّلُ الْكُمِّ . يُقَالُ قَمِيصٌ وَاسِعٌ الرَّدْنِ (الجوهري ، معجم الصحاح ، ج ٥ ، ص ٢١٢١) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ /الرجز .

وصدر البازي يشبه سطور دقيقة ، وهي صورة متكررة في شعر الصيد عنده . ويصف ذنبه بخديدة السيف المنحنية القوية ، أو كعود الطلع الذي قشّر من البلح ، إلا أنه أراد من الصورة الأولى القوة والصلابة ، ومن الثانية صفة الانحناء والتقوس لذنبه .

وأطراف البازي قبضة عظيمة ، إذا لم تكسر الفريسة فإنها تفصل أجزاءها ، والقبضة أيضاً منقولة من عالم الإنسان . ثم وصف الطائر مشمراً حين الاضطهاد ، فإن ارتفاع جناحيه ذكّر الشاعر بحالة التهيؤ عند الإنسان .

فمعالجة الشاعر للبازي في الأبيات معالجة تفصيلية لأجزاء جسمه من عينيه ومنقاره إلى جناحيه وأطرافه . وينقله لنا بصفاته التي تمثلها خياله ، وهو في ذلك يكفي بالمظهر الخارجي ، دون أن يُعمق الإحساس بها ، وإبداعه فيها إبداع رسام فنان شأنه شأن شعراء الصيد السابقين عليه . وإذا كان لم يستخدم الغريب من الألفاظ في هذه الأبيات ، فإنه يستخدمها في مواضع أخرى من شعر الصيد . وكأنه يحافظ على الطريقة الموروثة في هذا الفن . أو كأن هذا الفن يُملئ بذلك . إلا أن المعاني والصور خاصة به ، ينقل بها تفاصيل شكله إلى القارئ فكأنه يمثّل أمام عينيه .

ويصف الشاعر طائر الزُرَق^(١) يقول :

قد اغتدي والفجر مُستعجل
ليلاً يقرن الصبح مطعوناً
بسالكات سبّل الحاظها
بين سماوات وأرضينا

(١) الزُرَق : بضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة صنف من البزاه ، ويجمع على زرايق وزرّاقه ، وهو بين البازي والباشق ، أسود الظهر أبيض البطن أحمر العينين أصفر الرجلين إلا أن مزاجه أحر من مزاج البازي وأقوى اقداماً . وهناك من يرى الزرق ذكر البازي ، وهو تخال خبيث ، يقبل التأديب (الدكتور عبد الرحمن الباشا ، كتاب الصيد عند العرب ، ص ١١٥ - ١١٦) .

مُشَمَّرَاتٍ عَنْ ظَنَابِيهِهَا أَلْبَسَنَ مِنْ رِيَشٍ تَبَايِنَا^(١)
تَقْبِضُ أَعْلَى الطَّيْرِ فِي جَوْهَهَا قَبْضَ الْجَلَاوِيزِ الْعَنَابِيْنَا^(٢)
بِأَنْمُلَاتٍ أَرْبَعٍ أَرْبَعٍ طَرَفَهَا اللَّهُ سَكَكِينَا
يُعَدُّ مِمَّا أَخَذَتْ مَا رَأَتْ إِذَا تَجَلَّتْ فَوْقَ أَيْدِينَا
وَحَرَّكَتْ مِنْ طَمَعٍ أَرْوَسًا أَيَقَنَّ مِنْ صَيْدٍ بِمَا شِينَا
تَحْرِيكَ أَشْيَاحٍ لَهَا مَاتِيهِمْ رَأَوْا مِنَ الْأَيَّامِ ثَلَاثِينَا^(٣)

يأتي بطائر الزُّرْق الذي يسلك (لحظه) أي يتبع كل ما يراه بصره في السماء والأرض من حيوانات الصحراء وطيورها .

ويعلل الشاعر لظهور ساق الزُّرْق العارية من الريش ، وأنه يشبه المشمر عن ساقه ، وأما الريش فهو من الحديد ليضيف إليه صفة القوة والصلابة .

وأن طيور الزُّرْق تطير إلى أعلى مكان في الجو يمكن أن تصل إلى الطيور المصيدة ، وهي تشبه في عملها هذا الجنود الأقوياء ..

(١) ظنابيها : الظنوب : حَرْفُ السَّاقِ الْيَابِسِ مِنْ قُدَمٍ ، وَقِيلَ : هُوَ ظَاهِرُ السَّاقِ ، وَقِيلَ : هُوَ عَظْمُهُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٧٦٢) .

تباين : التبان : بالضم والتشديد : سراويلٌ صغيرة مقدار شبرٍ يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٢٠) .

(٢) الجلاويز : الجلاوز : التَّوْرُورُ : وَقِيلَ هُوَ الشَّرْطِيُّ ، وَجَلَوَزُهُ : حِفْتُهُ بَيْنَ يَدَيْ الْعَامِلِ فِي ذَهَابِهِ وَبَجْهِهِ ،

والجمع الجلاوِزَةُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٥٧) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٨ — ٤٧٩ / السريع .

ثم يفصل أكثر في وصف الزرق ، وخاصة ما يتعلق منها بمهمة الصيد ، فهي ذات أطراف تنتهي بمخالب حادة كأنها سكاكين .

وما أخذته الطيور الصائدة هو ما رآته ، أو ما وقع بصرها عليه ، وهي أيضاً تطمع في المزيد من الصيد ، وتحرك رأسها بحثاً عن الفريسة ، فتشبه الشيوخ بحركون رؤوسهم لما رأوا من الدهر والجامع بينهما بياض الشعر للشيوخ ، وبياض الريش المغطي لرأس الزرق . وتحريك الرؤوس عند كل .

ويصف الشاعر الصقر . يقول :

وأجدل^(١) يفهمُ نطقَ الناطقِ مَلْمَلِمِ الهامةِ فخمِ العاتقِ
أفنى الخالِبِ طلبِ مارقِ كأنَّها نُونَاتُ كَفِّ الماشقِ
ذِي جُوجُوٍ لابسِ وشي رائقِ كَمُبْتَدَا اللاماتِ في المَهَارِقِ^(٢)
أو كامتدادِ الكحلِ في الحَمَالِقِ^(٣)

(١) الأجدل : الصقر ، صفة غالبية ، وأصله من الجدل الذي هو الشدة ... جعله سيويه مما تكون صفة في بعض

الكلام واسماً في بعض اللغات (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٧٠) .

(٢) اللأم : الشديد من كل شيء ، اللامات : مخففة وهي اللأمات : اللأمة الذرع ، وجمعها لؤم ، مثل فعل (ابن

منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٧٧) . وربما كان الشاعر يقصد بها جمع لام الأجدلية

العربية ، ولكنني أرجح المعنى الأول .

المهاريق : المهزق : الضجيفة البيضاء يكتب فيها ... وقيل : ثوب حرير أبيض يسقى الصمغ ، ويصقل ثم

يكتب فيه (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٦٥٦) والمقصود بها في البيت الحرير

الأبيض .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول

الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٩ /الرجز .

يبالغ الشاعر في وصف الصقر بالذكاء والفطنة ؛ حتى أنه يفهم كلام المتكلم . ورأسه مجتمع متماسك ، مع ضخامة عاتقه ، وهذا دلالة على اكتناز جسمه لحماً ، وعلى ضخامة جناحيه . ومخالبه قائمة اللون جادة في طلب الفريسة ، يُخرجها من جلدها ويريشها . ثم إن المخالب في مضائنها ، وسرعة قطعها سيوف حادة .

وصدره واسع ، به ألوان متداخلة ، فكأنه يلبس زينة أو زخارف جميلة ، أو درعاً من الحديد ، أو كالصحيفة البيضاء كُتِبَ عليها ، أو كأنه في اجتماع لونين فيه ، الكحل الممتد في العين ؛ لاجتماع اللون الأسود مع الأبيض .

وحين يصف الشاعر حيوان الصيد الأول (الكلب) ينقل لنا لونه وعينه وأذنيه فيقول :

ومخطفاً مؤثّقاً الأعضاء	خالفها بجلادة بيضاء
كأثر الشهاب في السماء	ويعرف الزجر من الدعاء
بأذن ساقطة الأرجاء	كوردة السوسنة الشهلاء ^(١)
يحرفها في ساعة النداء	ذا برثن كمشق الخاء
ومقلية قليلة الأقاء	صافية كقطرة من ماء ^(٢)

(١) السوسن : ثبت أعجمي مُعرب ، وهو معروف ، وقد جرى في كلام العرب .

قال الأعشى :

وَأَسْمَى وَتَحِيْرِي وَمَرْوُ وَسَوْسَنٌ إِذَا كَانَ هِيْزَمِرٌّ وَرُخْبٌ مُّخَشَّمًا

وأجناسه كثيرة وأطيبها الأبيض (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٢١٥٠) .

الشهلاء : الشهلة في العين : أن تشوب سوادها زرقاً ، والشهلة أن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد ،

وقيل : هي أن تشرب الحدقة حمرة ليست خطوطاً كالشكلة ، ولكنها قلة سواد الحدقة حتى كأن سوادها

يضرب إلى الحمرة ... وقيل : هو ألا يخلص سوادها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ،

ص ٢٣٥٣) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول

الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٠٧/الرجز .

وصف جلده بالبياض ، وأنه يشبه في ذلك أثر الشهاب في السماء. والصورة المستقاة من الطبيعة العلوية دقيقة جداً ؛ فالشاعر عبّر عن بياض جلد الكلبة بأثر الشهاب ؛ ليدل على اعتدال لون البياض فيه .

وأذنه منبسطة الإحناء ، وهي تشبه في ذلك زهرة السوسن البيضاء ، وشكل الأذن فعلاً يشبه شكل ورقة السوسن . فقد أحسن اختيار صورة المشبه به . ولكنه قيد لونها بالبياض ليلائم حديثه السابق عن بياض جلده . وبعد أن نقل شكل الأذن ولونها تحدّث عن استجابتها للنداء ، حيث يحركها لحظة سماعه له . وكأن تحريك أذنيه تهبؤ للاستجابة .

ثم ينتقل إلى وصف مخالبه الحادة بأنها تشبه مثقب الحذاء ، والجامع بينهما دقة السن ، وأن كليهما يعمل في الجلد .

أما عيني (الكلب) فهي تميل إلى الصفاء ، وتشبه في ذلك قطرة الماء . والصورة هنا تُغري باستخراج وجوه شبه أخرى ، في الشكل ، والهَيْئَة بين كل من قطرة الماء وعين الحيوان ؛ حيث إن قطرة الماء تميل إلى الإستدارة في أحد طرفيها ، وإلى الضيق قليلاً في طرفها الآخر ، فشكلها يميل إلى أن يكون يضاوياً ، وهكذا هو شكل عيني الكلب . بالإضافة إلى اليريق في كل منهما .

والشاعر جعلنا نعيش معه وصفه وتصويره للكلب . ومع بساطة الصورة ، واعتماده على الطبيعة — غالباً — في تشبيها وتوضيحها ، إلا أنه استطاع أن يجعلنا نعيش معه تفاصيل الصور التي نقل بها الشكل أو اللون . وهذه الدقة في التصوير ، وهذه الروعة في الصورة إلا أننا لم نجد فيها تشبيهُ بالفنّان ولا المذهبات .

وفي موضع آخر من شعر الصيد يذكر الشاعر الكلب بصفته الشم والنبش ، ويذكر خُلُقَه الكريم في الصيد ، فهو لا يستأثر به وحده .

... يقول :

ذَوَاتٍ شَمٌّ وذوات تُبَشِّ ووايل في العَدُوِّ غيرِ طَشٍ
ما استأثرت من دُونِنَا بِخَدَشٍ لِصَيْدِهَا وهي شِدَادُ البَطَشِ^(١)

ويتحدث عن سرعة الكلب في عدوه فيشبهه بالمطر الغزير ؛ فسقوط الأجسام من أعلى إلى أسفل من أقوى أنواع السرعة ؛ لِمَا فيها من الإطراد . وهي صفة قديمة أثبتها امرؤ القيس لسرعة الفرس^(٢) .

وعلى هذا التمثيل يسير الشاعر في وصفه السرعة ، فإذا هي تُمَثَّلُ باباً للوصف في الصيد عنده . ومن ذلك وصفه للصقر ، بأنه يلتقط الفريسة ويُصَيِّبُهَا بما تكره ، وعَبَّرَ عن ذلك بقوة (صب سوط عذاب) وهذا معنى مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاتِرَ عَذَابٍ ﴾^(٣) ، ويؤدي مهمته في الصيد في وقت قصير .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يوس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٥١ - ٤٥٢ /الرجز .

(٢) مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُذْبِرٌ مَعَاً كجلمودِ صَخْرٍ حَطَّه السَيْلُ من عَلٍ

والجلمد : الحجر العظيم الصلب ، والجمع جلامد وجملاميد .

الصخر : الحجر ، الواحدة صخرة .

الحط : إلقاء الشيء من علو إلى أسفل .

وقوله : من عل أي من فوق : وفيه سبع لغات ، يقال : أتيت من عل ، مضمومة اللام ، ومن علو ، بفتح الواو وضمها وكسرها ، ومن علي ، بياء ساكنة ؛ ومن عال مثل قاض ، ومن معال مثل معاد ، ولغة ثامنة يُعال من علا .

وقوله : كجلمود الصخر ، من إضافة بعض الشيء إلى كله مثل باب حديد . (أبو عبد الله الحسين بن أحمد

ابن الحسين الزوزني ، كتاب شرح المعلقات السبع ، دار صادر ، بيروت ، ص ٣٠) .

(٣) سورة الفجر ، آية ١٣ .

وله قوة بصر يرى البعيد كالقريب ، وفي هبوطه من طيرانه يشبه ماء البئر في سرعة نزوله فيها ، فهي سرعة تلمح ولا تُرى ، وهي تشبه صورة امرئ القيس في وصف سرعة الخيل بالصخرة تسقط من مكان عال .

وبصره حاد يرى به الأوز ، فيطير إليها مسرعاً ، شأنه شأن الفزع الذي أصابه الرعب — هذا ما كان يُوحى به شكله وهو يطير بدافع الطمع في أن يفوز بإحدى طيور الأوز .

فاستطاع الشاعر أن يعطينا انطباعاً عاماً عن صفاته التي تساعده على الصيد ، وعن طريقة حصوله على الفريسة ، والمحرك له ليسعى إليها ، ولم ينسَ في وصفه أن يصورَ هيئته حين طيرانه التي تشبه الفزع . يقول :

وأجدل حُكْمَ بالتأديب	صَبُّ يَكْفُ كُلُّ مُسْتَجِيبِ
سوطَ عذابٍ واقِعٍ مَجْلُوبِ	أَسْرَعُ مِنْ لِحْظَةِ مُسْتَرِيبِ
يَرَى بَعِيدَ الشَّيْءِ كَالْقَرِيبِ	يَهْوِي هُوِيَّ الْمَاءِ فِي الْقَلْبِيبِ
بناظرٍ مُسْتَعْجِمٍ مَقْلُوبِ	كناظرِ الأَقْبَلِ ذِي التَّقْطِيبِ
رأى إوزاً في ثرى رطـيبِ	فطار كالمُسْتَوْهِلِ المَرَعُوبِ ^(١)
مُتَّبِعاً لِطَمَعِ قَرِيبِ	وإنْ نَأَتْ مَسَارِحُ المَطْلُوبِ
سوطَ عذابٍ واقِعٍ مَجْلُوبِ	يَنْفُذُ فِي الشَّمَالِ وَالجَنُوبِ ^(٢)

فالشاعر هنا لا يصرح باسم الصقر بل يستخدم صفات أطلقت عليه ، يعرفها القاريء ويدركها حين يقرأ الأبيات لأول مرة .

(١) المُسْتَوْهِلُ : الوَهْلُ والمُسْتَوْهِلُ : الفزع النَشِيطُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٩٣٣) .
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤١٩ /الرجز .

وللشاعر وصف بديع لسرعة الصقر ، ويترك أيضاً ذكره في أول الأبيات ، ليذكر صفة إتجاه نظره إلى كل صوب . دلالة على تيقظه الشديد ، وبجته الدائم عن فريسة للصيد .

ومنصره مرتفع من أعلاه ، منخفض من أسفله ، يضيق ويتدبب في آخره ، وينحني إلى الأسفل ، فإن أصاب جسماً مزقته ، ولا يخلو يوماً من إصابة الدماء . وحين يعلّق بمنصره حيوان أو طائر، يفصل عظامه . ويصف قوة بصره ، بأنه يرى كل ما تقع عليه عينه بوضوح . هذا من حيث مدى الرؤية ، أما شكلها — عيناه — فتشبه الترجسة لاجتماع سواد العين مع الصفرة .

وحين يمسك الصقر بالفريسة من ظهرها يمزقها بمخالبه الحادة . ثم يشبهها في انحنائها وتقوسها بنصف الحلقة ، ذلك يعني الصلابة وسرعة النفاذ في جسم الفريسة .

وسرعة طيرانه غريبة ، حين يُطلقه ممسكه ، فيغيب بسرعة . ويكاد لسرعته وكثرة احتكاكه بالهواء أن يحترق . يقول :

غَدُوْتُ فِي ثَوْبٍ مِنَ اللَّيْلِ تَخْلُقُ	بِطَارِحِ النَّظْرَةِ فِي كُلِّ أَفْئُقِ
ذِي مَنَسْرٍ أَقْتَسَى إِذَا شَكَّ تَحْرَقُ	مُخْتَضِبٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْلَقُ
وَكُلُّ عَظْمٍ مَفْصِلٍ إِذَا عَلِقُ	وَمُقْلَبَةٍ تَصْدُقُهُ إِذَا رَمَقُ
كَأَنَّهَا نَرْجِسَةٌ بِلَا وَرَقُ	يُنْشِبُ فِي الْأَنْبَاجِ حَتَّى يَنْفَتِقُ ^(١)
مُخَالِبًا كَمَثَلِ أَنْصَافِ الْحَلَقِ	مُبَارِكٌ إِذَا رَأَى فَقَدْ رُزِقُ
أَوْ طَارَ نَحْوَ صَيْدِهِ فَقَدْ لَجِقُ	وَإِنْ رَمْتَهُ الْكَفُّ كَأَدَّ يَحْتَرِقُ ^(٢)

(١) ثَبَجٌ يَثْبُجُ كُلُّ شَيْءٍ : مَعْظَمُهُ وَسُطُهُ وَأَعْلَاهُ ، وَالْجَمْعُ أَثْبَاجٌ وَثَبُوجٌ ... الثَّبَجُ الرَّسَطُ وَمَا بَيْنَ الْكَاهِلِ إِلَى الظَّهْرِ

(ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٤٦٨) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول

الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٦ — ٤٦٧/الرجز .

ويدع الشاعر أيما إبداع في وصفه سرعة الزرق في صيده الفريسة وأنه فاق في سرعته برق الغمام .

فمنسره قويّ ماضٍ ، يُريق به دم الفريسة ، يشبه الإبهام في شكله ينتزع به الغائر من عظام الفريسة ، وما توارى منه خلف اللحم .

دقة متناهية من الشاعر في نقل الصورة ، ويدع الشاعر أيضاً في وصفه لطريقة صيد الزرق للفريسة ، وسرعته في ذلك ؛ فهو يُسْقِطُهَا ويقضي عليها تماماً ، فيقسمها نصفين ، فيصبح شكلها كشكل البرد على سنام الجمل ، كل ذلك يحدث بسرعة البرق ، فيصيد الأوز والحمام .

فالشاعر يتمكن بقوة تعبيرية جيدة ، وبلغة معبرة ، وصورة دقيقة لاقتطع أن يحتوي بخياله عملية الصيد ، كما يمكن أن تحدث في الواقع . يقول :

وَمَنْسِرٍ عَضْبِ الشُّبَاةِ دَامِي	كَعَقِيدِكَ الخَمْسِيْنَ بِالْإِبْهَامِ
مُتَسْرِجٍ لِيغَامِضِ العِظَامِ	تُرْعَ المُكَبِّ خَرَزَ النِظَامِ
وِخَافِقِي لِلصَّيْدِ ذِي اصْطِلَامِ	يَنْشُرُهُ لِلنَّهْضِ وَالْإِقْدَامِ
كَتَشْرِكَ البُرْدِ عَلَى السِّنَامِ	أَسْرَعُ مِنْ بَارِقَةِ الغَمَامِ
وَذَنْبِ كَطَرْفِ الحُسَامِ	فَصَادَ مَا شَاءَ شَمَالُ الرَامِي

من الإوز ومن الحمام^(١)

ومن صورهِ الجيدة ، التي تدل على سعة خياله ، وقدرته التصويرية في نقل الظواهر المختلفة تشبيه الصقر بالدلاء في الجو ، حيث يهبط ، ويرتفع بسرعة كما يصنع الماتح بالدلاء من البئر .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول الديوان ، الجزء الثاني ، ٤٧٦ - ٤٧٧ /الرجز .

ويقدم للأبيات بالحديث عن كلاب الصيد ، فقد أعد نفسه للصيد بـكـلابٍ سريعةٍ إلى الفريسة ، كالسهم المنطلق إلى هدفه ، وشبهها بالسهم أيضاً في نحوها وضمورها جسمها فيساعدتها ذلك على السرعة . وحين تفك قيودها ويحل ما ربط في عنقها يحسبها الناظر إليها وقد ترامت بها . الرياح العاصفة . فكأنها تتقاذفها الرياح فتنتقل بينها بسرعة .

أعتقد أننا لمسنا بوضوح مدى إجادة الشاعر في تصوير السرعة ، إجادة ووفرة في الصور قد لا تتوفر لغيره من الشعراء . وهناك صور أخرى للسرعة سأتناول بعضها كمنهاج فقط .

ويستمر الشاعر في نسق القصيدة فيتحدث عن الصقر ، وأن سرعته في الجو لخطف الفريسة تشبه دلاءً تسقط من السماء ، ثم ترتفع بها .

والكلب يشق آذان الأرناب، حين يلاحقها ليمسك بها ، والصقر يأتي بطيور السماء .

وشبه الشاعر جمع حيوان الصيد ، وطيوره بالبستاني أو المزارع الذي يضم الكافور بعضه إلى بعض ، يقول :

وَقِيدَتْ لِحْتِفِ الصَّيْدِ غُضْفٌ كَوَاسِبٍ كَمَثَلِ قِدَاحِ الْبَارِيَاتِ نَحَائِفٍ^(١)
إِذَا انْخَرَطَتْ مِنَ الْقَلَائِدِ نِخْلَتِهَا تَرَامِي بِهَا هُوجُ الرِّيَاحِ الْعَوَاصِفِ
تُقَاسِمُهَا قَبْضَ النِّفُوسِ أَجَادِلُ فَفِي الْأَرْضِ نَهَّاشٌ وَفِي الْجَوِّ خَاطِفٌ^(٢)

(١) قِدَاحُ : القِدَاحُ : بالكسر : السهم فيل أن يُنصَلُ ويُرَاشَ ، وقال أبو حنيفة : القدح العود إذا بلغ فنشُدب عنه الغصن وفُطِعَ على مقدار النبيل الذي يُراد من الطول والقِصَرِ . قال الأزهري : القدح قدح السهم ، وجمعه قِدَاحٌ ، وصانعه قِدَاحٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٥٤٢) .

(٢) أَجَادِلُ : الصقور ، كسرةً تكسير الأسماء لغلبة الصفة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥٧٠) .

كَانَ دِلَاءً فِي السَّمَاءِ تَحْطُّهَا وَتَرْقَى بِهَا أَيْدِ سِرَاعِ غَوَارِفِ^(١)
يُشَقُّ آذَانَ الْأَرَانِبِ صَكُّهَا كَمَا صَكَّ أَنْصَافَ الْكُوفَايِرِ خَارِفِ^(٢)
فَصَبَّحَ خِزَّانَ الْقُرَيْبَةِ غُدُوهُ شَيَاطِينُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الْمَتَالِفُ
وَبَبَّةَ يَقْظَانَ التَّرَابِ ضَحِيَّةً إِلَى الْعَصْرِ شَدُّ يَأْكُلُ الْأَرْضَ عَاصِفُ^(٣)

من خلال ما مر بنا في هذا الفصل « العناية بتفاصيل الصورة » من نماذج من شعر ابن المعتز في الوصف . نخلص إلى أن الشاعر استطاع أن ينقل أشكال الموصوفات أو هيئتها ، وتغلغل بخياله في أدق صفاتها ، ومن خلال ألفاظ سهلة وتراكيب واضحة ، ثم أخرى جزلة رصينة تخللها شيء من الغريب ، استطاع الشاعر أن يصوّر الهلال والنجوم في شكلهما على صفحة السماء ، والنار والخمر في توهجهما واتقادهما وحمرةهما ، ثم الدن والزق في هيئة كل منهما ولونه ، ثم الخيل والكلب في ضمور جسمهما وحركة قوائمها ، والبازي والزرق في صلابة جسمهما وقوة منسرها ومخالبها ، ثم سرعة حيوان الصيد وجوارحه .

ومع بساطة أسلوب التناول في شعر الطبيعة والخمر ، مال إلى الغرابة والقوة في شعر الصيد ، ولكنه بنوعه يسير على نمط تصويري للسّمات والخصائص والألوان .

(١) غَوَارِفُ : غَرَفِ الشَّيْءِ يَعْرِفُهُ غَرَفًا فَانْتَعَرَفَ : قَطَعَهُ فَانْقَطَعَ .. ابن الاعرابي ، العَرَفُ التَّنْيُّ والاثْقَافُ ...
وانتَعَرَفَ العَظْمُ : انكسَرَ ... وانتَعَرَفَ إِذَا مَاتَ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٢٤٢) .
(٢) خَارِفُ : الخَارِفِ الحَافِظُ فِي النَخْلِ ، والجَمِيعُ خُرَافٌ . وَأرسلوا خُرَافَهُمْ أَي نَظَرَهُمْ : وَخَرَفَ الرَّجُلُ يَخْرُفُ :
أخذ مِن ظُرْفِ الفَوَاكِه والاسم الخُرْفَةُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١١٣٩) .
(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول
الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٣ — ٤٦٤ / الطويل .

وتميز شعر الصيد عند ابن المعتز بكثرة ووفرة وجودة عامة ، وإتقان وإبداع في تصوير السرعة عند جوارح الصيد وضواريه .

ويمكننا أن نعتبر هذه الإجازة في وصف السرعة معلماً من معالم إجادته الوصف في الصيد ، ويمكن أن نعقد له الريادة في إثراء وصف السرعة في شعر الصيد العربي ، وإن كان تأثيره واضحاً بأمرىء القيس في مواضع قليلة ، منها وصفه لسرعة الصقر في هبوطه من طيرانه بماء البئر حين يسقط فيه .



الفصل الثالث : التَّخْوِيفُ .

الفصل الثالث

التشخيص

من أبرز خصائص شعر ابن المعتز الفنية ، وأكثرها ظهوراً في شعره إيجاد أواصر وروابط قوية تصل بين الطبيعة بمظاهرها المختلفة ، وبين الإنسان بخصائصه وصفاته . بأن يجعل للجماذ ما للإنسان ثم يكثف الصور تارة ، ويعرضها في ألوان شعورية مختلفة ، فتحظى الطبيعة منه بالتأمل ، وخاصة العلوية منها ، فهي مسرح لخياله الشعري يصل فيه ويجول . وكأنني به يريد أن يوسع دائرة الإنسانية ؛ فيضم إليها عناصر على قدر من الجمال والروعة والإيجابية .

وهذه الخاصية من تلخ صفات الإنسان على الطبيعة والجماذات من خصائص الصورة الشعرية عند البحتري ، ثم أبي تمام ، وابن الرومي ، وغيرهم من الشعراء العباسيين ، فهو اتجاه ظهر عندهم ، واتسع عند ابن المعتز . فيخلق الشاعر في السماء كثيراً ، وينقل بعض خصائصها بما يشبهه من الإنسان وخصائصه .

فحين يصف الشاعر الفرقدين يصورهما كعينين زرقاوتين ، تنظران إليه . يقول :

وَرَنَا إِلَيَّ الْفَرَقْدَانِ كَمَا رَأَتْ^(١) زَرْقَاءُ تَنْظُرُ مِنْ نِقَابِ أُسُودٍ^(٢)

(١) رنا : الرئو : إدامة النظر مع سُكُونِ الطَّرْفِ . رَنُوهُ وَرَنُوهُ إِلَيْهِ أَرْتُو رَنُوًا ، ورننا له أدامَ التَّنَظْرَ (ابن

منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٧٤٧) .

الفرقدان : نَجْمَانِ فِي السَّمَاءِ لَا يُعْرَبَانِ ، وَلِكِلَيْهِمَا يَطُوفَانِ بِالْجِدْتِي . وَقِيلَ مِمَّا كَوَّكَبَانِ قَرِيَانِ مِنَ الْقَطْبِ ، وَقِيلَ مِمَّا كَوَّكَبَانِ مِنْ بَنَاتِ نَعَشِ الصَّغْرَى : يُقَالُ لَا تَبْكِيَنَّكَ الْفَرَقْدَيْنِ أَيَّ طَوْلَ طُلُوعِهِمَا (ابن منظور ،

معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٤٠٢) .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ١٥٩ / الكامل .

فبعد أن نقل الشاعر النجم إلى عالم الإنسان بإثبات صفة إنسانية له ، وهي صفة إدامة النظر في سكون الطرف ، عاد يربط الفرقدين بوشائح أخرى بعالم الإنسان ، فيشبههما بذات العينين الزرقاوتين بدت عيونها من نقاب أسود .

وَيُنَكِّرُ الشاعر ألفاظ المشبه به لينقل الصورة من حيز الخصوص إلى العموم وينقلها من حيز خياله الشعري إلى حيز الفن ، فتصبح الصورة لوحة للجمال في صورة من صورة .

ثم يتحدث عن ظاهرة أخرى من الطبيعة ، وهي السحابة المطيرة ، فيذكرها بصفاتها المناسبة في الأبيات وهي إنزال المطر في وقت الليل ، فيجمع في هذه الصفة بين تشخيصه لها ، وتحديدده لوقت إنزالها المطر . ثم ينزع الشاعر لباس الطبيعة ، ويلبسها اللباس الإنساني . فتختفي الخاصة الأولى لها ، ولا يُبقى في الأبيات إلا ألفاظ معدودة تُبقي للمعنى صلته بأصله . يقول :

وسارية لا تملُّ البُكا ، جَرَى دمعُها في حُدودِ الثرى

سَرَتْ تَقْدَحُ الصُّبْحَ في ليلِها^(١) بَرِقَ كِهِنْدِيَّةٍ تُتَضَى^(٢)

فلَمَّا دَنَتْ جَلَجَلت في السَّمَا ءِ رَعْدًا أَجَشَّ كَجَسْرِ الرَّحَى^(٣)

ضمانٌ عليها ارتداعُ اليفا ع بأنوارها ، واعتجارُ الرُّبَى^(٤)

(١) تَقْدَحُ : القَدْحُ : قَدْحُكَ بِالزُّنْدِ وبِالقَدْحِ لِثَوْرَى : (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٤٥٧) .

(٢) تُتَضَى : نَضَا السَّيْفَ نَضْوًا وَانْتَضَاهُ : سَلَّهُ مِنْ غَمْدِهِ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٥٤١) .

(٣) الجَشَشُ : والجَشَّةُ : صَوْتٌ غَلِيظٌ فِيهِ بَجَّةٌ يَخْرُجُ مِنَ الحَيَاشِمِ فِيهِ غَلَطٌ وَبَجَّةٌ ، وَهُوَ أَحَدُ الأصواتِ الَّتِي تُصَاغُ بِهَا الأَلْحَانُ ... وَقِيلَ الجَشَشُ والجَشَّةُ شِدَّةُ الصَّوْتِ ، وَرَعْدٌ أَجَشُّ شَدِيدُ الصَّوْتِ ... الأَصْمَعِيُّ : مِنَ السُّحَابِ الأَجَشُّ الشَّدِيدُ الصَّوْتِ ، صَوْتُ الرَّعْدِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٢٨) .

(٤) ارتداعُ : الرَّدْعُ : الكَفُّ عَنِ الشَّيْءِ ... واللَّطُخُ بِالرَّغْفَرَانِ ... وَبِالتَّوْبِ رَدْعٌ مِنَ زَعْفَرَانٍ أَيْ شَيْءٍ يَسِيرٌ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى ؛ وَقِيلَ : الرَّدْعُ أَثَرُ الخُلُوفِ وَالتَّطِيبِ فِي الجَسَدِ ، وَقَمِيصٌ رَادِعٌ وَمَرْدُوعٌ وَمُرْدَعٌ : فِيهِ أَثَرٌ =

فما زالَ مَدْمَعُهَا بِاِكْيَا على التُّرْبِ حَتَّى اِكْتَسَى مَا اِكْتَسَى
فَأَضَحَّتْ سَوَاءً وَجْوهُ البِلَادِ وَجُنَّ التَّبَاتُ بِهَا ، وَالتَّقَى^(١)

وكما شَخَّصَ الشاعرُ السحابةَ ، شَخَّصَ الأَرْضَ ، وجمعهما الشاعرُ في إطارِ واحدٍ ، فإذا هما متقاربانِ إلى حدِّ التلازمِ . فمن السحابةِ الدموعُ ، ومن الأَرْضِ الخلودُ .

ثم يتابع الشاعرُ حديثه عن السحابةِ المحملةِ بالمطرِ ، فإذا هي في سيرها تُقَدِّحُ الضوءَ ، فكأنه صبحٌ في الليلِ . ويشبُّه البرقَ أيضاً في إضاءته ، ولمعانه ، وفي شكلِ ظهوره ، واختفائه بالسيفِ الهنديةِ حينَ تُخْرَجُ من أغمادها .

ويُلي البرقُ صوتَ الرعدِ متحشراً ، يشبه صوتَ الرحيِّ . وبعد أن نقلَ الشاعرُ اللونَ والحركةَ والصوتَ ، ثم الجانبَ النفسيَ في قوله (لا تمل) ثم يزيدُ الشاعرُ في تلك الأواصرِ بين السحابةِ والأرضِ ، ويربطُ بينهما برباطٍ وثيقٍ ، فإذا بالسحابِ يضمنُ ويتكفلُ بإنباتِ الأزهارِ المختلفةِ الألوانِ على المرتفعاتِ كالعمامةِ الملونةِ .

وتستمر السحابةُ الباكيةُ على الترابِ — كما يَصَوِّرُها الشاعرُ — حتى تكتسي الحضرةَ والتماءَ .

ويأتي بالتعبيرِ (ما اكتسى) مسبقاً بما الموصولةُ ؛ ليعبرَ عن كثرةِ الحضرةِ والنباتِ ، وسعةِ مساحتهِ .

== الطَّيِّبِ وَالرَّعْفَرَانِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٦٢٣) .
اليفاعُ : المُشْرِفُ مِنَ الأَرْضِ ، وَالجَبَلِ ، وَقَبِيلٌ : هُوَ قِطْعَةٌ مِنْهُمَا فِيهَا غَلْظٌ ... قال ابن بري : وجاء في جَمْعِهِ يُفَوِّعُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٩٦٣) .
الاعتجارُ : وَهُوَ كَيْ التَّوْبِ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ غَيْرِ إِدَارَةٍ تَحْتِ الحَنْكِ . وفي بَعْضِ العِبَارَاتِ : العَتَجَارُ لَفَّ العِمَامَةَ دُونَ التَّلْجِي وَرُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الفَتْحِ مُعْتَجِراً بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٨١٥) .
(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ص ٢١ / المتقارب .

والفعل المنفي (مازال) يُتم معنى الاستمرار الذي بدأه الشاعر في البيت الأول من هذه المجموعة في قوله (لا تمل) . وكلا الفعلين أفاد امتداد الزمن ، وكثرة المطر ، ثم سعة الأثر في الأرض وعمقه .

ويبنى الشاعر المعنى بعد ذلك على أساس المعنى السابق ، فبعد أن وصف تضاريس الأرض ، فبينها مرتفعات وروابي ، صوّر الشاعر نتيجة ذلك الامتزاج والتزاوج بين السحاب والأرض . فالتقت النباتات في أطوالها على الأرض ، واستوت بعد أن كانت غير ذلك ، وهذا بالطبع نتيجة اجتماع الماء في المناطق المنخفضة ، وانحداره عن المرتفعات .

وعبر الشاعر عن سرعة نمو النبات في قوله (جُنَّ) فهي سرعة في النمو تتجاوز الحدّ المعروف والمعهود . ثم يؤكد تساوى النباتات ونموها في مستوى متقارب بقوله : (والتقى) .

والشاعر هنا يجمع بين الصورة التقليدية البدوية ، والحضرية الجديدة ومعطياتهما . فالصورة القديمة هي في تشبيه صوت الرعد بصوت الرحي ، ولون البرق بالسيوف الهندية اللامعة .

وأما الصورة الجديدة التي تناسب البيئة العباسية المتحضرة ، فهي وصفه للخضرة والزهر ، وامتدادها في الأرض التي سقتها السحابة الممطرة .

هذا هو ابن المعتز الذي عاش الصراع بين القديم والجديد في الشعر العربي ؛ فنجده قد أخذ من كل منهما بطرف في ألفاظه ، وصوره ومعانيه .

ويحظى البرق أيضاً بوصف آخر في مخيلة الشاعر ، حيث يجعل ظهوره في السماء حركة وثب ، فينقله إلى عالم الإنسان ، أو ربما كان ينقله إلى عالم الحيوان ؛ فالوثب خاصية مشتركة بينهما .

ثم يزيد الشاعر في إيضاح صورة البرق في خياله الشعري ، بوصف سرعة ظهوره واختفائه بإرتداد الطرف إلى صاحبه أو خفقان القلب . يقول :

رَأَيْتُ فِيهَا بَرْقَهَا لَمَّا وَتَّبَ كَمَثَلِ طَرْفِ الْعَيْنِ أَوْ قَلْبٍ يَجِبُ^(١)

ووصف السرعة بإرتداد الطرف في آيات القرآن في قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾^(٢) .

وقد وقَّت الشاعر الرؤية بحدوث الوثوب ، وربطهما ببعضهما البعض ، وجعل زمنهما المضي . ثم يشبه حركة الظهور والاختفاء بصفات فيها الاستمرار والسرعة ، التي لا يمكن ضبطها ولا مراقبتها بسهولة ، وهو إرتداد الطرف ، ووجوب القلب .

ومن مظاهر الطبيعة التي وصفها الشاعر ، تناول المظاهر المصاحبة لطلوع الفجر ، فتخير الشاعر لكل جزء منها ما يلائمه من الصفة ، فيتحدث عن الليل في هدوئه وظلامه ، ويصوّر النجوم تطفو فيه . والفجر حركة وضجيج وحياة مليئة بالحياة ، فيصوّر الصبح عسكرياً جنوده النور ، وقد هزموا جنود الليل .

ويتحدث الشاعر أيضاً عن صوت الديك المرتفع عند طلوع الصبح ، وأنه يسبقه ضرب جناحيه جداً وأسفاً على الظلام الراحل . يقول :

وَفِتِيَةٌ لَا يَخْوِضُ الشُّكُّ أَنْفُسَهُمْ مُؤَيَّدِينَ لِعَزْمٍ غَيْرِ مَنْكَوِثٍ

لَمَّا طَفَا التَّجْمُ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَصَلُوا حَبْلَ السُّرَى بِذَمِيلٍ غَيْرِ تَلْبِيْثٍ^(٣)

(١) ديوان ابن نلعتز ، دار صادر ص ٤٤ / الكامل .

(٢) سورة النمل ، آية ٤٠ .

(٣) الذمِيلُ : ضربٌ مِنْ سَيْرِ الْإِبِلِ ، وَقِيلَ : هُوَ السَّيْرُ اللَّيْنُ مَا كَانَ ... وَقِيلَ هُوَ فَوْقَ الْعَنْقِ

قال أبو عبيدة : إذا ارتفع السَيْرُ عن العَنْقِ قليلاً فهو التَّرْيِدُ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ عَنْ ذَلِكَ فَهُوَ الذَّمِيلُ ، ثُمَّ الرَّسِيمُ ...
وفي حَدِيثِ قُسٍّ : يَسِيرُ ذَمِيلاً أَيْ سَيْراً سَرِيحاً لَيْناً وَأَصْلُهُ فِي سَيْرِ الْإِبِلِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ،
ج ٣ ، ص ١٥١٦) والعَنْقُ مِنَ السَّيْرِ : الْمُنْبَسِطُ ... أَعْنَقَ إِذَا سَارَعَ وَأَسْرَعَ (ابن منظور ، معجم لسان
العرب ، ج ٤ ، ص ٣١٣٥) .

حَتَّى إِذَا هَزَمَ الإِصْبَاحُ لِيْلَهُمْ بَعَسَكَرٍ مِنْ جُنُودِ النَّوْرِ مَبْثُوثٍ
وَصَفَّقَ الدِّيكُ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ أَسْفٍ عَلَى الظَّلَامِ ، وَنَادَاهُمْ بِتَغْوِيثٍ (١)

ثم لاءم الشاعر بين تشبيه النجم بجسم يطفو ، وبين الليل الذي يلازمه دائماً ، فاختار لليل أن يكون بحر ظلام ؛ فعبر عن عدم استمرار ملازمة النجوم لليل ، ويضعف ارتباطهما ؛ لتخيل غياب النجوم في السماء ، بغياب الأجسام في الماء ، ثم يصور الشاعر الليل والصبح جيشين متقابلين . وإذا المعنى واحد له وجهان النصر والهزيمة ؛ فالصبح منتصر ، وهازم الليل .

أما الخصائص الإنسانية التي جعلها الشاعر للطبيعة فهي العسكر والجنود والهزيمة ، والتصفيق والوجد والأسف والمناداة والاستغاثة . واستخدم الشاعر لوصف الطبيعة صوراً من الطبيعة نفسها

ومن مظاهر الطبيعة التي وقف الشاعر أمامها واصفاً متأملاً؛ النخيل ، فيصفها هي أيضاً بصفات إنسانية ؛ فملازمتها لمكانها على الأرض ، ثم مرور الكواكب عليها كسهيل وغيره لا يؤثر فيها كما تتحول أسنان صغار الإبل عند طلوعه . يقول :

ولقائِحٍ فِي الطَّيْنِ بَارِكِيَّةِ لَا تُشْتَكِي حَلًا وَلَا رِيْحًا (٢)
يَغْدُو سَهِيلٌ فِي الصَّبَاحِ لَهَا (٣) سِلْمًا إِذَا مَا حَارَبَ الإِبِلَا (٤)

== تَلِيْثٌ : اللَّبْتُ وَاللَّبَاتُ : المُكْتُ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ لَا يَشِينُ فِيهَا أُخْقَابًا ﴾ ... وَفِي الْحَدِيثِ : فَانْتَلَبَتْ
الْوَحْيِي ... مِنَ اللَّبْتِ ، الإِبْطَاءُ وَاتَّأَخَّرَ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٨٢) .

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ١٢٥ / البسيط .

(٢) لقائِح : وَاللَّقَائِحُ : مَا تُلْفَعُ بِهِ النَّخْلَةُ مِنَ الْفُحَالِ ... وَذَلِكَ أَنْ يَدَعَ الْكَافُورُ ، وَهُوَ وَعَاءٌ طَلَعَ النَّخْلَ لِيَتَبَيَّنَ أَوْ
ثَلَاثًا بَعْدَ إِغْلَاقِهِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ شِمْرًا خَا مِنْ الْفُحَالِ ... فَيُدَسُّونَ ذَلِكَ الشَّمْرَ فِي جَوْفِ الطَّلَعِ (ابن منظور ،
معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٠٥٨) ولقائِح في البيت -بمعنى النخل .

(٣) سَهِيلٌ : كَوَكَبَ تَمَانٍ ... لَا يُرَى بِحُرَّاسَانَ ، وَلَا يُرَى بِالْعِرَاقِ ... وَبَيْنَ رُؤْيَا أَهْلِ الْحِجَازِ سَهِيلٌ وَرُؤْيَا

فالنخل برك في الطين ، وهو تصوير عميق لإخفاء جذور النخل تحت التراب ، وارتكاز
ثقل الجسم على الأرض . ثم يصوّر ثباتها في مكانها ، واستمرارها على حالها ، بالصابر لا يشتكي
ولا يتذمر ، ولا يطلب الارتحال .

وللعلاقات المعنوية الأخرى التي تضمنها معنى اللقائح . أنها تتضمن الإبل . فيقارن الشاعر
بين النخل والإبل ، وأثر طلوع كوكب سهيل عليهما ؛ فأثره عليهما متضاد ، فهو يسلم النخل ،
في الوقت الذي تتغير فيه أسنان صغار الإبل .

وقد أدخل الشاعر النخلة الدائرة الإنسانية ؛ فالصفات التي استعارها لها (باركة ، لا
تشتكي ، الحَلّ الرّحل) .

وكما لاحظنا في النماذج السابقة من شعر الطبيعة ، أن الشاعر حين يصف ظاهرة من
ظواهرها ، يتناولها في مقطوعة من بيتين أو ثلاثة أبيات وأحياناً يكون بيتاً واحداً ، فيتأمل الظاهرة
بعمق التأمل ، ويستغل إحاءات الألفاظ المعنوية لينقل ، ما يتعلق بمظاهر الطبيعة . ولكنه قليلاً ما
يطيل في ذلك .

وقريباً من وصفه للنخيل وصفه للنبات بصفات إنسانية ، جعل بينها خاصة للطيور ، فجمع
له صفات الثبات في الأرض ، والاستمرار في النمو ، والحياة والانطلاق إلى الأعلى ، فساقه يطير ،
وجذوره تمتد في الأرض ، فيحتوي الشاعر النبات من جهتيه العليا والسفلى . يقول :

وأجـادَتْ بِلادُهُ بَنبـابِ
عِرقُهُ بارِدُ الشَّرابِ غَنـيٌّ
قاعداً في الثَّرى يُطَيِّرُ ساقاً ،
يَتَمَشَّى فيها شَبابٌ وريٌّ .

== أهل العراقِ إِباهُ عِشرونَ يوماً ... ويُقالُ إِنَّهُ يَطَّلُعُ عِندَ نِجاجِ الإِبلِ ، فإذا حالَتِ السَّنَةُ تَحَوَّلَتِ أُسنانُ الإِبلِ
(ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٢١٣٥) .
أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، ج ١ ، ص ٦٢٨ / الكامل .

وليه كَلَّمَا تَغَلَّغَلَّ في الأر
ضيه فراش من التراب وَطِي^(١)

فكما أن النخلة باركة في التراب ، فالنبات قاعد فيه ، والفرق بين الهيئتين في الإشارة إلى طول كل منهما ، فالنخلة أطول على اعتبار هيئة القعود والبروك . وكلما امتدت جذور النبات في الأرض ، أصبحت فراشاً وثيراً له ليستمتع بالإقامة فيها .

فطرفي النبات في وضع متضاد ؛ فالجهة السفلى منه ثابتة في الأرض راسخة فيها ، وطرف الساق العلوي ينمو ويمتد بسرعة ، فأشبه في ذلك طيران الطائر .

فالشاعر يحتوي الكون بخياله ، فيتناول معظم الظواهر المحيطة به ، فينقل لنا الظاهرة كما يراها خياله ، أو يعلل لها تعليلاً بديعاً ، نخياله فيه دور كبير ، ثم لخبرته ومشاهداته أثر فيها .

وللشاعر تعليل طريف أيضاً لصفرة النارج المائل إلى الحمرة ، فيختار لوصفها مشاعراً لمواقف خاصة بالإنسان ، فصَبَّغَ وجنتيه بلونين متعاقبين ، يظهر نتيجة انفعال داخلي .

فيشير هذا المظهر مظهراً مشابهاً له في خيال الشاعر . يقول :

كَأَتَمَّا التَّارَنُجُ لَمَّا بَدَتْ صُفْرَتُهُ فِي حُمْرَةٍ كَاللَّهْيَبِ^(٢)

وَجَنَّةُ مَعْشُوقٍ رَأَى عَاشِقاً فَاصْفَرَ ، ثُمَّ احْمَرَّ خَوْفَ الرَّقِيبِ^(٣)

فالنارج في صفته المائلة إلى الحمرة ، كوجنة المعشوق في إصفرارها من الخجل عند رؤية الحبيب واحمرارها خوف الرقيب .

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٤٦٠ / الخفيف .
(٢) النارج : سبق تعريفه في هامش ص ٤٧ من هذا البحث .
(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٩٠ / السريع .
وللنارج وصف آخر للشاعر انظر ص ٤٧ من هذا البحث .

والواقع أن المعروف في مثل هذا الحال أن يحمرّ وجه المعشوق عند رؤيته العاشق خجلاً ، ثم يصفرّ وجهه خوف الرقباء ، بعد أن يتنبه إلى ما هو فيه من موقف يستوجب معه اللوم . فحمرة الخجل أولاً ثم صفرة الخوف .

وطرافة الصورة في تعليقه للحمرة والصفرة في النارج ، وهما ظاهرتان طبيعتان ثابتان بظاهرة أخرى إنسانية بيولوجية متغيرة تتصل بأحاسيس ومشاعر داخلية .

ومن مظاهر الطبيعة التي ينقلها الشاعر إلى عالم الإنسان بصفاته وخصائصه : النرجس^(١) ، فيدقّق في وصفها ، ويلمّ بأجزائها . وفي طريقه للحديث عن الندى وانتشاره على الزهر ، وأثره في انتعاش النباتات ، وتفتح الأزهار ، أخذ سبيله إلى ذلك وصف إحداها ، ويبدأ بالجزء ثم ينتقل إلى الكل . يقول :

عيونٌ إذا عاينتها فكأننا مدامعها من فوق أجفانها دُرٌّ
محاجرُها بيضٌ وأحداقها صفّرٌ وأجسامها خضرٌ وأنفاسها عطرٌ
لدى روض بستانٍ كأن نبائه تقنّع وشياً حين باكره القطر^(٢)

والشاعر حريص على تصوير قطرات الندى على الزهرة الواحدة بدموع العين ، ويشبها أيضاً بجبات اللؤلؤ البيضاء اللامعة .

ويشبهه رائحة النرجس بالعطر ، في انتشارها . ثم يجانس الشاعر بين لفظين هما (عيون وعائنتها) . ولكنه تجانس جاء طبعاً .

(١) النرجس : التّرجِسُ بالكسرِ مِنَ الرّجائِجِ : مَعْرُوفٌ وَهُوَ دَخِيلٌ . وَنَرْجِسٌ أَحْسَنُ إِذَا أُعْرِبَ . وَذَكَرَهُ ابْنُ سَيِّدِهِ فِي الرَّبَاعِيِّ بِالْكَفْرِ ، وَذَكَرَهُ فِي التَّلَاثِيِّ بِالْفَتْحِ فِي تَرْجَمَةِ رَجَسَ (ابْنُ مَنْظُورٍ ، مَعْجَمُ لِسَانِ الْعَرَبِ ، ج ٦ ، ص ٤٣٩٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٥٨٨/الطويل .

وصفات الإنسان التي جعلها الشاعر للطبيعة هي (عيون ، منامعها ، أجفانها ، محاجرها ، أحداقها ، أجسامها ، أنفاسها ، تقنّع) .

وقد أجمل الشاعر في البيت الأخير ما فصله في الأبيات السابقة . فوصف الروض الذي غُطي بالزهر الملون بسبب الندى بقناع كثير الألوان .

ثم هناك حسن التقسم في البيت الثاني ، حيث أنهى كل قسم بلون تتكوّن منه الزهرة .

ثم يتأمل الشاعر فيما حوله ، ويشبهه في بعض صفاته بالطبيعة تارة وبإنسان تارة أخرى ، فكأن الشاعر يُوجد ألفة بينه وبين الجمادات من حوله ، فيصل الفانوس بالطبيعة ، حينما يشبه نوره بالبرق الخافت يلمع في السماء .

ثم يصله بالإنسان في شكل ضلوعه ، وأجفانه ، ويقصد بها الوُقود المشتعلة به النار ، وتستمر في الإشتعال مادام الوقود يخرج منها . يقول :

يَحْكِي لَنَا الْفَانُوسُ مِنْ بُعْدٍ لَنَا بِوَقْدِ نَائِقٍ مَوْهِناً لَمَعَانَهُ
النَّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُهُ وَالْمَاءُ مَا سَحَّتْ بِهِ أَجْفَانُهُ^(١)

والنار لا تشتعل بين ضلوع الإنسان حقيقة ولكنه يرمز إلى المشاعر التي تُلوع الإنسان .
والتشخيص يبدو في البيتين في قوله (ضلوعه ، وأجفانه) .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٥٣/الكامل .

والخمر كذلك يصفها الشاعر ، ولا يخلو وصفه من تشخيص لها ، أو لما يختص بها من أواني تُستخدم لها .

وكل موضع للصورة لا يخلو — غالباً — من خفايا معنوية أو نفسية أو فنية ، حَمَلت الشاعر على التشخيص ، مع قلة المواضع ، وندرة التماذج التي سأعرضها في باب الخمر .

وأولئى هذه المواضع بالتقديم تشخيص الشاعر للخمر حين خروجها من الدُّن ، فيرى ذلك تعرية لها ، ثم تستبدل لباسها الأول بقمصان من الزجاج المختلف الألوان .

وكأن الشاعر يسلخها تماماً من أصلها — أي المادة السائلة المُسكرَة — ليجعلها في عالم الإنسان ، إلا أنه يُضعف صفة الإرادة والتحكم في الذات لديها ، لِيُعيد الصورة عن حيز المبالغة المرفوضة .

يقول :

إذا عُرِيتَ من دَهْمَا استَبَدَلتَ بِهِ قَمِيصَ زُجَاجٍ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَابِسِ^(١)

والحركة ملازمة للفعلين (عُرِيتَ ، واستَبَدَلتَ) ، وفي قوله جميع الملابس يعني : أن الكؤوس التي تُدار فيها مختلفة التماذج والألوان .

ويذكر الشاعر الخمر بصفتها التي تعجبه فيها ، وتدفعه إلى الحديث عنها . يقول :

وَرَا حَ كَلَوْنِ التَّبْرِ يَضْحَكُ كَأُسْهَا^(٢) صَبَحْتُ بِهَا شَرِباً كِرَاماً وَغَادَيْتُ^(٣)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٦١/الطويل .

(٢) الرَّاحُ : هِيَ الخَمْرُ وكل خمر رِيَّاحٌ وَرَاحٌ ، وَبِذَلِكَ عَلِمَ أَنَّ أَلْفَهَا مُنْقَلِبَةٌ عَن يَاءٍ ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ سُمِّيَتْ رَاحاً لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَرْتَاحُ إِذَا شَرِبَهَا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٧٩٠) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٦١/الطويل ، وانظر كذلك : ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٩٧ .

ويقدم الشاعر اسم الخمر (راج) في البيت ، وهو من أشهر أسمائها^(١) وأكثر دلالة على أثرها في نفس شاربها ، ثم ليلائم بينه وبين ضحك الكأس بعد ذلك . والتشخيص في هذا البيت في فعل الضحك الإنساني ركبته الشاعر على كأس الخمر .

ويشبه الشاعر الخمر بالدماء المراقبة من إبريق الخمر ، ثم يشخصه ويجعل له أوداجاً يقول :

لا شيء يُسلي همّي سوى قدح تدمي عليه أوداجُ إبريقي^(٢)

ويقدم للبيت نافية أن يكون هناك أي وسيلة أخرى لتسلية همه سوى كأس الخمر ، فهو لا يقصدها لذاتها .

وللذنان في خيال الشاعر أيضاً صورة جيدة تفيض بالحياة والحركة ، فهي تشبه الجنود اصطفاً قائمين حوله ... وللجنود صفات : الصمت الطويل ، والتزام قلة الحركة ، ثم الوقوف في هيئة اعتدال الجسم . وانتصاب العنق . كل هذه الصفات للذنان في الهيئة والشكل جعلت الشاعر يربط بينه وبين الجنود . فيقول :

(١) ومن أسمائها أيضاً : المدام والسلاف والعقار والخندريس ، والصهباء ، والقهوة ، والشراب ، والطلا ، والرحيق ، والشمول ، والحميا ، والكميت ، والمروقة ، والمتقة ، والمشعشة ، والصفاية ، والمشمولة ، والصف ، والعتيق ، والعاتق ، والبكر ، والعذراء ، والعروس ، وأم الدهر ، وأخت المسرة ، وابنة العنب ، والسلسل ، والسلسال ، والسلسيل ، والسكر ، والنيذ ، والنضوح ، وهي أشهر الأسماء وأعذبها وأكثرها دوراناً في كلام الشعراء والأدباء . وأرقها الصهباء ، وأعذبها الحميا ، وألطفها السلاف ، وأخفها المدام ، وأظرفها القهوة ، وأقبحها القرقف ، وأفضلها الراح لاشتقاقه من الروح (شمس الدين محمد بن الحسن النواجي ، توفي عام ٨٥٩ هـ ، كتاب حلبة الكميت ، نسخة مصورة من مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة ، ص ٥) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٨٣/المسرح .

خَلَّتْهَا فِي الْبَيْتِ جُنْدًا صَفُّهَا حَوْلِي قِيَامًا^(١)

ثم يربط الشاعر بين الدنان الفارغة الملقاة على الأرض ، وبين الإنسان فهي - أي الدنان - تشبه قتلى حرب ماتوا بعد قتال شديد ، وجهد عظيم . ويقصد من ذلك أن الدنان تخلت من الحياة ، وفقدت مقوماتها حين أفرغ ما بها من الخمر . يقول :

وَتَرَاهَا وَهِيَ صَرَعِي قُرْغٌ بَيْنَ النَّدَامِي

وَمَثَلْ أَبْطَالِ حُرُوبٍ : قَتَلُوا فِيهَا كِرَامًا^(٢)

فالدنان الملقاة على الأرض ذكّرت الشاعر بقتلى الحرب ، كراماً ماتوا بعد صراع شديد . وكان يقصد بذكر الندامي أن يجعلهم الطرف المقابل لصرعى الحرب ، الذين سلبوهم أرواحهم . ويعمق الشاعر المعنى بعمق إحساسه به ، فيأتي في استخدامه الألفاظ بالجمع من الحرب ، يدلنا ذلك على كثرت تفكيره فيها ، وإن لم يمارسها ، وعلى قرب صورها من خياله وسرعة استدعائه إياها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٢٨/مجزوء الرمل .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢٩/مجزوء الرمل .

وشعر الصيد أيضاً يحفل بالمزج بين عالمه : من جوارح وضوار ، وبين عالم الطبيعة التي كانت مقدمات لقصائده ، وبين عالم الإنسان .

وقد يصف الطبيعة بشيء من خصائص الحيوان أو صفاته ، وأحياناً أخرى يصف الحيوان بظاهرة من ظواهر الطبيعة ، أو خاصة من خواصها .

فأحاسيس الشاعر وخياله يتعمقان الطبيعة بمظاهرها الجامدة أو المتحركة — ويشمل الحيوان — فيزيل الشاعر كثيراً من الحواجز والفواصل بينهما ، بل ويبنى جسوراً وقناطر تصلهما ببعضهما البعض .

فيذكر الشاعر خروجه للصيد بجيادٍ ضامرة سريعة . وخصص من أوصافها الضمور بالذكر ، لأنه سبب السرعة .

ثم يحدد وقت خروجهم ، فالصبح في نهاية الليل الذهاب ، ولون الكون أبيض تحيط به صفرة مشربة بحمرة ، يشبه المهر الأشقر .

والشاعر في تشبيهه هذا أراد بالإضافة إلى لُبه اللون الإشارة إلى النضارة والجدة والحدانة .

وبعد أن رسم الملاح العامة للطبيعة في طريقه إلى تحديد وقت خروجهم إلى الصيد ، انتقل إلى بيان حال الوحوش في مرابضها وأوكارها ، ويعبر عنها الشاعر بقوله (أوطانها) وبإطلاق لفظ الأوطان على بيوت الوحوش ، أراد أن يلمح إلى معنى السكون والطمأنينة والأمن والأمان والاستقرار ، الذي يحويه اللفظ . ويُشعرنا بالمعنى أكثر بأن تلاه بضده (تُذعر) — وإن كان الفعل منفيًا — فبضدها تتمايز الأشياء .

ثم يحاول الشاعر أن يحيط بالطبيعة ، وأن يُصور جانباً آخر من جوانبها الكثيرة المتعددة ، فيتحدث عن التراب وقد كشف وجهه عن ألوان كثيرة ، يفسرها في البيت الرابع ، بأنها الأبيض والأحمر ، والأصفر ، وأنها ألوان براعم لم تفتح أكمامها بعد . ومثل لنا هذه الصورة بعين مطبقة

أجفانها ، لم تنظر بعد إلى ما حولها . ويستمر الشاعر على نفس النسق في تصوير الحداثة ، وصيغر السن في الصبح والمُهر ، وهاهو هنا يتناولها في الزهر .

ولا يكتفي الشاعر بتشبيه حالة الانغلاق والإطباق بين الزهرة والأجفان ، ولكنه يضع في اعتباره منزلة كلي منهما في مكانه ، العين في الإنسان ، والزهر على الأغصان .

وأن العين الناظرة إلى الأزهار تحسبها فماً لم يُفتح ، وهو وصف آخر للانغلاق ، كسابقه من خصائص الإنسان .

ومياه الغدير صافية نقية ، فيستعير لها الشاعر أيضاً صفة إنسانية هي الدموع ، وكذلك النبات الذي اغتسل بماء المطر . ثم وصف السماء على اعتبارها مخصصة بذلك ، والغمم مُنفرج عن الشمس ، وهي باهتة كالبتسم لرم ابتسامته ، تعبيراً عن الهدوء والنكون الذي كانت عليه الطبيعة .

والرياض تغسلها مياه الأمطار تشبه دراهم نُثرت هنا وهناك ، والجامع بينهما اللعمان والاستدارة . والتشبيه بالدراهم المنثورة يزد في أكثر من موضع في شعر المتنبي^(١) .

ثم يضع الشاعر اللمسات الأخيرة على الصورة ، فالشمس في وقت الضحى محتجة وراء الغيوم كالدمعة الحائرة في العين ، وهو تصوير بدیع تلمح فيه الشمس ، وتلحظ ولا تُرى بوضوح . وهو هنا أيضاً يخلع على الدمعة صفة الحيرة الإنسانية ؛ لتشبه الشمس في اختفائها خلف السحب .

(١) وذلك في وصفه القتلى بالدرهم في مدحه لسيف الدولة يقول :

وَتَرْتُهُمْ فَوْقَ الْأُخَيْدِ كَأَنَّهُ كَأُثْرَتِ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ

انظر كتاب الشيخ ناصف اليازجي ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي ، الطبعة الثانية ، دار

العلم ، بيروت - لبنان ص ٤٠٥ .

وفي وصفه أيضاً لأشعة الشمس بين أغصان الأشجار المتشابكة خلال وصفه لشعب بوان يقول :

وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي يُبَانِي ذَنَانِيراً تَقَرَّرَ مِنَ الْبَنَانِ

المرجع السابق ، ص ٥٩٠ .

ثم يصل الشاعر السماء بالأرض ، وكلامه السابق باللاحق ، ويلخص كل ما سبق في شطر بيت فيقول (والشمس في اضحاء جو أخضر) ، فالخضرة عامة على سطح الأرض بسبب عطاء السماء . والآيات هي :

قد اغتدي على الجياد الضمير	والصبح في طرة ليل مُسْفِر ^(١)
كانه غرة مَهْرٍ أَشْقِر	والوحش في أوطانها لم تُدْعِر
جلا لنا وجه الثرى عن منظر	كالعصب أو كالوشى أو كالجوهر ^(٢)
من أبيض وأحمر وأصفر	وطارف أجفائه لم ينظر ^(٣)
تخاله العين فمأ لم يفقر	وفاتق كاد ولم يُتَوَر ^(٤)
كأنه مُبْتَسِم لم يكثير	وأدمع العُدران لم تُكْثِر

(١) طرة : طرة الزادة والثوب : علمهما ، وقيل : طرة الثوب موضع هذبه ، وهي حاشيته التي لا هذب لها ... وطرة كل شيء : حرفه ... والطرّة : النَّاصِيَة . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٦٥٤) .

(٢) العصب : سِنُّ دَابَّةٍ بَحْرِيَّةٍ تُسَمَّى فَرَسَ فِرْعَوْنَ ، يُتَّخَذُ مِنْهَا الْحَرَزُّ وَغَيْرُ الْحَرَزِّ ... ويكون أبيض ... والعصب : الطي الشديد . وعصب الشيء يعصبه عصباً ، طواه وكواه ، وقيل شدة ، (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٩٦٤) والعصب في البيت بياض اللون .

(٣) الوشي : مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ... وَالْوَشْيُ فِي اللَّوْنِ خَلْطُ لَوْنٍ بِلَوْنٍ ... وَوَشِيَ الثَّوْبَ وَشِيًا وَشِيَةً : حَسَنَهُ . وَوَشَاهُ ، نَمْنَمَةٌ وَنَفْسَةٌ وَحَسَنَةٌ ، (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٨٤٦ - ٤٨٤٧) .
(٤) طارف : الطَّرْفُ : طَرَفُ الْعَيْنِ . وَالطَّرْفُ : إِطْبَاقُ الْجَفْنِ عَلَى الْجَفْنِ ابْنِ سَيْدِهِ ، طَرَفٌ يَطْرِفُ طَرْفًا ، لَحَظَ ... التَّهْدِيبَ وَغَيْرَهُ : الطَّرْفُ اسْمُ جَامِعٍ لِلْبَصَرِ ، لَا يُنْتَنَى وَلَا يُجْمَعُ ، لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ ، فَيَكُونُ وَاحِدًا وَيَكُونُ جَمَاعَةً . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ لَا يُزْنَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ .. وَطَرَفَ بَصْرَهُ طَرْفًا إِذَا أَطْبَقَ أَحَدًا جَفْنَيْهِ عَلَى الْآخَرِ ، الْوَاحِدَةُ مِنْ ذَلِكَ طَرْفَةٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٦٥٧) .

(٤) وفاتق : الفَتَقُ : الْحَلَّةُ مِنَ الْعَيْمِ ، وَالْجَمْعُ فَتُوقٌ ... وَالْفِتَاقُ : الشَّمْسُ حِينَ يُطْبِقُ عَلَيْهَا [الْعَيْمِ] ثُمَّ يَسْتَدِرُّ مِنْهَا شَيْءًا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٣٤١) .

والروضُ مغسولٌ بلبيلٍ مُمطرٍ كأنَّها دراهمٌ في مَنشَرٍ
أو كَعُشورِ المصحفِ المُنتشرِ والشمس في إضحااءِ جوٍّ أخضرِ
كدمعةٍ حائرةٍ في مَنجَرٍ^(١)

وفي موضع آخر من شعر الصيد يتعمد الشاعر وصف الطبيعة من خلال مرور الخيل بها .
ويقدم الشاعر بذكر يوم اللذات سرقه من الدهر - ولم يعلم له نظير فيما سبق - ، مما
يدل على قلة اللذات لدى الشاعر ونُدرتها ، فالدهر لم يمنحه الكثير مما يتمناه ، وتطلبه نفسه .
وما يتمناه نفسه لا يستطيع أن ييوح به في شعره .
يدل على قلة اللذات لدى الشاعر ونُدرتها ، فالدهر لم يمنحه الكثير مما يتمناه ، وتطلبه نفسه .
ويُفصّل في ذكر اللذات ، فإذا هي خروجهم مبكرين والشمس لم تأخذ بُعدُ مكانها في
الأفق . سارت بهم جيادهم السريعة . ووصف سيرها بسير السيل ، وكأنَّي بها سرعة لا تظهر فيها
حركة القوائم ، فقطع الجياد في سيرها الرياض والبساتين التي انتبت أزهارها حين بللتها دموع
السحاب المتساقط عليها .

ثم ينتقل الشاعر من الحديث عن الزهر ، ليتحدث عن عبيره الطيب المنتشر في كل مكان .
فإذا للمسك أكياس أو أوعية ، تفتّحها أيدي الرياح الناعمة الهادئة ؛ فينتشر ما فيه بين البقاع .
والصورة طريفة وبديعة ، ركبُ فيها الشاعر أكثر من طرف ، لينقل صورة الرياح تحمل الرائحة
الزكية ، فكان سبيله إلى ذلك توجيه حركة الرياح ، وجعلها مقصودة بنشر العبير ، وهي أيضاً لها
أيدي ناعمة هادئة ، تفتح بها أوعية المسك التي لولاها - أي الرياح - لطال انغلاقها على طيب
ما بها . ويقول الشاعر :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٤٠ - ٤٤٢ /الرجز .

ومن عَجِبَ اللَّذَاتِ يَوْمَ سَرَقْتُهُ من الدهرِ لم يَعْلَمَ به الدهرُ سالفُ
غَدونا ولمَّا ترتقى الشمسُ أفقَهَا تَسِيلُ بنا قُودُ الجِيَادِ الحَوَائِفِ^(١)
تَشُقُّ رِياضاً قد تَيَقَّظَ نُورُهَا وَبَلَّلَهَا دَمْعٌ من المُنَزَنِ ذَارِفُ
كَأَنَّ عِيَابَ المِسْكِ بين بِقَاعِهَا^(٢) يُفْتَحُهَا أَيَدِي الرِيَاكِ اللطَائِفِ^(٣)

وأما الألفاظ التي اتضح فيها التشخيص فهي (يعلم ، تيقظ ، دمع ، أيدي الرياح) . ثم الظلال المعنوية لهذه الألفاظ .

وبعد وقفة ليست بالطويلة ، أمام نماذج من شعر ابن المعتز ، التي اتسمت بخاصة وصل الموصوف بخصائص الإنسان (التشخيص) ، نخلص إلى أن الصورة تتميز بالبساطة والوضوح ، ثم قرب المشبه من المشبه به في المصدر .

(١) قُودٌ : أفودهُ قُوداً وَمَقَادَةٌ وَقَيْدِيَّةٌ ، وَقَادَ البَعِيرَ ، وَأَقْتَادَهُ معناه جَرَّهُ خَلْفَهُ ... والقُودُ من الحِيلِ الَّتِي تُقَادُ بِمَقَادِيهَا ، وَلَا تُؤَكَّبُ وَتَكُونُ مُودَعَةً مُعَدَّةً لَوَقْتِ الحَاجَةِ إِلَيْهَا . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٧٧٠) .

الحوائف : الحِثَّافُ سُرْعَةً قَلْبِ يَدَيِ الفَرَسِ .. والجمع حُثُفٌ .. قيل هو إذا أَحْضَرَ وَنَسَى رَأْسَهُ وَيَدِيهِ فِي شِقِّ ؛ وَخَنَفَ الفَرَسُ يَخْنِفُ خَنْفًا ، فَهُوَ خَانِفٌ .. وَخَنُوفٌ . أَمَالَ أَنْفَهُ إِلَى فَارِسِهِ .. وَالْحَائِفُ : الَّذِي يُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى الرَّمَامِ ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ تَشَاطُطِهِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٢٨٠ - ١٢٨١) .

(٢) عِيَابٌ : العَيْبَةُ : وَعَاءٌ مِنْ أَدَمَ ، يَكُونُ مِنْهَا المُنَاعُ ، وَالْجَمْعُ عِيَابٌ وَعَيْبٌ ، فَأَمَّا عِيَابُ فَعَلَى القِيَاسِ ، وَأَمَّا عَيْبٌ فَعَلَى جَمْعِ عَيْبَةٍ . وَسَبَبُهُ أَنْ يَأْتِيَ تَابِعًا لِلِكثْرَةِ ... وَالعَيْبَةُ أَيْضًا زَبِيلٌ مِنْ أَدَمَ يُنْقَلُ فِيهِ الزَّرْعُ المَحْصُودُ إِلَى الجَزِينِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣١٨٤) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٢/الطويل .

وإن خاصة وصل الموصوف بخصائص الإنسان (التشخيص) يتميز بها الكثير من شعر الوصف عند ابن المعتز . ولكنني اخترت أوضح تلك المواضع ، وعرضتها في هذا الفصل على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ويبقى في شعره في الوصف نماذج تستحق العرض والدراسة والنظر قد لا نضيف جديداً لدراستي الفنية لشعره .

* * *

الفصل الرابع: الخيال التركيبي .

الفصل الرابع

الخيال التركيبي

الخيال قدرة خالقة بانية لثبط جديد ، ومجالات غير معهودة للمظاهر والمعاني المعهودة والمعروفة من قبل . عمادها التفكيك والتحليل ثم إعادة البناء والتركيب للتقريب بين المتباعدات والتجربة الأولى هي المثير الأول لكوا من هذه القدرة ، فتكون التجربة الأولى بهذا الاعتبار : « ليست إلا بذرة تُعطي فرصة الدخول في أجواء بعيدة وقرية من أجل أن تُجرى عليها صفة التفكيك تلك ، وإعادة التنظيم والبناء ، والدخول في مجالات كثيرة مغايرة ، حتى تغدو التجربة الأولى مجرد مناسبة ، والخيال الإنساني هو المبدأ الأول في كل إدراك إيجابي فعال نشط »^(١) .

وقد قدم كولردج^(٢) تصوراً للخيال الإبداعي في سياق النزعة الرومانتيكية .. ويميز بين الخيال والوهم .. وأن الخيال إظهار الجدة في كل ما هو مألوف ، وتحقيق الملاءمة والتوازن والإعتدال . وعلى أساس منهج التحليل والتركيب للمشاهدات والمرئيات التقطت نماذج من شعر الرصف عند ابن المعتز أبيات أو مقطوعات تظهر فيها هذه الخاصية .

(١) الدكتور مصطفى ناصف ، كتاب الصورة الأدبية ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م . الناشر دار الأندلس .

ص ١٨ .

(٢) كولردج : صامويل تمار (١٧٤٢ - ١٤٣٤) شاعر وناقد وفيلسوف إنجليزي من قادة الحركة الرومانسية

في الشعر والفكر في أقطار .. ابتكر نظرية فلسفية للأدب .. إذ يعتبر الخيال .. هو العقل في أرق مراحل الصهر والتوحيد .. (بإشراف محمد شفيق غريمال ، الموسوعة العربية الميسرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م ، الناشر دار الشعب ، ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر . ص ١٥٠٩) .

(وانظر كذلك ستانلي هايمن ، كتاب النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، ترجمة د. إحسان عباس ، ود .

محمد نجم ، الناشر دار الثقافة ، بيروت ، ج ١ ، ص ٢٥) .

ومن ذلك تشبيه الشاعر لضوء القمر المنتشر بالفضة المذابة على البلد . فيحملنا الشاعر لرؤية جديدة حلل فيها الفضة وأذابها بكميات ضخمة تُناسب حجم البلد ثم صبها - أى الفضة - على البلد .

ويبقى لك بعد ذلك أن تتخيل النتيجة ، وأن تطلق خيالك العنان دون حدود . تُرى كيف سيصبح شكل البلد بعد أن ذابت الفضة عليها ؟ !

يقول :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضة ذابت على البلد^(١)

ويستثير الشاعر القاريء باستفهام يوقظ انفعالاته ويوجهه إلى مشاركته الإستمتاع بليلة بيضاء .

والبياض رمز للسلام ، والشاعر يرى امتداد أشعة ضوء القمر إلى مساحة البلد كلها من حوله ، فيستغرق الضوء كل مكان فيها ، فأجاز لنفسه أن يسميها ليلة بيضاء كما تعيشها نفسه ، وكما تبدو لمشاعره وإحساسه بها .

وفي موضع آخر من شعر الطبيعة يصف الشاعر القمر فيقدم بيان حاله في تلك الليلة ، فقد أرق ؛ فلم يذق طعم النوم ، فقد جمع إلى الأرق القلق والإضطراب ، وشبه حاله على فراشه بمن يتقلب جنبه على جمر ، ثم يربط حالته هذه بالقمر الذي سرق نصفه ، فالأصل فيه الكمال والإكتمال ليكون بدرأ .

ثم يصف القمر بأنه مجرفة العطر ، ونحن نعرف المجرفة للماديات ، فكيف تكون مجرفة العطر ؟ ! .. فالقمر على هذه الصورة ، وفي الوقت الذي طلع فيه قد يرتبط بسعادة ينتظرها

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٩٦/البيسط .

الشاعر أو بهجة متوقعة ، أو لقاء يتطلع إليه الشاعر ، وينتظره ويأرقه الإنتظار ؟ ! يقول :

ما ذُقتُ طعمِ النومِ لو تُدرِي كأنَّ جَنبِيَّ على جَمْرٍ
في قمرٍ مسترقٍ نصفه كأنه مجرّفة^(١) العطر^(٢)

ويلتقط خيال الشاعر من الطبيعة الليمون بين أوراقه الخضراء ، فيشبهه بمداهن الذهب ، ويضيف إطباقه على رائحة المسك^(٣) والخمر . واختار المسك والخمر لأن لونهما قائم بالإضافة إلى رائحة الأول الزكية ، وصفة الثاني من إمتلاك العقل . يقول :

كأنما الليمون لما بدا للعين في أوراقه الخضر
مداهن من ذهب أطبقت على ذكوى المسك والخمر^(٤)

ويبقى فرق بين الظاهرة الأصلية ، والصورة الشعرية في البيتين السابقين ، وهو أن الأصل ثابت على هيئته دائماً . أما الصورة فلا تلتحم أجزاءها إلا في وجه الشبه فقط ، الذي ركه الشاعر وخلقه خالقاً فنياً جديداً .

-
- (١) مجرّفة : الجراف مكيال ضخم .. الجوهري : يقال لضرب من الكيل جراف وجراف .
والجراف : أخذك الشيء عن وجه الأرض بالمجرّفة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٣) .
- (٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٢/السريع .
- (٣) المسك : ضرب من الطيب يتخذ من ضروب من الغزلان ، القطعة منه مسكة ، والجمع مسك . وهو مذكر ، وربما أنث بجعله جمعاً للمسكة ... ومسك البر نبت أطيّب من الخزامى .
(المعجم الوسيط ، ج ٢ ، ص ٨٦٩) .
- (٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٩٩/المعجم .

ويتناول الشاعر الخمر وكأسها ، وشاربها ؛ فيشبهها بذوب الذهب والفضة تارة ، وبالياقوتة المتوقدة تارة أخرى . وحَبَّابها بالدر وزبد الماء .

ويُحلَّل الشاعر المادة الأولية ، فالذهب في صفة السيولة وكذلك الفضة وقشور اللؤلؤ كؤوساً للخمر محشوة بروقاً ، أما الساقى فهو مقسم لقطع الشمس .

فيحلل الشاعر ويركِّب ، ويجمع الظواهر المختلفة والمتباعدة أحياناً إلى بعضها البعض ، فتأتي الصفات نمطاً جديداً ، وبناءً خيالياً بديعاً ، له روابط وعلاقات بالأشكال والألوان ، والخصائص العامة والخاصة . ثم حين تفقد الظواهر صلاتها الطبيعية ببعضها البعض ، يضيف خيال الشاعر صلات جديدة ، وروابط قوية .

ويذكر الشاعر الخمر بأسماء لها عُرفت بها وهي [قهوة ، بكر ، ربيبة ، حانية ، عذراء] ثم يشبه الخمر بموج الذهب المذاب ، وبدأ بذكر الموج ليوضح الشاعر درجة ذوبان الذهب إلى السيولة التامة ، وبعد أن حلَّه ركَّبه على كأس هو قشور اللؤلؤ الأبيض . يقول :

من لي على رَغَمِ الحسودِ بِقَهْوَةٍ بِكُورِ رَبِيبَةٍ حَانَةِ عَذْرَاءِ

مَوْجٍ من الذهبِ المُذابِ يَضُمُّهُ كأسٌ كَقَشْرِ اللُّؤْلُؤِ البِيضِ^(١)

وفي موضع آخر تزدحم الصور التي يصف بها الشاعر الخمر بخصائصها المختلفة ، شكلها ولونها وكأسها ثم الحباب فوقها .

فالزجاجة قميص للخمر ، والخمر ياقوتة متقدة . ولوصفه الخمر بالياقوتة يشبه الكأس بالدرّة .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٦/الكامل .

هذا في حالة كونها غير ممتزجة فإن أضيف إليها الماء ، فهو شَبَاكٌ فضيةٌ يُلقى في وسطها ، وله حَلَقٌ بيضاء تتحلل وتفكك تارة وتتعقد تارة أخرى .

وبعد أن وصف الخمر والكأس في البيت الأول ، والحَبَابَ في البيت الثاني بشيء من التفصيل في الوصف . يُجمل الوصف في البيت الثالث ، بتشبيه الخمر على هذه الهيئة بما مسته النار — أي سائل — فأصبحت تفور وتُزْبِدُ . يقول :

فَهَاتِ عُقَارَ فِي قَمِيصِ زُجَاجِيَّةٍ^(١) كَيَاقوتِيَّةٍ فِي دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ
يَصوغُ عليها الماءُ شُبَّانَكَ فَضِيَّةً لها حَلَقٌ بِيضٌ تُحَلُّ وَتُعَقَّدُ
من السَّائِي مَسْتَهِنَّ نَارٌ بِلَفْحَةٍ فظَلْتُ بما فيها تَفُورُ وَتُزْبِدُ^(٢)

ويشبه الشاعر الخمر بالفرس الأحمر الداكن الحمرة ، مع أن المعروف عن الكمية أنه إسم للخمر فيه حُمْرة وسَوَاد . ولكن الكاف التي سبقت كمية دلت على وجود التشبيه . والكمية لفظ مشترك بين الخيل والخمر .

ويثبت الشاعر هذا المعنى في التشبيه ، ويقوي دعائمه بإتمامه وصفها على نفس النسق ؛ فوصف الحَبَابِ على الخمر باللبب^١ من اللؤلؤ فُلدها إياه الفارس .

ويسند فعل تقلد الفارس للفرس ليؤكد ويثبت تشبيهها بالفرس . فالفارس يوجب وجود

الفرس

(١) عُقَارُ الخمر : سميت بذلك لأنها عاقرت العقل وعاقرت الدن ، أي لزمته ، يُقال : عاقره إذا لازمه وداوم عليه . وأصله من عُقِرَ الحَوْصُ ، والمعاقرة إدمان شرب الخمر .. وفي الحديث .. لا يدخل الجنة مُعاقرة خمر (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣٠٣٨) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٩٨ — ٩٩/الطويل .

وتقليده اللب للفرس يعني أنه ليس أصلياً له ، وقد يُتزع منه . والتضاد في البيت غير واضح بين أول لفظ وآخره ؛ فيه يقول :

كَكَمَيْتِ اللَّوْنَ قَلْدَهَا^(١) فَارِسٌ مِنْ لَوْلِيٍّ لَيْبَا^(٢)

ومن صورته للخمر أيضاً تشبيهها بالعروس في خدرها والعلاقة وطيدة بين العروس والخدر ، وبين العروس والخمر ، والخدر والذن فالعروس تتم زينتها في خدرها ، وهو لها وحدها دون غيرها ، والخمر كذلك تخرج من ذنّها بعد أن أقامت فيه حتى أصبحت مُعْده .

وأما انسكاب الماء عليها — لثَخْفَ من عَيْقِهَا — ثم حركة الماء شبه الدائرية ، فهي تشبه فلَكُ دَرٍ ، فنزل الشاعر بالفلك من أعالي السماء إلى كأس الخمر ، ثم ضمَّ إليه الدُر ليدور فيه .. ويصبح منه فحلل وركب . يقول :

كَأَنَّهَا الْعُرُوسُ جَوْفَ الْخِذْرِ لِلْمَاءِ فِيهَا فَلَكٌ مِنْ دُرٍّ^(٣)

وبالإضافة إلى ما سبق فهناك شبه الحفاوة والتكريم والتطلع إلى العروس وإلى الخمر مِنْ قَبْلِ مُحِبِّهَا .

(١) كَمَيْتِ : الكَمَيْتُ : لون ليس بأشقر ولا أدهم ؛ وكذلك الكَمَيْتُ من أسماء الخمر فيها حُمرة وسواد ، والمصدر الكَمَيْتُ .

ابن سيده : الكَمَيْتُ لون بين السواد والحمرة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٢٦) .
واللَّبُّ ... وهو ما يُشَدُّ على صَدْرِ الدَّائِيَةِ أو النَّاقَةِ ؛ قال ابن سيده وغيره : يكون لِلرَّحْلِ وَالسَّرَجِ بِمَعْنَاهَا مِنَ
الاستِخَارِ . وألبت السرج : عملت له لِبَاءً . (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٨١) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٣٤/المديد .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٤٥/الرجز .

هذا شأنه مع الخمر أما ساقها ؛ فللشاعر وصف بديع له حين يَصُبُّ الخمر في الأقداح .
فيصف الشاعر الساقى بالحسن ، ويسميه بإسمة (أحمد) ثم يصف الخمر التي أتى بها
بصفرة تشبه معها صفرة الورد .

ويبدأ الشاعر بذكر الساقى — صفته وإسمة — فهو موضوع حديثه في الأبيات ، ثم . يلي
ذلك ذكر صفة الخمر ولونها . والتي أوْحَتْ له بالصورة التالية عليها . ويمهد بتشبيه صفرتها
بالشمس .

ثم يحدد الوقت الذي يصف فيه الخمر ، وهو آخر الليل حين طلوع الفجر . فإذا به بعد
ذلك إلى وصف الخمر بقطع الشمس ، فقد حملها خيال الشاعر من السماء وجعلها على الأرض ،
ثم جعلها قطعاً يُوزعها الساقى على الشاربين .

فالملاءمة واضحة بين الوقت وهو طلوع الفجر ، وبين وصفه للخمر بالشمس ؛ فكأن
انتظاره لطلوع الشمس ، جعله يرى في الخمر بديلاً عنها ، في ضوئها وأشعتها الذهبية النفاذة . مع
أن الشاعر يتفر من الصبوح في أرجوزته المشهورة ، ويفضل عليه الفبوق .

يقول الشاعر :

يا حُسْنَ أحمدَ غادياً أَمْسى بِمُدَامَةٍ صفراءَ كالوَرْسِ^(١)
والصبوحُ حيٌّ في مَشارِقِهِ والليلُ يَلْفِظُ آخرَ النفسِ

(١) الوَرْسُ : نبت أصفر يكون باليمن ، تُتخذ منه العُمرَة للوجه ... منه أورش المكان وأورش الزمن (شجرة
من الحمض بالأشنان) أي أصفر ورقه بعد الإدراك فصار عليه مثل الملاءِ الصُّفر ... قال أبو حنيفة : الورد
كيس بيري يُزرع سنة فيجلس عشر سنين . أي يقيم في الأرض ولا يتعطل ، وقال نباته مثل نبات
السَّمْسِم ، فإذا جَفَّ عند إدراكه تُفْتَقَّتْ خرائطُهُ فَيَنْقُضُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ،
ص ٤٨١٢) .

فَكَأَنَّ كَفَيْهِ تُقَسَّمُ فِي أَقْدَانِنَا قِطْعاً مِنَ الشَّمْسِ^(١)

والصورة هنا ملكٌ لخيال الشاعر لم يسبقه إليها غيره ، جدّد فيها بعد أن كثر تشبيهه الخمر بالشمس^(٢) .

والملاءمة الموسيقية واضحة في الأبيات بتكرار بعض الحروف ذات الجرس العالي .

ويزج الشاعر مزجاً رائعاً بين الكأس وما فيها من الخمر في صورة بديعة . فإذا كانت الكؤوس قشور لؤلؤ - كما عرفنا في أبيات سابقة^(٣) - فإن الخمر فيها هي ذلك اللؤلؤ الرطب ، فاللؤلؤ وقشره متلازمان إلا أنه وصف الخمر باللؤلؤ في حالة عدم صلابته التي نعرفها عنه .

ولم يكتف الشاعر بذلك ، بل صور ثورة الخمر ، وتموجها وفورانها بالبروق في صيغة الجمع ، مبالغة في وصف حالتها . وجعل الكأس محشوة بها ليعبر عن شدة ازدحامها ، وضيق الكأس بها .

والصورة غاية في الإبداع ، إذا استطاع الشاعر أن يركب أجزاءها من عناصر مختلفة ، اللؤلؤ المعروف من جوهر وكنوز الأرض ، والبروق التي لا تُرى إلا في السماء . يقول :

(١) ابو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٤٩/الكامل .

(٢) ولم يورد الإمام شمس الدين النواجي هذه الأبيات في حله الكميّ بل ذكر قول جامعه :

ساق كبدر دجا يسعى بشمس ضحى بين النداء ما يفوق الغصن إن خطرا

فأعجب لشمس أضاءت في يد قمر والشمس لا ينبغي أن تدرك القمر

انظر باب وصف الساق وآدابه ١٢٢ - ١٤٢ .

(٣) انظر ص ١٧١ من هذا البحث .

وَكؤوسٌ كَأَنَّهُنَّ قُشُورُ اللؤلؤِ السَّرَطِ حَشُوهُنَّ بُرُوقُ (١)

ومع الإجادة والروعة في التحليل والتّركيب في الصورة السابقة إلا أنها افتقرت إلى عمق الإحساس ، والمشاعر التي تلوّنها وتحركها وتمبها الحياة . فالشاعر هنا رسّام يمزج أشكالاً وألواناً ويتركبها أكثر منه شاعراً .

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ١٨٩/الخفيف .

وفي شعر الصيد ، ومن صور الطبيعة وصفه لليل بذي جلاب أسود ، شديد السواد ، وليؤكد الشاعر صفة السواد ، وليثبت وفرة الصور في ذاكرته ، وكثرت خبراته ومخزون مشاهداته ، يصور الليل ملتحقاً بجناحي غراب أسود .

وتشبيهه سواد الليل بسواد الجلاب ، إشارة إلى عدم ثبات صفة السواد . وعبر أيضاً عن استمراره ، والتبكي في تشبيهه أيضاً بمن يرتدي حلة الشباب لم يخلعها .

وبالإضافة هنا إلى التحليل والتركيب في الصورة ، فالصيغ أيضاً فيها تقريب بين الليل والإنسان في قوله [ملتحف] ، يقول :

يا رَبُّ لَيْلٍ حَالِكِ الْجِلْبَابِ مُلْتَحِفٍ بِخَافِقِي غُرَابِ

لم يُفِرْ عَنْهُ حُلَّةُ الشَّبَابِ^(١)

وفي موضع آخر من شعر ابن المعتز في الصيد ، وفي مقدمة في وصف الطبيعة أيضاً تنعكس الطبيعة بجزئياتها ، ومكوناتها ، على خياله الشاعر صوراً ذات دلالات ومعاني ، مترابطة تنقل لنا إحساسه بها .

فيشخص الشاعر الصبح على أنه حاد قد ذهب لليل شديد السواد ، ثم يجمعها - الليل والصبح - في صورة الثوب الأسود ذي الشقوق ، وكأن هذه الشقوق بياض الصبح الظاهر في جسم الليل .

والشاعر يُوجد بين الليل الذهاب ، والصبح القادم علاقات وروابط ، فالأولى علاقة الحادي بقطعة ، وهي علاقة لحاق واتباع . وفي الصورة الثانية يجعل الليل هو الأصل ، ومن خلاله يبرز الصبح ويظهر . بل يُوجد بينهما شيئاً من الاتحاد ؛ فهما يمثلان كلاً لا يفصل .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٢/الرجز .

ويفص الشاعر النجم على أنه غرة بيضاء على جبهة جواد الفجر المبرج القادم .
ثم يجعل الشاعر هذه الصورة طرفاً أول لصورة أخرى ، هي أن النجم كالمصطلبي للهب
العظيم المنتشر ، وهو الصبح . ووصفه له بالهب الموجج يحمل معنى استمرار انتشار أشعة
الصبح .

والجزء أثارها طلوع الصبح ، فأصبح ضوءها يظهر ويختفي ؛ يشبه في ذلك القلم تحركه
الريح بقوة وسرعة ، وقد لاءم الشاعر بين شجو الجزاء ، وخفقتها . ثم وصف اللواء المزعج .
والصفات الثلاثة السابقة خصائص إنسانية ، بالإضافة لحدًا ، والمصطلبي ، مع التحليل والتركيب
الذي أجراه الشاعر في الأبيات . يقول :

لَمَّا حَدا الصبْحُ بليلى أدعج مثل القباء الأسود المبرج
والنجمُ في غرة فجر مبرج كالمصطلبي بالهب الموجج
وأفئ الجزاء بالصبح شجي^(١) خافقةً مثل اللواء المزعج^(٢)

هذه مواضع من وصف الطبيعة في مقدمات شعر الطرد ، أما شعر الطرد نفسه ؛ فيصف
الشاعر جارحاً من جوارحها ، وهو طائر (الزرقي) فهو يألف الجن أكثر من الانس . بمعنى أنه
قوي نشط يفعل ما لا يُصدق ، ويأتي بالعجب . وهي مبالغة نقل الشاعر المعنى بها . ثم يذكر

(١) الجزاء : ويطلق عليها نوء الحقعة ، والهنعة وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كالانافي . هي رأس
الجزاء . سميت بهذا الاسم تشبيهاً بعرض زور الفرس الذي يقال له الحقعة . والعرب تُسمى الكوكبين
اللذين على قدمي التوأم الثاني من كوكبي التوأمين الحقعة ، التي هي مع ما يحوطها من نجوم ، تُسمى
الجبار .

والهنعة كوكبان مقتردان ينعطف كل منهما على الآخر ، وهما أول أنواء الشتاء عند ابن رشيقي ، ونوؤه هو
نوء الجزاء . (د . يحيى عبد الأمير شامي ، كتاب النجوم في الشعر العربي القديم ، ص ٩٦ - ٩٧) .
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د . يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ / الرجز .

الشاعر اختصاص الطائر الزُّرْقُ بالسمك في النهر ، ويبيّن طريقة صيده لها ؛ فيلتقطها بمنسره الذي هو عبارة عن فأس من الطين الصلب التماسك ، وشبهه بالفأس ، لأنه يفتك بمن يصيبه مع شبه الشكل .

أما صيد الزُّرْقُ فهو سمك كبير على شكل النصال في طوله وقوته وصلابته ، فتجتمع القوتان المتكافئتان ، ولكن منسر الزُّرْقُ هو الأقوى ، فيصطاد السمك ، فكأنّها نصال ملقاة ليس في ذاتها قوة ، فلا تصدر منها أدنى مقاومة حين اصطيادها .

وكان الشاعر يتلذذ باقتناص القوة ؛ فيذكر تفاصيل ليست ذات بال ، فالصيد يتم في الصباح ، والطائر يحمل السمك المصطاد خارج الماء ليضعه قرب الصياد .

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الزُّرْقُ ، فصدره متداخل الألوان ، كأن عليه كتابة أو زُيِّنَ بالألوان المختلفة . ولم يحرص الشاعر على الترتيب في وصفه للزُّرْقُ فبدأ بوصف صدره ؛ لأنه أول ما يقع عليه نظر الناظر إلى الطائر . ثم وصف عينيه دون أن يصف رأسه . واكتفى بوصف منسره في الأبيات السابقة — في حديثه عن طريقة صيده — ووصف ذكائه ، وفطنته في اصطيد الأسماك ، ويشبه عينيه بالدينار في الاستدارة والصفرة . ويشير من طرف خفي إلى أهمية عيني الطائر في عملية الصيد . وبالإضافة لذلك فعينا الزُّرْقُ يرى بها عن بُعد حتى الأشباح البعيدة .

ثم يُبدع الشاعر في وصف أسفل الطائر الزُّرْقُ بالمقانع البيضاء ، اتصلت بها ساقاه المنتهتان بالخالب ، تشبه في شكلها وهيئتها الغصن ، وفي لونها الذهب . والصورة السابقة حلل الشاعر خبراته السابقة وركب منها صورة جديدة .

ولكي يعبر عن وجود الخالب في أطرافها مع قوتها ، وصفه بوفاء السلاح ووفرته والبطولة المهيبة لأي قتال ، وهو شديد القتال على الأقوياء . ففسر لنا الشاعر رأيه في قوة القوى وسطوته ، وهذه رموز لأحداث في حياته .

يقول :

قَدْ عَادَ بِالْجِـ____نُّنْ مِنَ الْإِنْسِي مُحَكَّمًا فِي السَّمَكِ اللَّجْـيِّ^(١)
يَلْقُطُهَا بِمَعْوَلٍ مَدْرِيٍّ^(٢) لَقَطَ نِصَالِ الْعَرَضِ الْمِرْمِيِّ
صَبَّحَتْهُ بِأَجَلٍ وَجِيٍّ عَلَى شِمَالِ قَانِصِ خَفِيٍّ
ذِي جُوجُوٍّ مُجَبَّرِ مَوْشِيٍّ وَمَقْلَةٍ تَلْحَقُ بِالْقَصِيِّ
قَدْ عَلِقَتْ بِالشَّبَّحِ الْخَفِيٍّ كَأَنَّهَا دِينَارُ صِرْفِيٍّ
وَاتصَلَتْ بِرَانِسِهِ الْقَوْهِيٍّ^(٣) سَاقِ كَعُصَنِ السَّنْذَبِ الْمَجْلِيِّ
وَإِنِّي السَّلَاحُ يَطْلِي كَمِيٍّ أَشْوَسَ أَبْـ____اءِ عَلَى الْأَبِيِّ^(٤)

- (١) اللجِّي : اللجة الجماعة الكثيرة ... ولجة الأمر : معظمه . ولجة الماء معظمه ... وألج السيف ، تشبيهاً بلج البحر اللج السيف بلفظة طيء .. وهذيل ... وهوائف من اليمن (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٩٩) .
- (٢) المعوَل : حديدة يُنقر بها الجبال ، قال الجوهري : المعوَل الفأس العظيمة التي يُنقر بها الصخر ، وجمعها معاول يضرب به الصخرة ، والمعوَل ، بالكسر ، الفأس . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٣١٧٧) .
- مَدْرِي : الْمَدْرُ : قَطْعُ الطِينِ الْيَاسِ ، وَقِيلَ : الطِينُ الْعِلْكَ الَّذِي لَا رَمْلَ فِيهِ ، وَاحِدَتُهُ مَدْرَةٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤١٥٩) .
- (٣) الرَّانُ : الْغِطَاءُ وَالْحِجَابُ الْكَثِيفُ (المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ٣٨٦) .
- القَوْهِيُّ : ضَرَبٌ مِنَ الثِّيَابِ بِيضٌ ، فَارْسِيٌّ — الْأَزْهَرِيُّ الثِّيَابُ الْقَوْهِيَّةُ مَعْرُوفَةٌ مَنْسُوبَةٌ إِلَى قَوْهِسْتَانَ .. وَالْقَوْهِيُّ بِيضُ الْمَقَانِجِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٢٧٨٧) .
- (٤) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ ، كِتَابُ شَعْرِ ابْنِ الْمَعْتَزِ ، دَرَاةٌ وَتَحْقِيقٌ د. يُونُسَ السَّامِرَائِيَّ ، الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ، الدِّيْوَانُ ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ — ٤٨٥ / الرَّجَزُ .

ولغة الأبيات فيها بعض الغريب ؛ ليحفظ على هذا الغرض التقليدي - الصيد - طابعه القديم المعروف .

ويتحدث الشاعر في موضع آخر من شعر الصيد عن الطائر البازي ويصوّر قوته ، ويصف طريقته في الحصول على الفريسة .

فيصف مخالب البازي بالقوة والصلابة ، وسرعة النفاذ في الجسم الذي أمامه ، مهما كان قوياً أو غليظاً ، فهو يشبه المسمار المنعطف ، ثم يوضح في الأبيات التالية دور مخالبه في صيد الحيوانات والطيور فالبازي حين آنس طيوراً في الخليج ، وآنس بمعنى أحس بورودها في القرآن بهذا المعنى ﴿إني ءأنستُ ناراً لعلّي ءأتاكم منها بقبسٍ أو أجِدُ على النَّارِ هُدًى﴾^(١)

ويصف الشاعر ماء الخليج بأنه مضطرب الوسط هاديء الأطراف . أما الطير فتسبح في الماء ، وفي سيرها تُفترق فقاقيع الماء التي تحمل الهواء . ثم يفرّع حديثه عن الطيور بذكر صفاتها دون ذكر أسمائها ، فمنها ما يُصدر أصواتاً عالية بالغناء العذب ، ومنها ما يُصدر أصواتاً صفيرية ، كأنه المغني بالقصب المُعد للزمر . ولكنه لم يُحدّد بالضبط من أي أنواع الطيور هذان النوعان اللذان ذكر صفتها .

ومن الطيور أيضاً ذاتُ الطوق الأخضر ، ويقصد به الحمامة . وذات المنقار الذي يشبه نصف المضرب ، وقد يقصد به البط أو الأوز . ثم يسير على هذا النسق في الحديث عن الطيور في الأبيات بصفاتها دون التصريح بأسمائها .

والصورة ناطقة بالحركة والضجيج ، وتداخل الأصوات ، من خلال بيتين بألفاظ هي (مضطرب ، صداح ، صفار ، مُرَجَّع) .

(١) سورة طه ، آية ٩ .

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك لبيان طريقة الزُّرْق في الصيد ، فهو يخبِط الطيور خبطة قوية ، كأنه مَلِكٌ قويّ تَعَوَّد لإحراز النصر ، ثم يشبهه بطالب الثأر في حرصه على إزهاق روح من يطلبه .

ويتألق الشاعر في وصفه مخالب البازيِّ — السابقة الذكر — وأضاف إلى ما سبق وصفها بالسيوف المغمدة في الأعمار . ثرى كيف تُعَمَدُ السيوف في الأعمار ١٢ . وكيف يمكن أن يُمكن منها ١٢ .

والصورة طريفة ومعبرة تسجها خيال الشاعر ، ومزج بين طرفيها الماديِّ والمعنوي . وقد لاءم الشاعر بين ذكره للثأر الإنساني في عملية صيد الزُّرْق للطيور ، وبين وصف مخالب الزُّرْق بالسيوف فهي وسيلة الحصول على الثأر .

ويصف الزُّرْق بشواظ من نار ، فهو يطير بين الطيور ، فيحمل لها الموت كالنار ، يقول :

ومخْلِ كمثلِ عَطْفِ المِسْمَارِ	آسَ طيراً في خَلِيحِ هَذَا
مُضْطَرِبِ اللُّجَّةِ صَافِي الأَقْطَارِ	سَوَاجِحِ تَقْرِيرِ حَبَابِ التِّيَّارِ
مَنْ كُلِّ صَدَّاحِ العَشِيِّ صَفَّارِ	كَأَنَّهُ مُرَجَّعٌ فِي مِرْمَارِ
وَذَاتِ طَوِّقِ أخْضَرٍ وَمِنْقَارِ	كَيَصِفُ مِضْرَابَ يَرَى مِنْهُ البَارِ
فَصَادَ قَبْلَ فَتْرَةٍ وإِضْجَارِ	خَمْسِينَ فِيهِنَّ سِمَاتُ الأَظْفَارِ
يَخْبِطُهَا تَخْبِطَ مَلِيكِ جَبَّارِ	مُظْفَرٍ يَطْلُبُهَا بِأَوْتَارِ
قَدْ حُكِّمَتْ سِوْفُهُ فِي الأَعْمَارِ	كَأَنَّـهُ فِيهَا شَوَاطِظَ مِنْ نَارِ ^(١)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ — ٤٣٩ / السريع .

وبعد فالحديث عن الخيال التركيبي عند ابن المعتز ، يعني الحديث عن قمة وصفه ، أو ذروة الإبداع في فكره ؛ لأن الخيال المركب في الشعر يعتمد على قدرات عقلية عالية غاية في التعقيد منها التذكر والتصور ، والانتباه والتخيل ، ثم قوة ارتباط هذه القدرات فتمثل قوة خالقة مبدعة .

وقد اتصلت القوة المبدعة بشخصيته وأفكاره ، ومعتقداته فكانت مرآة لخلجات نفسه ومصداقاً لقوة عقله . ودليلاً مادياً تقدمه لنثبت تفوقه في ميدان شعر الوصف .

ومع أن خاصة الخيال التركيبي في شعر الوصف عند ابن المعتز لا تتواجد بوفرة في شعره ، إلا أنها تضاف جديداً إلى الوصف في الشعر العربي ، وتنفي عن ابن المعتز تهمّة الآلية في الوصف والتشبيه والتقليد للظواهر ومحاكاتها بعيداً عن إحساسه بها .

ثم بالإضافة إلى قدرة عالية لدى الشاعر في الملاءمة بين أبيات المقطوعة الواحدة ، ملاءمة معنوية ولفظية وموسيقية .



الفصل الخامس: تكثيف الصورة لوصوف واحد.

الفصل الخامس

تكثيف الصور لموصوف واحد

ولثراء خيال الشاعر، وسعة مخزونه الثقافي، وخبراته ومشاهداته، وقدرته على الربط، وإيجاد العلاقات بين الظواهر المختلفة والمتبادلة، ثم الملاءمة بينها، يأتي الشاعر - أحياناً - للموصوف بصفتين أو أكثر مع اختلاف مادة الصورة - غالباً - ويجعلها تسير في نسق واحد، لتكشف وتوضح جانباً من الموصوف أو جوانب مختلفة منه.

ويتناول الشاعر في شعر الطبيعة المريح بين النجوم، فيصف درجة ضوئه بالتوهج والانتقاد. ثم يختار صفة أخرى له، فهو كنبت البهار في روضة أزهارها النرجس، والصورة جمالية^(١) للمريح، وهي أيضاً

(١) يورد الدكتور يحيى عبد الأمير شامي: قيماً متعددة للصورة الأدبية للنجوم في الشعر العربي هي: أولاً - القيمة الجمالية:

نظر الشاعر إلى النجوم فبهره وميضها المتألق، ولونها الساطع، وخفوقها المميز، وارتفاعها الساحق، واجتماعها وتناثرها البديع على شاشة السماء الزرقاء... ولما أراد أن يعبر عن إعجابه بهذه الظاهرة، لجأ إلى ما هو قريب منه قيد التداول، ومُنتزع من صميم واقعه وحياته. وهكذا فإنه لم يجد سوى القنديل أو المصباح، أو الشهاب من النار، وقطيع الظباء مثلاً يجتدى... يقول امرؤ القيس:

تلك النجوم، إذا خانت مظالمها
شبهتها في سواد الليل أقباساً
ثانياً - القيمة الوجدانية:

وللنجوم، فضلاً عن قيمتها الجمالية، قيمة أخرى تتمثل في تلك العلاقة بين وجدان الشاعر والنجوم، حيث تنصهر المشاعر، وتتوحد وشائج القرى والمشاركة بين الذات والموضوع، وإذ ذلك، فإن الكوكب، مُرتقب نظر الشاعر لتغدو بالنسبة إليه شريك همومه ومستودع مناجاته، وعنواناً لطول ليله وسهاده... قال مطرود الخزاعي في رثاء هاشم بن عبد مناف:

أبت أراعي نجوم الليل من ألبم
أبكي، وتبكي معي شجواً، ينياني

تصويرنسي ؛ فدرجة إضاءة المريح بالنسبة للنجوم اعتبرها الشاعر ايقاداً ، ونسبة جماله لجمالها كالنسبة بين جمال البهارة والنجس . يقول :

وَتَوَقَّدَ الْمَرِيحُ بَيْنَ نُجُومِهَا كَبَهَارَةٍ^(١) فِي رَوْضَةٍ مِنْ تَرْجِسٍ^(٢)

فالصفة الأولى للمريح الإيقاد ، والثانية جماله بين النجوم كالبهارة بين النرجس فأراد الشاعر أن يثبت للمريح هاتين الصفتين الاتقاد والجمال .

يشبه الشاعر الصدغ بالظلام أما الخال فيشبهه بمتبين ثم يصف الخد بالحمرة ، والخال أثر الشرارة فيه . ثم صورة ثانية له فهو كقطعة من المسك على الشقائق^(٣) .

ثالثاً - القيمة التأملية :

ولا تخلو أشعار النجوم من قيمة تأملية تمثل في تلك اللحظات التي يفقهها الشاعر متأملاً ، أمام تتابع أجرام السماء على مرّ العصور ، تتابعاً دائماً منتظماً يعث على الملاحظة والتفكير والانتباه العميق . ولكن هذا الأثر التأملي - وللأسف - قليل جداً في شعر النجوم ، إذا ما قيس بغيره ، وسبب ذلك هو غلبة النزعة المادية على تفكير العربي ، وعدم قدرته على التجوال بعيداً في آفاق الفكر والخيال والتجريد ، ولأمية بن أبي الصلت :

والشهر بين هلاله ومحاقه أحل لعلم الناس كيف يعدد
لمواعيد تجري النجوم أمامه ومعهم بخدائهن مسود

(كتاب النجوم في الشعر العربي القديم من ص ١٥٩ - ١٧١) .

(١) البهار : كل شيء حسن منير ، البهار نبت طيب الريح ... الجوهرى ، البهار العرلر الذي يقال له عين وهو بهار البر وهو نبت جعد له فقاخة صفراء ينبت أيام الربيع . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٣٧١) .

(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٧٦ / الكامل .

(٣) الشقائق : نبت واجدتها شقيقة سميّت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ؛ وقيل واحده وجفنه سواء ، وإنما أضيف إلى النعمان ، لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها ذلك ... وقيل النعمان اسم الدم وشقائقه قطعته ، فشبهت حمرتها بحمرة الدم ... وغلب عليها اسم الشقائق . وفي حديث أبي رافع : إن في الجنة شجرة تحمل كسوة أهلها ، أشد حمرة من الشقائق ، هو هذا الزهر المعروف ، يقال له الشقير وأصله من الشقيقة ، وهي الفرجة بين الرمال (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٣٠٠ - ٢٣٠١) .

ولك أن تتخيل شكل ذاك الخال من خلال صورتي الشاعر . فيتدرج الشاعر في استخدام الصور بحسب حجمها ، ثم بحسب قربها من الخبرة العادية . فالظلام قريب من الخبرة البسيطة المتكررة ، ثم الشرارة في القميص الأحمر ، أقل قرباً ، ثم قد تتخيل بسهولة نقطة المسك على نبت الشقيق فتجلي أمامك صورة الخال الذي وصفه الشاعر . يقول :

وَكأنْ خالاً فوقَ صَفْحَةِ خَدِهِ من تحيِّ صُدُغِ كالظلامِ الغاسِقِ

أثُرُ الشرارةِ في قميصِ أحمرٍ أو نُقْطَةُ بالمِسكِ فوقَ شقائق^(١)

ويفصل الشاعر في وصف بعض مظاهر الطبيعة ، فنجوم الليل قرب طلوع الفجر أهداق مريضة لضعف وميضها ، وخفوت ضوئها ، ثم يتناول بالذكر بعض النجوم منها الثريا^(٢) التي تتعاقب مع غيرها من النجوم ، لؤلؤة بين اللاليء المتألقة جمالاً وروعة .

أما الجوزاء ففي أفقها العالي ، تبدو للناظر إليها أغصان أزهار تارة ووشاحاً من ورق تارة أخرى .

فالصفة الجمالية المجللة للنجوم تشبیه لها بالاحدق المريضة . وفي تفصيل الوصف يثبت لكل منها الجمال والروعة ، بتشبيها بمظاهر جمال أخرى من الطبيعة أيضاً . يقول :

وَأنْجُمُ اللَّيْلِ مَرِيضَاتُ الْحَدَقِ تَلَوُ الثُّرَيَّا حِرْقاً بَعْدَ حِرْقِ^(٣)

كَأَنَّهَا حِينَ فَرَى الصَّبْحِ وَشَقِ واسْطَـةً بَيْنَ لآلٍ تَأْتِلُنِي

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٢٤/الكامل .

(٢) الثريا : راجع معناها ص ٥٠ من هذا البحث .

(٣) حِرْقاً : الحِرْقَةُ : القطعةُ من كُلِّ شيءٍ حتى الرِّيحِ ، والجمع حِرْقٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ،

ج ٢ ، ص ٨٥٨) .

كأثما الجوزاء في أعلى الأفق^(١) أغصان تور أو وشاح^(٢) من ورَق^(٣)

ويحض الشاعر الاحداق بالمرض ، ليدل على جزئية الظاهرة ، أو تأثيرها على لمعان النجوم . ثم يلائم بين الاحداق في البيت الأول ، ووصف النجوم بالرؤية في البيت الثاني .

وفي قوله « واسطة بين لآلٍ تأتلق » وصف عام للنجوم بالجمال الباهر والبياض الناصع .

أما البيت الأخير فالشاعر حريص على تحديد بُعد مسافة الجوزاء عن عينيه مما يجعله يراها على شكل أغصان الأزهار تارة أو الوشاح من الورق الأبيض تارة أخرى .

ويحدد الشاعر وقت طلوع الفجر . ومكان المشرق ليصفه بالشعر الذي أصطفت أسنانه ، وهي متساوية ، وبالإضافة إلى الشبه بينهما في البياض والامتداد فهناك شبه المكان بالمكان . فالمشرق والمغرب في أعلى الكون ، والشعر في أعلى الإنسان .

ثم وصف آخر للفجر ، وصورة أخرى فهو في المشرق فكأن ضوءه طبق ألقاه الفجر على الأرض . والصلة بين الصورتين أن كلاً منهما في شكل قريب من الآخر ، فنصف استدارة في الشعر ، ونصف استدارة أيضاً في الطبقة ، لما يظهر للناظر إليه . ثم يربط الشاعر بين وصف الطبيعة في هذا الوقت وخروجه فيه ؛ فالليل أصبح ثوباً بالياً ممزقاً ، وذلك لتخلل الصبح له ، ويشبهه خروجه بفرس قوي نشيط يعرف المسالك والطرق المختلفة .

(١) الجوزاء : راجع معناها ص ٩٩ من هذا البحث .

(٢) وشاح وإشاح : كُله حَلِيّ النساء ، كِرْسَان من لَوَلُو وجوهر منظومان ، مُخَالَف بينهما معطوف أحدهما على الآخر ، تَوَشَّحُ المرأةُ به ... تَشُدُّهُ بَيْن عَاتِقَيْهَا وكشحيها (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٨٤١) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٥/الرجز .

ولكي يلائم بين البيتين يصف الفرس بالنظر العالي إلى كل أفق بعيد . يقول :

والفجرُ في المشرقِ كالثَغْرِ النَّسَقِ كأنهُ ألقى على الأرضِ طَبَقِ

غَدوثُ في ثوبٍ من الليلِ خَلَقِ بطارجِ النُّظرةِ في كلِّ أفقٍ^(١)

وعلى هذا النمط يتناول الشاعر بعض الظواهر والمعاني ، فيصورها بأكثر من صورة ، ويوالي بين الصور في الموضع الواحد لتتضح أمام القاريء المعالم والمظاهر ، والجوانب التي أراد إبرازها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٦٥/الرجز .

وفي شعر الخمر يصف الشاعر حَبَابَ الخمر في الكأس ، فحين أراد الشاعر أن يعبر عن كثرة الحَبَابِ وتشابكه على وجه الكأس شبهه بالخِمار ، ويقصد بالخِمار تغطية وجه الكأس .
ثم صورة أخرى للحَبَابِ ، وشكله فيشبهه بجلد الحية المخلوع عنها أو دُرُّ الجمَانِ ، والصورتان الأخيرتان لتأكيد البياض والجمال والاستدارة .

ويضيف إلى الصفات السابقة وصف الكأس بمركز لنبت الافحوان ، بمعنى شدة تقارب الحَبَابِ ، ولتكملة الصورة يشبه الخمر بترية من سحيق الزعفران . وكأنَّ الشاعر يحرص على إيجاد روابط وصلات بين الخمر ، وعالم الإنسان والحيوان والنبات ثم بالجواهر والنفائث يقول :

وقد لَيْسَتْ خِمَاراً من حَبَابٍ كَسَلَخِ الأيم^(١) أو دُرِّ الجمَانِ
فَخِلْتُ الكأسَ مَرَكزَ أَفحوانٍ وَثُرْبَتُهُ سَحِيقَ الزَّعفرانِ^(٢)

ومن شعر الصيد قصيدة يصف فيها الشاعر الفرس ، ويقدم بتحديد وقت خروجه للصيد ، والصبحُ شبيه بالشيب ، وهو بياض الفجر وقد اختلط بسواد الليل الذي يشبه الشاعر بمسحوق الطيب .

(١) الأيم والأيمُن : الحية .. والتَّعبان : الذُّكران من الحيات ، وهي التي لا تضرُّ أحداً ... قال ابن شُمَيْل : كُلُّ حِيَّةٍ أَيْمٌ ذَكَراً كان أو أُنثى ، ورُبَّما شَدَّدَ قَيلَ أَيْمٍ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ١٩٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٢٥٥/الوافر .

ويظهر موقف الشاعر من الليل والصبح . فالليل يروق له ، وتستقر- نفسه فيه ، فيرمز له بالشباب والنضارة . كشف عن شعوره ذاك بتشبيهه الصبح بالمشيب ، ويشبه الليل بالشعر الأسود .

ثم يصف الشاعر الفرس بصفات القوة والصلابة والسرعة . ويصف أذنه التي تشبه جريدة النخل في شكلها العريض من طرف ، ومدبب أو يميل إلى ذلك في الطرف الآخر ، وربط الشاعر بين الفرس ، وجريدة النخل في وصفه لأذنه شكلها وطولها وعلوها . ثم يشبه أذنه أيضاً (بآمة) أي القضيب الغض وقد رُبطت إلى العمود . في مقاومتها للهواء في السرعة كما تفعل ذلك الآواسي .

ويستمر في التشبيه بصور من الطبيعة ، فذنب الفرس تشبه السحاب المطر ليدل على انسيابه . ثم يستدعي صورة أخرى من الطبيعة ليصف بها ذنب الفرس فهو كالأرض المرتفعة المنحدر منها السيل ، ويؤكد المعنى بقوله (ذات ثرى رطيب) . أي اختلطت ثرابها بالماء ، فأصبح ليئاً طرياً . ولْيؤكد نعومة ملمس ذنبه ، بعد أن أعطى انطباعاً عنه .

وينتقل إلى وصف حافره الذي يُمثل أداة السرعة في الجري . فيصف حافره في عدم استقراره وثباته بقدم لسعتها حية أو عقرب . هنا تصادفنا ظاهرة في الوصف عند الشاعر ، حيث يشبه مظهراً ثابتاً في المشبه ، بصفة طارئة في المشبه به أو نادرة في أوقاته وأحواله .

ثم يشبه حافر الفرس أيضاً بالقدح المكبوب ؛ لضيق شكله من أعلاه واتساعه من أسفله ، ولصلة شكل الحافر بسرعة الفرس ، عاد مرة أخرى ليصف سرعته ، فعبّر عنها الشاعر بقوله أنه يسبق النظر ، وهذا مقياس جديد للسرعة ، فيه مبالغة لوصف سرعة منقطعة النظير ، ومثلها في العصر الحديث طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ثم يبين سرعة الفرس بمقارنتها بغيرها ، وتفوقه فيها ، ويستخدم اسم التفضيل (أسرع) ، ثم يشبهه بصور ومواقف بعضها معنوي مجرد ، والآخر مادي . ويقابل بينها في الأبيات متعاكسة فالماء المنسكب ، والفكر يسير إلى القلب ، وإرتداد اللحظ لإلتقاط المرئيات . ثم النار الشديدة

اللهب النافذة ، فسرعه مطلقة متفوقة على كل سرعة ، ونتيجة المقارنة هي الدليل . يقول الشاعر :

قد اغتدي والصبحُ كالمشيبِ في أفقٍ مثلِ مدالكِ الطيبِ
بقارجٍ مُسومٍ يعبُوبِ ذي أُذنٍ كحُوصةِ العسيبِ^(١)
أو آسةٍ أوفتِ على قضيبِ وذنبِ كالهَيْدَبِ المسكوبِ^(٢)
أو سرّوةٍ ذاتِ ثرى رطيبِ وحافرِ كَقَدَمِ المَلْسُوبِ^(٣)

(١) قارج : فرس اقامت اربعين يوماً من حملها وأكثر ... قال ابن الاعرابي : هي قارج أيام يقرعها الفحل ، فإذا استبان حملها فهي خلفّة ، ثم لاتزال خلفه حتى تذخل في حدّ التعشير (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٥٧٢) .

مسموم : الشائم : النذاهب على وجهه حيث شاء ... قال الاصمعي : السّوام والسّائمة كلّ إبل تُرسل ترعى ولا تُعلف ... وسوم الفرس جعل عليه السّيمة ... السّومة - بالضم - العلامة (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٢١٥٨) .

يعبُوب : اليعبُوب الفرس الطويل السريع ، وقيل الكثير الجزري ، السهل في عدوه البعيد القنر في الجري (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٧٧٤) .

العسيب : عظم الذنب ، وقيل : مُستدقّه ، وقيل : منبت الشعر منه ... وفي التهذيب : العسيب جريدة النخل إذا نُحيت عنه حوصه ولم ينبت عليه الخوص (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٩٣٦) .

(١) آسة : البناء المُحكّم والدّعامة ، والسّارية ... قال ابن بري : وقد تُشدّد أواسي للأساطين (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٨٣) .

الهيدب : السحاب الذي يتدلّى ويذئو مثل هذب القطيفة ... وقيل هيدب السحاب ذيله ... وفرس هيدب : طويل شعر النّاصية . وهذب الشجرة : طول أغصانها وتدلّيا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٦٢٩) .

(٢) الملسوب : لسب سبته الحيّة والعقرب والزُّبور بالفتح ، تلسبه وتلسبه لسياً : لدغته ، وأكثر ما يُستعمل في العقرب (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٠٢٨) .

أَكْحَلْ مِثْلَ الْقَدْحِ الْمَكْبُوبِ يَسِيْقُ شَأْوَ النَّظْرِ الرَّحِيْبِ
أَسْرَعُ مِنْ مَاءٍ إِلَى تَصْوِيْبِ وَمِنْ تُفُوْذِ الْفِكْرِ فِي الْقَلْبِ
وَمِنْ رُجُوعِ لِحَظَةِ الْمُرِيْبِ نَارُ لَظِيْ ثَابِتَةُ الْلَهِيْبِ^(١)

ومع قلة النماذج التي عرضتها في فصل تعدد الصفات للموصوف الواحد ، إلا أنها ليست
المواضع الوحيدة في شعر الوصف للشاعر .

فقد تكون هذه الخاصة قد ظهرت في موضع آخر مع ظاهرة أخرى أقوى منها ، وأوضح
فضلت أن أوردتها في الموضع الأقوى لتؤدي دوراً أبرز في إيضاح معالم شعر الوصف عند الشاعر
في صورته الفنية الصحيحة .

ومما سبق يتضح ثراء خيال الشاعر بالصور والأوصاف المختلفة من مصادر متعددة ومختلفة
للصورة ، مع تواليها متعاقبة متصلة بالمعنى ومرتبطة ببعضها أو مؤيده مهام إيضاحية متكاملة .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤١٧/الرجز .

الفصل السادس: الجانب النفسي في الصورة.

الفصل السادس

الجانب النفسي في الصورة

يُجفل الوصف عند عبد الله بن المعتز العباسي بالإضافة للخصائص الفنية السابقة ، بصور تُلوّن المشاعر والأحاسيس ، تترجم دخائل الشاعر ، وتنقل لنا صدئ المرئيات في إحساسه الشعري ، وفي مخيلته .

وقد اخترت نماذج من شعر الوصف ، لا تخلو فيه الصورة من جوانب نفسية لأدليل على نمط من أنماط تناول الصورة في شعر الوصف عنده ، وعلى خاصية جديدة لهذا الغرض تجلت في شعره في الأغراض الثلاثة الطبيعة ، والخمر والصيد .

فالتبيعة مسرح واسع ، تجوّل الشاعر في أعطافه ، ووصف مظاهره ، وتمثل المشاعر الإنسانية من خلال هذا الوصف .

فالليل والنجوم والفجر جمعتهما المهموم والمصعب ، كما ضمتها الطبيعة . والسحابة المطرة ، والتراب الذي تسقيه ضمتها صورة أخرى بين حائم وهائم ، وهما صفتان نفسيّتان بما لهما من أسباب ودواع .

والنرجس وعليه الندى عليه يضمهما إطار تصويري ؛ فالنرجس ناظر عاتب مسرور ، والندى دموع محب محزون مهجور . والليل هو الخيرة والهيم ، وهو والأحزان والآلام التي تنساب النفس المحزونة ، ومما يصاحب ذلك طول ساعاته ، وإمتدادها حتى يحسبها المهموم دهرأ .

فالتبيعة نابضة بالأحاسيس والمشاعر ، وبعض المظاهر الطبيعية من حولنا لها أسباب نفسية

— عند الشاعر — وبعض ذلك قد يدخل في ما يُسمى بحسن التعليل^(١) كما يَعْرِفُهُ علماء البلاغة .
والبعض الآخر يصبح من مكونات الصورة ، فيكون ظللاً وألواناً تجعل لها طابعاً مميزاً .

فالشاعر الذي تعود تأمل النجوم كثيراً ، يراها لامعة مضيئة ، فلم يَلْفَتْه جمالها ولا ضوءها
الأخّاذ ، وأشكالها التي توحى له بهيئات مختلفة — كما مر بنا في التماذج السابقة — بل رآها
تلك الليلة ملازمةً مكانها لم تغادره ، ولم يَضْعَف ضوءها إيداناً بأفولها ؛ لأن الغرب قد أغلق أبوابه
دونها ، وتركها جماعات منتظمة تنتظر ، ويتنظر معها المهموم رحيلها ، وانقضاء الليل فخّاله
كحال امرئ القيس حين قال :

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلي بصبح وما الاصبح منك بأمثل^(٢)

ثم يكمل الشاعر الصورة النفسية للكون ، فالفجر لم يتأخر في الظهور إلا لقسوة هذه
الليلة ، واذدحام الآلام والموموم بها . فهذه الأبعاد الثلاثة للكون الليل والنجوم والفجر ، تشارك
البعد الرابع الإنسان همومه وأحزانه ، بل وتمتصها منه لتجرها وحدها ، فتجتمع الأضلاع الأربعة
لشكل الطبيعة يمثل الإنسان ضلعاً منها . يقول :

جَارَ هَذَا الدَّقْرُ أَوْ آبَا وَقَرَاكَ الْهَمُّ أَوْ صَابَا
ووفودُ التَّجَمِّمِ واقفةٌ لا ترى في الغربِ أبوابَا
وكانَ الفجرَ حينَ رأى ليلَةً قاسيةً هابَا^(٣)

(١) وهو أن يكون للمعنى من المعاني ، والفعل من الأفعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع ، ثم يجيء
الشاعر فيمنع أن يكون لتلك العلة المعروفة ، ويضع له علة أخرى . (الإمام عبد القاهر المجراني ،
ت ٤٧١ هـ — ١٠٧٨ م) كتاب أسرار البلاغة . شرح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة
١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م — الناشر مكتبة القاهرة ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٢) الزوزني ، كتاب شرح المعلقات السبع ، ص ٢٧ .

(٣) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٣٩ / المديد .

ومن وصفه للطبيعة أيضاً تصويره للتراب هائماً بماء المطر ، وهو الذي يُشفي غليله ، كرمز للحاجة في أبسط صورها في الطبيعة ، ثم العطاء المتدفق الذي يُحقق الاشباع والارتواء ، وهما قضيان منجذبان فالأول هائم والآخر حائر ، أي الحاجة والعطاء متمثلتان في التراب والسحاب .
وعبّر الشاعر عن الامتلاء ، وقوة الامتلاك والاحتواء للسحابة بسواد الغراب ، وحركة السحاب الثقيلة تهادى ، ثم إنزال المطر ضجيجاً .

يقول :

جاءت تهادى كالعُرابِ الحائم مكظوظةً مُسوِّدةً القَـوادمِ
تضجُّ بالتهتانِ والهَماهِمِ حتى شفتُ غلَّةَ تُرْبِ هائمِ^(٣)

وفي موضعين آخرين من الديوان يصف الشاعر أيضاً زهر النرجس من خلال إحساسه به ، وفيض مشاعره .

الأول منهما لإيراده للنرجس في شكل الناظر العاتب المسرور ، فهو حين يراه لا ينشغل بوصف شكله فقط ، ولكن بما أحس به .

فسرُّ جمالها إحساسه بعنايتها له ، وسرورها به ، فيدعوه ذلك إلى وصف أحداقها الصفراء ، في أوراقها البيضاء ، بمداهن ذهب تُحيط بها أوراق الكافور . فإحساسه بجمال الأحداق دعاه إلى تشبيهها بلون الذهب ، فهو أخذاً تخلب اللب ، ويملك النفس بريقه ورونقه . ويستثير الشاعر انتباه القارئ والسامع بصياغته المعنى بأسلوب الاستفهام التقريري . يقول :

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٤١/الرجز .

أما تَرَى النَرَجِسَ المَيَّاسَ يَلْحَظُنَا الحَاظَ ذِي فَرَجٍ بالعَسَبِ مَسْرُورِ
كَأَنَّ أَحْدَاقَهَا فِي حُسْنِ صُورَتَيْهَا مَدَاهِنُ التَّبْرِ فِي أَوْرَاقِ كَافُورِ^(١)

والموضع الآخر يتحدث الشاعر فيه عن الندى فوق زهر النرجس ، من خلال وصفه له ، وللألوان التي ، تضمنها البياض والصفرة والخضرة ، ومن أسباب جمالها أيضاً أنها عيون لمحبه آله وأوجعه الهجر غ فانهمرت دموعه .

ومن أهم أسباب الجمال اتصال الندى بالزهرة اتصالاً يجعل الندى نابعاً منها على اعتباره دمعها ، فإيجاد الشاعر لهذه الصلة بينهما أعطاها كوناً جديداً لم يكن لها في الحقيقة .

فالمادة الأساسية للموصوف هو النرجس ، وعليه قطرات الندى ، وأما الوصف فهو العين تزرف الدمع ، فأضاف الشاعر إلى الصورة الحب والهجر ، فأعطاها لوناً جديداً ؛ فالنرجس بهذه العبارات إلى عالم الإنسان أقرب منه إلى عالم الطبيعة ، التي تتسم بالعفوية واللاإدبية . يقول الشاعر :

عِوَنُ لُجَيْنٍ فَوْقَهَا حَدَقُ صُفْرُ يُزِينُهَا مِنْ تَحْتِهَا عَمْدٌ خُضْرُ
كَأَنَّ انْحِدَارَ الطَّلِّ فِي جَنَابَاتِهَا دَمُوعٌ مُحِبٌّ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ الهَجْرُ^(٢)

(١) الكافور : أخلاطٌ تُجمع من الطيب تُركَّب من كافور الطلع ... وهو نبات له ثور أبيض كنور الأفيون ... والكافور من أخلاط الطيب . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٠١) .
وانظر البيتين في ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٢٥٤ .
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٠٢ / الطويل .

وهو حين يلجأ إلى الخمر رجل يريد أن ينسى ما بداخله من الهموم والأحزان ومن ذلك قوله عنها :

يا صاجِبِي دَعَا العُدَّالَ فِي شَعْبِ وَأَنْفَسِدَا فِي السَّرورِ المَالِ والعُمْرَا
وسَقِيَا واشْرَبَا راحاً مُعْتَقَةً نَسْتَأْصِلُ الهَمَّ والأحْزانَ والفِكرَا^(١)

فيدعو إلى بذل المال واعمر في سبيل الخمر ، فهي السرور ذاته ، وهي أيضاً تقطع الهم والحزن والألم . وهو يعلم الخسارة التي تلحق بشاربها .

ويقول أيضاً :

صفراءُ تُنْسِيكَ الهَمومَ إذا بدتْ وتُعِيرُ قلبَكَ حُلَّةَ السَّراءِ

وتأكيداً لقدرتها على إزالة الهم ، ومنح السرور ، وجلب البهجة على القلب^(٢) . يقول :

تلك التي إن تُصَادِفَ قلبَ ذي حَزَنٍ تُجْزِلُ عَظِيَّتَهُ مِنْ كُلِّ سَراءِ^(٣)

ثم إن مرافقته لها في الواقع أو في الخيال لا يفتق عندها الإبداع ، ولا تُصقل معها العبقرية .. فالشاعر في وصفه لها يقتصر على تحدد مصدرها أو ماهيتها ، أو ضوئها ولونها ، أو أدواتها أو أثرها .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٠٤/البيسط .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠/الكامل .

(٣) الدكتور محمد بديع شريف ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبد الله بن محمد المعتز الخليفة العباسي ، الجزء الثاني ، (سلسلة ذخائر العرب ٥٤) الناشر : دار المعارف ص ٢٠٩ .

وفي وصفه لها ولأدواتها ، ينتقي صورته مما استحسنه أو استهواه من الطبيعة من نباتها أو زهرها أو شمسها ونجومها وقمرها ، أو مما تخشاه نفسه من الدم والقتل والنار وغيرها . أو مما تتوق إليه نفسه وتتوئب إليه من ذهب وفضة ولؤلؤ وجوهر .

وحيث يصف حَبَابَهَا ، وصفه لكواكب من الأزهار ناظرة إلى شاربها ، مع ما يحمله النظر من تأمل ، ومشاركة أو رعاية أو مواساة ، أو استنباط لمكنوناتها . يقول :

مُدَامَةٌ تُعْقَلُ الْعُقُولُ بِهَا لَهَا نَجِيٌّ بِالغَيِّْ أَمَّارٌ
أَحْدَاقُهَا فِضَّةٌ مُجَوَّفَةٌ تَوَاطُرٌ مَا لَهْنٌ أَشْفَارٌ
يَلْمَعُ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَوَكَبُ نُورٍ إِلَيْكَ نَظَّارٌ^(١)

وكرر الشاعر النظر في البيت الثاني والثالث ، مع اختلاف مادة الصورة فالأولى أحداق من فضة ، والثانية مزيج من الكواكب والأزهار ناظرة إلى الشارب .

وقد يصور الخمر صبوحاً يخافه الصبح ؛ فيسعى لسيقه في الظهور . يقول :

فَلَمَّا رَأَاهَا اللَّيْلُ حَتَّى جَنَاحَهُ مَخَافَةَ صُبْحٍ فِي الدَّنَانِ كَمِينٍ^(٢)

فالليل يرى الخمر ، ويخاف ضوءها القابع في الدنان ، فيحث الصبح على الظهور بسرعة خوفاً من صبح الخمر . فالمقارنة والتنافس بين صبحين صبح الخمر وصبح الكون يتخذها الشاعر وسيلة لنقل إحساسه بالخمر .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ؛ كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٢٠/المنسرح .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٨/الطويل .

وفي شعر الصيد مواضع يتجلى في الصورة الجانب منها النفسي ، وقد تكون من إحدى مكوناتها ، أو تمثل طرفاً هاماً فيها — كما سبق أن عرضت في التماذج السابقة ودراستها في الطبيعة والحرر — . وقد تكون الصورة نفسية خالصة ، يفسر بها مظاهر الطبيعة في مقدمات قصائده .

ففي إحدى المقدمات يصف إحدى الليالي في آخرها ، وقرب طلوع الصبح عليها ؛ حيث حوّل الشاعر العلاقة الطبيعية بين نجم الجوزاء والصبح — حيث إنهما لا يجتمعان في ناموس الكون — إلى علاقة نفسية بحتة . يقول :

وأفُقُ الجوزاءِ بالصبيحِ شَجِيٍّ^(١) خافقَةً مثلَ اللّواءِ المُزَعَجِ^(٢)

فالليل يستعجل الصبح ممثلاً في الجوزاء التي تنوب عن النجوم ، فهذا الأمر الذي يتم في الطبيعة كل يوم ، جعله الشاعر يتم في جو نفسي ، قوامه المشاعر والأحاسيس .

وإذا نفذنا إلى قصيدة الصيد نفسها ، وجدنا أيضاً مواضع أخرى للصورة ، تلبون بلون نفسي ، فيتألق الشاعر في وصف سرعة الكلب ، وإيجاد باعث نفسي لها ، وربط الحركة بالتحرك النفسي ؛ فلمسها السريع للأرض ، بقوائمها ، يصوره الشاعر مس المولّه المعذب الشقي ، ثم فسّر سبب هذه الشعور ، وأتى بنمط من أنماطه ، وهو قبض الجمر . حيث إنه أقوى مصدر لحصول الألم والعذاب ، وكلنا يستطيع أن يدرك مدى سرعة الاستجابة لدى من يلمس الجمر ؛ وهي سرعة منقطعة النظير ، هذه هي نفسها سرعة قوائم الكلب في حركته على الأرض . يقول :

ما إن تَمَسُّ الأرضَ إلَّا وُلَّهَها _____ كأثَمَّا تُقبِضُ جِمرًا يَدُها^(٣)

(١) شجي : الشجو ، الهم ، والحزن ، وقد شجاني يشجوني شجواً إذا حزنه ، وأشجاني ، وقيل شجاني

طَرَبَنِي وَهَيَّئَنِي (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٠٣) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٢٦ /الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٨٣ /الرجز .

ومن بديع وصفه لنحول الكلب وضمور بطنه ، تصويره لخصره وقد ثقلت عليه حمولة
أردافه ، فاستنقال الحمولة صبغة نفسية طبع بها الشاعر الصورة .

يقول :

يُصْرَفُ لِحَظاً لَا يُعَادُ مَرِيضُهُ وَيَمْشِي بِحِصْرِ أَثْقَلْتَهُ الرَّوَادِفُ^(١)

وَبَعْدَ ...

فهذه مواضع من شعر ابن المعتز في الوصف ، كان لها نصيب قل أو كثر من
الإنطباع النفسي ، يمتزج بالصورة ، ويُشكّل جزءاً هاماً منها .

وقد يمتزج الشاعر بالطبيعة ؛ فهي تبكي له ، وتخزن لجزئه . يقول :

قَالُوا أَضْرَبْنَا السَّحَابَ بِوَكْفِهِ لَمَّا رَأَوْهُ لِعَبْرَتِي يَحْكِي

لَا تَعَجَّبُوا مِمَّا تَرَوْنَ فَإِنَّمَا هَذِي السَّمَاءُ لِرَحْمَتِي تَبْكِي^(٢)

* * *

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٤/الطويل .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٢٦/الكامل .

الفصل السابع : دلالات عركية في الصورة .

الفصل السابع

دلالات حركية في الصورة

تحتل الصورة من الشاعر بتعمق في انتقائها ، وتؤدي دورها في نقل الشكل والهيئة واللون ، ثم قد وصل الشاعر بينها وبين خصائص الإنسان — أحياناً — وبالطبيعة من حوله أحياناً أخرى . وقد يأتي بالصورة مركبة من أجزاء خلقها الشاعر بعد تحليلها خلقاً فنياً جديداً ، ثم قد يمثل الجانب النفسي ركناً هاماً من الصورة تركز عليه ، كما وقد تعددت الصفات لموصوف واحد ، بهدف إلقاء المزيد من الضوء عليه ؛ ليصبح أكثر وضوحاً وتمثلاً في ذهن القاريء . فكذلك قد تنطبع بعض صورته في الوصف بطابع حركي ، فنستشعر الحركة حين نتمثل المعنى ، ونتمتع بالصورة .

ومن شعر الوصف عَرَضَتْ نماذج أبدع فيها الشاعر أيما إبداع ، تدل على براعة عجيبة لديه في استغلال الظواهر الثابتة ، وجعلها طَرَفاً من أطراف الصورة ، بل ويجعلها مصدراً للحركة — أحياناً — إمعاناً في تطويع ما حوله من ظواهر الطبيعة وأشكالها وألوانها ؛ لتكون مادة صور فنية رائعة .

وقد تَعَوَّدنا من الشاعر في شعر الوصف عامة انشغاله بالطبيعة كثيراً يصفها أو يصف بها ، فهو إما متأملٌ فيها ، واصفٌ لها ، أو مستعين بها في وصف الظواهر الأخرى في حياته الإنسانية أو في وصف حيوانات الصيد أو الخمر وأدواتها .

ومن ظواهر الطبيعة التي شغل الشاعر بالنظر إليها : الأزهار وعليها قطرات الندى ، والبدر في الغسق ، والأنهار الممتدة تسقي النباتات حولها .

ومن ذلك تشبيهه للندى على الزهر بالفرسان . يقول :

فُرسَانُ قَطْرٍ عَلَى خَيْلٍ مِنَ الزَّهْرِ تَحْتَهُنَّ سَيَاطُ الرِّيْحِ فِي السَّحْرِ
مَا شَعَتْ مِنْ حَرَكَاتٍ وَهِيَ وَاقْفَةٌ تَخَالُهَا سَائِرَاتٍ وَهِيَ لَمْ تَسِيرِ^(١)

فالزهر خيل ، والندى فرسان عليه ، فيشرك الريح في الصورة بدورها ، فلا يظهر شكلها ؛ بل تقوم مقام السياط في تحريك الأزهار ، ووجه الشبه بين طرفي الصورة : السير . واعتلاء حبات الندى الأزهار كما يعلو الفرسان خيولهم إشارة إلى سبب حركتها . فالشاعر هنا يتحدث عن القوة المحركة للزهرة فيصور الريح سياتاً .

ويبدع الشاعر أيضاً في وصف عيني المحبوبة عند الفراق بأجفانٍ قد غرقت في الدمع ، ثم يشبها بالبدر يتمزق في أنحائه الغسق . يقول :

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ ، إِذْ قَامَتْ تُودِّعُنَا بِمُقْلَةٍ جَفْنُهَا فِي دَمْعِهَا غَرِقُ
تَفْتَرُّ عَنْ مُقْلَةٍ حَمْرَاءَ مُوقِدَةٍ تَكَادُ لَوْلَا دُمُوعُ الْعَيْنِ تَحْتَرِقُ
كَأَنَّهَا حِينَ تَبْدُو مِنْ مَجَاسِدِهَا بَدْرٌ تَمَزَّقُ فِي أَرْكَانِهِ السَّقْتُ^(٢)

فعند توديع الحبيبة له ظهر تأثرها الشديد في عينيها ، فاستعار صفة الانتقاد والحمرة للعين ، ثم أنها تكاد تحترق لولا مجاورة دمع العين لها .

ويصف الملقاة بالبدر تخللته حمرة الغسق ، ثم يُصدر الحركة من التمزق للغسق ، فالصورة نقلها الشاعر من حيز الإنسان إلى حيز الطبيعة ، والحركة صادرة عن استخدام بعض الأفعال منها (غرق ، تحترق ، تمزق) .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٧٤/البيسط .
(٢) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ٣٣٠/البيسط .

ومما يُلاحظ في شعر الوصف أيضاً جمع الشاعر بين المتضادات ، أو تشبيهاً بمثلها أيضاً ، ومن المؤكد أن ذلك بسبب الصنع^(١) التي ظهرت عند شعراء العصر وخاصة أبو تمام ، وقد شغل ابن المعتز بالنظر في شعره^(٢) .

(١) « وقد رأى أبو تمام أن يَلَوّن شعره ببعض الألوان الفنية المشرقة ؛ حتى يخفف من ذلك اللون العقلي القائم العميق فاتجه إلى « البديع » ... ومضى يزاوج بين الثقافة العقلية والبديع الفني ، ويمزج الألوان العميقة القائمة بألوان البديع المشرقة الزاهية . ولكنه خالف مسلم بن الوليد ومن سبقه من الشعراء من أصحاب البديع في شيئين يتصلان بهذا البديع : بلغ فيه من ناحية — مبالغة شديدة — وعقد فيه — من ناحية أخرى — تعقيداً شديداً (الدكتور يوسف خليق ، كتاب تاريخ الشعر في العصر العباسي ، طبعة عام ١٩٨١ م ، الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ١٢٢ — ١٢٣) .

(٢) ورسالة ابن المعتز في نقد شعر أبي تمام « أول عمل كبير في نقد الطائي ويبدو أنها كانت السبب الأساسي في أن يضع الصولي أخبار أبي تمام ... ويمكن أن تكون أساس جميع الموازنات التي عُقدت بين أبي تمام والبحثري (الدكتور أحمد كمال زكي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧) . والرسالة قد احتفظ بها في ترجمته كتاب الموشح للمرزباني ، وهي تحمل كل الأسس التي كَوّن منها الأمدي حملته على أبي تمام . ومعنى ذلك أنه على الرغم من ذوقه المرهف وحسه الرقيق كان ينحون نحو المحافظين في فهم الشعر العباسي » الدكتور ضيف ، تاريخ الأدب العربي ٤٠ ، العصر العباسي الثاني ، ص ٣٣٤ .

وأول ما يسترعي انتباه الشاعر ، بدايات الظواهر ، ومقدماتها فينشغل أحياناً — عما يليها ، فيصف غُرة النياق البيضاء في جبهتها مع سواد لونها . يقول :

وَعَدُونَا بِأَعْيُنِنَا خَيْلٍ تَأْخُذُ الْأَرْضَ بِأَيْدِي عِمَالٍ
زَيْتَهَا غُرَّرَ ضاحِكَاتٌ كَبَدُورٍ فِي وَجْهِهِ لَيْالِي^(١)

فيستعير الشاعر الضحك الإنساني — مع ما يتضمنه من حركة للغرة في جبهة الخيل ، ثم يشبها — أي الغرة — أيضاً في لونها الأبيض بالدور الساطعة في وجه الليالي السوداء الخالكة

وحين يتحدث الشاعر عن الفرس أيضاً في موضع آخر من شعر الوصف يشبه غرته البيضاء في وجهه الأسود ، بليل حالك السواد تبرقع وجهه بصباح . يقول :

وَلَقَدْ يَثْقُ بِي الْكَيْبَةَ قَارِحٌ حَتَّى أُخْضِبَ بِالدمَاءِ سِلَاحِي
ذُو غُرَّةٍ فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ تَبْرَقَعُ وَجْهَهُ بِصَبَاحٍ^(٢)

فاجتماع سواد اللون وبياض الغرة في الفرس ، بليل تبرقع بصباح ، فيشخص الليل ويجعل له ما للإنسان مع الحركة في قوله (تبرقع) .

ومن معالم الحضارة الجديدة : السفينة ، يشبها الشاعر بالزنجية ، ثم يشيع في الصورة حركة حين وصفه لحركة المجاديف حولها ، بأولاد يؤدبونها . يقول :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٦٣١/المديد .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٣٤ — ٥٣٥/الكامل .

وَزَنْجِيَّةٌ كُرْدِيَّةٌ الحَلِي فَوْقَهَا جَنَاحٌ لَهَا فَرْدٌ عَلَى المَاءِ يَخْفِقُ^(١)
يُؤدِّبُهَا أَوْلَادُهَا بِعَصِيَّتِهِمْ فَتَحْبَسُ قَسْرًا كَيْفَ شَاءَ وَتُطَلِّقُ^(٢)

فُوجد الشاعر تضاداً بين لون السفينة وحليها ، فإن كان قد أثبت لها صفة السواد بتشبيها بالزنجية ، فإن حليها بيضاء ينسبها الشاعر إلى قرية كُرْدَ .

أما شراعها الذي ارتفع يشق الهواء ، فكجناح الطائر يُحركه الهواء ، فيعبّر عنه الشاعر بالخفقان ، والصورة هنا مركبة . فالزنجية والحلي من عالم الإنسان ، توسطه ذكر جناح الطائر ، ولكن الشاعر يؤكد الجانب الإنساني ، فيصوّر السفينة وقد أحاط بها أبنائها يؤدّبونها بعصي لهم تتحكم في حركتها . والتصوير حافل بالحركة في بعض ألفاظ استخدمها الشاعر وهي (يخفق ، يؤدّبها ، تحبس ، وتطلق) .

(١) الزَنْجُ وَالزَّنْجُ ، لُعْتَانِ : جَيْلٌ مِنَ السُّودَانِ ، وَهُمُ الزُّنُوجُ وَاجِدُهُمْ ، زَنْجِيٌّ ، حَكَاهُ ابْنُ السَّكَيْتِ وَأَبُو عُثَيْبٍ مِثْلَ رُومِيٍّ وَرُمٍ وَفَارِسِيٍّ وَفُرسٍ ، لِأَنَّ يَاءَ النِّسْبِ عَدِيلَةٌ هَاءِ التَّأْنِيثِ فِي السُّقُوطِ (ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٨٦٩) .

كُرْدَ : بِالضَّمِّ ثُمَّ السُّكُونِ ، وَدَالَ مَهْمَلَةٌ ، بِلَفْظِ وَاحِدِ الأَكْرَادِ اسْمُ القَبِيلَةِ ؛ قَالَ ابْنُ طَاهِرِ المَقْدِسِيِّ اسْمُ قَرْيَةٍ مِنَ قَرْيِ البِيضَاءِ ... وَقَالَ الأَصْطَخْرِيُّ : كُرْدُ بِلْدَةِ أَكْبَرٍ مِنَ البَرْقَسِ وَأَرْخَصَ سَعْرًا ، وَلَهُمْ قُصُورٌ كَثِيرَةٌ ، (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٥٠) .

وَالكُرْدُ : بِالضَّمِّ : جَيْلٌ مِنَ النِّاسِ مَعْرُوفٌ ، وَالجَمْعُ أَكْرَادٌ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٨٥٠) .

(٢) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ ، كِتَابُ شَعْرِ ابْنِ المَعْتَزِ ، دَرَسَةٌ وَتَحْقِيقٌ د. يُونُسَ السَّامِرَائِيَّ ، القِسْمُ الأَوَّلُ ، الدِّيْوَانُ ، الجُزْءُ الثَّانِي ، ص ٦١٦ / الطَّوِيلُ .

وللشاعر مع الخمر صور تشغل الحركة حيزاً فيها . فمرة يصف الكأس ، وأخرى يتحدث عن شارب الخمر ، ثم الخمر نفسها في الكأس وعليها الحَبَابُ ، ثم يتناول طريق انتقالها من الإبريق نحو فم الشارب .

فتنطع صورة الكأس في مخيلة الشاعر ؛ فيتمثلها في الطبيعة . يقول :

والتُّرْبُ مَا مِثْلُ كَأْسٍ حِينَ يَبْدُو ثُمَّ يَغْرُبُ
فَكَأَنَّ الشَّرْقَ سَاقٍ وَكَأَنَّ الْغَرْبَ يَشْرَبُ^(١)

فحين يتأمل الشاعر السماء ، تبدو له التُّرْبُ^(٢) في ظهورها واختفائها بكأس الخمر ، ثم يكمل أجزاء المظهر الذي اعتاد رؤيته ، ومعايشته فيشخص الكون ، فالشرق ساق للخمر ، والغرب شارب لها .

والشاعر يجعل الشرق ساقياً ، والجامع بينهما العطاء ، ومبدأ الظهور . والغرب من خصائصه الاحتواء لما يظهر من الشرق . فالشاعر يستشعر الحركة في الطبيعة من حوله ، فيخلع مشاعره على مرئياته في الكون والطبيعة .

والشاعر يستخدم الاضداد في خطوط أفقية في قوله (يبدو ويغرب والشرق والغرب) .

ثم ينظر الشاعر إلى شارب الخمر ، وهو يتناول الكأس فيصبح جزءاً منها في فمه ، هذه الملاحح بجزئياتها الجامد منها والإنساني ، صورة مركبة في خياله الشعري ؛ ليوازن بينها وبين صورة من الطبيعة لوقت غروب الشمس ، وحمرة الأفق . وهلال أول الشهر ، لا يكاد يظهر فيها حين تحويه . يقول :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .
(٢) تعريف التُّرْبُ هامش ص ٥٠ من هذا البحث .

كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الْكَأْسَ فِي فَمِهِ هِلَالٌ أَوَّلُ شَهْرٍ غَابَ فِي شَفَقِ^(١)

فشارب الخمر ، وكأسه في فمه ، عبّر عنها الشاعر بصورة كونية كبرى وهي غياب الهلال أول الشهر في الشفق .

ويتحدث الشاعر عن الخمر في أوضاعها المختلفة ، في دثّها وكأسها ، وحين تُصب من الأبريق في الكأس ، وهي في يد شاربها . ولها في مختلف أحوالها ، صفات كثيرة ، في لونها وهيئتها ، ولعانها . فهي كالشمس المضيئة الأخاذة . يقول :

وَجَاءَ بِهَا كَالشَّمْسِ تَأْكُلُ نَوْرَهَا زَجَاجَتَهَا فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَكْلًا^(٢)

فالخمر لا تشغل حيزاً كبيراً من المكان ، أكثر من الكأس في يد الشارب ، يشبهها بالشمس مصدر الضوء الأول في الكون ، ثم إنها - أي الخمر - تأكل زجاجتها ، فكأنها تحترق بضوئها ، وأشعتها جدار الزجاجة ؛ فتختفي عن الأنظار ؛ فكأن الخمر تقبف دون زجاجة في يد الشارب .

والشاعر هنا يؤكد فعل (تأكل) بالمصدر المؤكّد (أكلاً) ليثبت صفة التلاشي للزجاجة . والفعل (تأكل) هو مصدر الحركة في الصورة .

ويتحدث الشاعر أيضاً عن مجلس الخمر ، فيذكر الخمر ، ومديرها في المجلس ، والنديم ، فيشبههم بصورة من الطبيعة العلوية . يقول :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ص ١٨٥/البيسط .
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ص ٢٠٥/الطويل .

فَكَأَنَّهَا شَمْسٌ وَكَفُّ مُدِيرِهَا فِيهَا ضُحَىٌ وَفَمُّ النَّدِيمِ أَصِيلٌ^(١)

فاختار الشاعر الصور المناسبة والمقابلة لما يوجد في مجلس الخمر ، وقسم الصيغ تقسيماً موسيقياً متوازناً .

فالخمر شمس في توهجها واتقادها ، وشدة حرارتها ، وكف الساقى مُتَلَقِيَةً لِأَشْعَتِهَا ضُحَى ، وفم الشارب أصيل يحنفي خلفه قرص الشمس المُدَّهَّب .

ويلوّن الشاعر الصورة بألوان طبيعية ، تُضِيء وتشدت توهجاً ، ثم لا تلبث أن تتخفّف ألوانها شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى لون الحمرة عند غروب الشمس في الشفق .

وموضوع آخر يُشَبِّه الشاعر الخمر بالشمس ، حين تبدو في كأسها لامعةً فيمزج الشاعر بين عالمي الإنسان والطبيعة ؛ ليجعل للخمر وكأسها والحَبَاب على وجهها خصائص من كليهما . يقول :

فَهَوَةٌ زُوِّجَتْ بِدَمْعِ سَحَابٍ فَكَسَتْ وَجْهَهَا نِقَابَ حَبَابٍ
فَتَرَاهَا وَكَأْسُهَا مِثْلُ شَمْسٍ طَلَّعَتْ فِي مُلَاءَةِ وَسْرَابٍ^(٢)

(١) ضحا الرَّجُلُ : وَضَحَى فِي اللَّغْتَيْنِ مَعاً ضُحُوًّا وَضُحِيًّا : أَصَابَتْهُ الشَّمْسُ ... وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ : قَالَ لَا يُؤْذِيكَ حَرُّ الشَّمْسِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِهِ ضُحَى يَوْمَكَ لَمْ تَتَوْنَهُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٥٦٠ - ٢٥٦١) .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٢١/الكامل .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٢ - ٤٣/الخفيف .

فالمادة الإنسانية في الأبيات هي الدمع ، والوجه ، والنقاب والملاءة ، وأما السحاب والشمس والسراب فهي عناصر من الطبيعة أَلَفَّ الشاعر بينها .

فالشاعر هنا يصل الخمر بالمحيط الإنساني لتزداد قرباً من عالمه ، ثم بالطبيعة لتقترب الخمر من محيط خياله . ثم يصل بينهما .

فالخمر مُزجت بالماء ، فأصبح الحَبَابُ عليها نِقَاباً يغطي وجه الكأس . ثم إنَّ الخمر والكأس تحتويها فشبّه الشمس وقد التفت في غِطَاءٍ من السراب .

والحركة في الأفعال الواردة في الأبيات في (زُوجت ، وكَسْت ، وطلعت) .

وفي سياق تناول الشاعر للخمر ، ووصفه لها ، يتحدث عن انتقالها من الإبريق نحو فمه . يقول :

فإذا ما الماء خالطها
راضٍ منها سهلة الشيم
وتنقى مكرورة سورتها
ثم هداها إلى الكرم
واكتست من شكله حياءً
بين متشورٍ ومنتظم
وتبدت في أسرتها
أسطرَّ مجهولة الكلم
رخلها كف تسيير بها
من فم الإبريق نحو فمي (١)

فبينة المعنى في الأبيات شبه الخمر بالإنسان ، وجعل لها صفاته الخاصة به . في قوله (سهلة الشيم ، سورتها ، هداها ورحلها) .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٣٠ - ٢٣١/المديد .

وبسبب مزجها بالماء كثر الحَبَابَ على وَجْهها ، فإذا هو يشبه المنثور المنتظم من اللؤلؤ ،
أما انتقال الخمر من الإبريق إلى فم الشارب ، فيحملها كف الشارب الذي هو بمثابة الراحلة أو
الدابة .

والحركة في قوله : (خالطها ، راض — نفى ، هداها ، واكتسَتْ ، وتبدت وتسير) .

أما أقذاح الراح المحوطة بمنديل ، فهي كالمستدفيء بالجمر الذي هو الخمر . فالخمر
جمراً جعلته الريح يتوهج بمرور الريح عليه . يقول :

فكَلَّلَ بِالْمِنْدِيلِ أَقْذَاحَ قَهْوَةٍ كَجَمْرِ جَلْتُهُ الرِّيحُ قُدَّامَ مُصْطَلِيٍّ^(١)

والحركة في البيت في قوله (كَلَّلَ ، وَجَلْتُهُ ، مصطلي) .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٥/الطويل .

وفي شعر الصيد صوراً تحفل بالحركة ، اخترت منها موضعين ، الأول منهما وصفه للزُّرْق شكله وصيده للفريسة ، والثاني : وصف طيور الماء بالبياض الممتد في الأفق وقت الغروب ، ونقل عملية الصيد بدقة متناهية ، وكأنني بالشاعر ينقل صورة ناطقة بالحركة تمثل لنا ما حدث .

ففي القصيدة الأولى ، يتحدث الشاعر عن طائر الزُّرْق يقول :

لَمَّا حَدا الإصباحُ بالظلام	وطلَّقت عرائسُ الأحلام
وقَصُر الجفْنُ عن المنام	أجبتُهُ بفتيةٍ كرام
لا يُطهونَ ساعةَ الإجمام	وزرُّقٍ مُجرَّبٍ مقدم ^(١)
صارَ من السُّحْنِ إلى تَمَام	يضمَنُ زادَ الجَحْفَلِ اللُّهَام ^(٢)
كانَّهُ فوقَ يدِ العُلام	صباحٌ لهِ دِرْعٌ من الظُّلام
ذي جُوجُوٍ كَنَمشِ الرُّخام	أو أسطُرٍ دَقيقَةِ الأَقلام
حَفِيَّةِ الأحرفِ والإعجام	يَنفُضُ غِيبَ القُفِّ والآكام ^(٣)
بِمَقْلَةٍ تُسْرِجُ كالضَّرَام	يَنتَهِبُ البُعْدَ بِطَرفِ سامِسي

- (١) الأجمام : اللجام خبل أو عصاً تُدخَلُ في فم الدَّابَّةِ وتُلزَقُ إلى قفاه ... واللَّجْمَةُ القَلَمُ من أعلام الأرض .
واللَّجْمُ الصَّنْدُ المُرْتَفِعُ . أبو عمرو : اللَّجْمَةُ الجَبَلُ المُسَطَّحُ لَيْسَ بالضَّخْمِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٠٠١ ، ٤٠٠٢) ومعنى الإجمام في البيت الشدة والبأس .
- (٢) اللُّهَام : جيشٌ لُهَامٌ : كَثِيرٌ يَلْتَهُمُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَيَعْتَمِرُ مِنْ دَخَلِ فِيهِ ، أَي يُغَيِّبُهُ وَيَسْتَعْرِقُهُ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٤٠٨٨) .
- (٣) القُفُّ : ما ارتَفَعَ مِنْ مُتُونِ الأرضِ وصلَّبَتْ حجارَتُهُ ؛ وقيل هُوَ كالعَيطِ مِنَ الأرضِ ، وقيل : هُوَ ما يَبِينُ الشَّجَرَيْنِ ، ... وقال شَمِرٌ : القُفُّ ما ارتَفَعَ مِنَ الأرضِ وَغَلِظَ وَلَمْ يَلُغْ أَنْ يَكُونَ جَبَلًا . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٧٠٥) .

أَعْلَمُ بِالصَّيْدِ مِنَ الْأَقْوَامِ فِي هَامِةٍ فَرَّاسَةٍ لِلْهِامِ
وَمَنْسِيرِ عَضْبِ الشُّبَاةِ دَامِي كَعَقْدِكَ الْحَمْسِيِّنَ بِالْإِبَامِ
مُتَزِرِعٍ لِعِطَامِضِ الْعِظَامِ نَزَعِ الْمُكَيْبِ تَحَرَّرَ النِّظَامِ
وِخَافِقِي لِلصَّيْدِ ذِي اصْطِلَامِ يَنْشُرُهُ لِلتَّهْضِي وَالْإِقْدَامِ^(١)
كَتَشْرِكِ الْبُرْدِ عَلَى السَّنَامِ أَسْرَعُ مِنْ بَارِقَةِ الْعَمَامِ^(٢)
وَذَنْبِ كَطْرِيفِ الْحُسَامِ فَصَادِ مَا شَاءَ شِمَالِ الرَّامِي
مِنَ الْإَوْزِ وَمِنَ الْحَمَامِ^(٣)

فتحديد الشاعر لوقت خروجه مع رفاقه جاء بأسلوب تصويري ، فيشخص الصبح ويجعله سائقا بالظلام في وقت ترك النوم واستيقظ الكون ، فيستخدم الألفاظ الموحية بالمعنى لينقلها من عالم الإنسان وخصائصه ، إلى محيط الطبيعة .

ويذكر لطائر الزرق صفات الاقدام والتهجاعة ، والحسن والجمال ، وسرعة الفتك بالصيد ، والحصول على كثير منه بمهارة ؛ فيطعم الجيش الكبير ، الكثير الأكل .

(١) الاضْطِلَامُ : الاِسْتِصَالُ . واضْطَلِمَ الْقَوْمُ : أُبِيدُوا . والاضْطِلَامُ إِذَا أُبِيدَ قَوْمٌ مِنْ أَصْلِهِمْ ... الاضْطِلَامُ انْفِعَالٌ مِنَ الصَّلْمِ الْقَطْعِ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٨٩) .

(٢) الْبُرْدَةُ : كِسَاءٌ يُلْتَحَفُ بِهِ ؛ وَقِيلَ إِذَا جُعِلَ الصُّوفُ شَقَّةً وَلَهُ هُدْبٌ فَهِيَ بُرْدَةٌ ... وقال الأزهري : وَجَمَعَهَا بُرْدٌ وَهِيَ الشَّمْلَةُ الْمُخَطَّطَةُ ، قال اللَّيْثُ : الْبُرْدُ مَعْرُوفٌ مِنْ بُرْدِ الْعَصَبِ وَالْوَشْيِ ... قال : وَأَمَّا الْبُرْدَةُ فَكِسَاءٌ مَرْتَعٌ أَسْوَدٌ فِيهِ صِعْرٌ تَلْبَسُهُ الْأَعْرَابُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٥٠) .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٤ - ٤٧٧ /الرجز .

ويشبه الشاعر الزُّرْق على يد الغلام بالصبح عليه ذرع من الظلام . وأتى به الشاعر ليثبت للزُّرْق صفة البياض الشديد ، وقُرب كف الغلام يشبه درعاً من الظلام ، وبضدها تمتاز الأشياء . ثم يفصل الشاعر في وصفه للزُّرْق ، وبلغه موحية بالمعنى ، تتضمن الحركة يصفه : بالذكاء والفتنة ، والقدرة على الوصول إلى البعيد .

ومع أن الشاعر يُكثر من التشبيه بالنار ، إلا أنه أحسن هنا اختيارها ليشبه بها حدة بصر الزُّرْق ، وسرعة رؤيته لما أمامه ، فيتنبه المسافات بنظرة الثاقب .

ويلائم الشاعر بين وصف الزُّرْق بحدة البصر ، وعلمه الواسع بالصيد ، ووسيلته إليه نظره البعيد .

ويستمر الشاعر في وصف ما يساعده في اصطياد فريسته ؛ فمن ذلك منسره القوي الماضي ، الذي يُريق دم الفريسة ، وهو يشبه شكل الإبهام في انحنائه . جسر قوي يبينه الشاعر بين الظواهر التي يصفها ، وبين عالم الإنسان .

فالزُّرْق بهذا المنسر يمكنه أن ينتزع الغائر من عظام الفريسة ، وما توارى منه خلف اللحم ، ويشبه في ذلك بمن ينظم حبات الخرز الصغير في الخيط .

ويُدع الشاعر في وصفه لطريقة صيد الطائر للفريسة ، وسرعته في ذلك ، فهو يُسقطها وقد فقدت الحركة ، فتصبح كشكل البُرد على سنام الجمل ، كل ذلك يحدث بسرعة البرق .

وهي صورة طريفة ، تدل على دقة الشاعر في نقل المعنى ، وقد اقتطعها بخياله من البيئة العربية القديمة التي تستخدم الجمل وسيلة للانتقال في الصحراء .

أما ذنب الزُّرْق فيشبهه الشاعر بطرف السيف ، واختار له هذه الصورة ، لما يقوم به من مهمة اصطياد الطيور والإوز والحمام . وقال الشاعر : ما شاء ، ولم يقل ما استطاع ؛ ليثبت للزُّرْق صفة القدرة العالية والمطلقة على الصيد .

والحركة في الألفاظ التالية [طُلِّقَتْ ، يَضْمَن ، تُسْرِج ، يَتَّهَبُ ، فَرَّاسَةٌ ، مُتَنَزِع ، وخَافِق ، يَنْشُرُه ، تَشْرِك ، فَصَاد] .

وفي وصف الشاعر للطيور السابحة في الماء بالشفق الأبيض الممتد في الأفق ، وذلك من خلال وصفه لصيد الصقر لها . ويُظهر الشاعر براعة في وصف سرعة الصقر إليها - حيث يسبق الذُعْرَ والخوف إليها . يقول :

يسبق ذُعْرَ الطير من حيث امترق
حتى يرين الموت من قبل العَرَق^(١)
أنس في نُوَارِ رَوْضٍ قَدْ سَمَّوْا
سوابجاً في مَثْنٍ لُجْجِيٍّ غَدِقِ^(٢)
كالشفق الأبيض لاح في الغسق
تكشف عنه الريحُ أقداءَ الرَّئِيقِ
سَقَى القِيُونَ مَثْنًا عَضْبٍ مُنْدَلِيقِ
فطارَ كَالقِدْحِ المَرِيشِ المُمْتَرِقِ
ما صافَ عن قِرطاسِهِ حَتَّى تَحْرَقِ
ماتَ الذي أصابَ منها أو صَعِقِ^(٣)
وَطَيْرَ الرِيشِ على الأَرْضِ يَمْرُقِ^(٤)

* * *

(١) امترق : وامرُق : مرَّق في الأرض مُرَوْقاً : ذهب ، ومَرَّقَ الطَّائِرُ مَرَقاً : ذَرَقَ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤١٨٥) .

العَرَقُ : بالتَّحْرِيكِ الخَوْفُ . وَفَرَّقَ مِنْهُ بالكسْرِ ، فَرَقاً : جَزَعُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٤٠٠) .

(٢) سَمَّقَ النَّبْتُ والشَّجَرُ والنَّخْلُ يَسْمُقُ سَمَقاً وَسُمُوقاً : فهو سَامِقٌ سَمِيقٌ : أَرْتَفَعَ وَعَلَا وطال (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٢٠٩٩) .

غَدِقٌ : يَغْدُقُ غَدَقاً فهو غَدِيقٌ : إِذَا سَمَّئِرَ النَّدى في المَكَانِ أو الماءِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٢١٩) .

(٣) قِيُونَ : جَمْعُ قَيْنَةٍ وهي الفَقَارَةُ مِن فَقارِ الظَّهْرِ ، والقَيْنَةُ من الفَرَسِ نُقْرَةٌ بَيْنَ العَرَابِ والعُجْزِ فيها هُزْمُه . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٧٩٩) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٦٧/الرجز .

الفصل الثامن: ضعف التصوير

الفصل الثامن

ضعف التصوير

وكما أجاد الشاعر في كثير من صور الوصف ، فقد أخفق في بعضها الآخر ، فوصف الطبيعة بجزئياتها من سماء ونجوم وكواكب ، وشمس وقمر وسحاب ومطر ، ثم الأرض والرياض والأشجار والأنهار والأزهار ، والحيوان والطيور ، والخمر والندماء والشاربين ، ثم الصيد بجوارحه وضواريه وأقواسه ونشابه .

ورغم مستوى التفوق والإبداع الذي توفر للشاعر في صورته في الموضوعات السابقة ، إلا أنه لم يوفق في اختيار صور أخرى ، في مواضعها المناسبة ، بحيث تقبلها النفس ، وتتذوق المعنى التذوق السليم .

فقد ركز الشاعر في بعض صورته على استخراج وجه الشبه المناسبة بما شغله عن جوانب أخرى في الصورة على قدر كبير من الأهمية ، وأهمّل اعتبارات معنوية كان لابد لشاعر مثله أن يوليها اهتماماً واعتباراً .

ومن ذلك تشبيهه للمطر ليلاً بفتحات الجراح ، والتوافق والتشابه معدوم بين المطر الذي يُنزله السحاب ، وبين الجراح التي تُخرج منها ما يخرج من سوائل لا تقبل النفس ذكرها ، ويستقبح مقارنتها بماء المطر الذي يحمل الخير والتماء والسقيا للإنسان والحيوان والنبات .

ففي هذا المعنى — ولا اعتبارات الحقيقة والواقع ، والمعروف والمعهود عن الموصوف وهو المطر الذي ينهمر من السحابة — لا يُقبل من الشاعر وصف المطر بافواه الجراح . يقول :

وَمَوْقِرَةٌ يَثْقِلُ الْمَاءُ جَاءَتْ تَهَادِي فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ^(١)
فَجَاءَتْ لِيَلَهَا سَحَاً وَوَبْلًا وَهَطْلًا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ^(٢)
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ نَجْوَمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضٌ بِنَفْسِجٍ خَضِيلٍ نَدَاهُ^(٣) تَفْتَحُ بَيْنَهُ نُورُ الْأَقَاحِي^(٤)

ثم يتحدث الشاعر عن بشرى بزيارة الحبيب الذي طال هجره ، ويسوق ذكر التفاحة بيد الرسول من الحبيبة ، وبها آثار قطمها لها ، فيشبه آثار فكها على التفاحة بقربي العقرب .

يقول :

يا ليلتي بالكـرخِ دومي هكذا يا ليلتي لا تذهبي لا تذهبي

(١) مَوْقِرَةٌ : الوَقْرُ : يَثْقُلُ فِي الْأُذُنِ بِالْفَتْحِ .. وَالْوَقْرُ بِالْكَسْرِ ، الثَّقْلُ يُحْمَلُ عَلَى ظَهْرٍ أَوْ عَلَى رَأْسٍ .. وَقِيلَ :
الْوَقْرُ الْحَمْلُ الثَّقِيلُ ، وَعَمَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الثَّقِيلَ وَالْخَفِيفَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَجَمَعَهُ أَوْقَارٌ .. الْفَرَاءُ : إِمْرَأَةٌ مَوْقِرَةٌ بَفَتْحِ
الْفَاءِ ، إِذَا حَمَلَتْ حَمْلًا ثَقِيلًا (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٨٨٩ - ٤٨٩٠) .
(٢) سَحَاً : السَّحُّ وَالسُّحُوحُ : هُمَا سِمْنُ الشَّاةِ ... وَسَحَابَةٌ سَحُوحٌ ، وَسَحَّ الدَّمْعُ وَالْمَطَرُ وَالْمَاءُ يَسُحُّ سَحَاً
وَسُحُوحًا ، أَي سَالَ مِنْ فَوْقٍ وَاشْتَدَّ انْصِبَانُهُ وَسَاحَ يَسِيحُ سَيِّحًا إِذَا جَرَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ... يَفْتَشِرُ وَجْهَ
الْأَرْضِ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٩٥٠ - ١٩٥١) .
وَبَلًا : الْوَبْلُ وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطْرُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ،
ص ٤٧٥٥) .

هَطْلٌ : الْهَطْلُ وَالْهَطْلَانُ : الْمَطَرُ الْمُتَفَرِّقُ الْعَظِيمُ الْقَطْرُ ، وَهُوَ مَطَرٌ دَائِمٌ مَعَ سَكُونٍ وَضَعْفٍ (ابن
منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤٦٧٤) .

(٣) خَضِيلٌ : الْخَضِيلُ : خِفَّةٌ وَسُرْعَةٌ ... وَسَهْمٌ خَطِيلٌ : يَعْجَلُ فَيَذْهَبُ يَمِينًا لَا يَقْصِدُ قَصْدَ الْهَدَفِ . وَالْخَطِيلُ :
الطُّوْلُ وَالْأَضْيَاطَابُ (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٢٠٢) .

(٤) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ١٤٩ / الوافر .

جاءَ الرَّسُولُ مُبَشِّرًا بِزِيَارَةِ من بعدِ طولِ تهجرٍ وتغضبٍ
وبكفِّهِ تُفَاحَةً قَدْ مُسَّكَتْ آثَارُ عَضَّتَيْهَا كَقَرْنِي عَقْرِبٍ^(١)

وقد يكشف التشبيه عن خيال واسع ، وعن قدرة في التقاط الصور ، والربط بين المتشابهات منها ، إلا أنه لم يوفق في عقد المقارنة بين الموصوف والصفة ، فالأول مما تستحسنه النفس ، وتقبل على ذكره ، والثاني مما تستقبحه ، وتنفر منه .
فإن صح التصوير هنا بمقياس الخيال واستقام استخدامه على هذا الشكل فإنه يُرفض بمقياس الذوق السليم .

هذا بالنسبة لشعر الطبيعة ، فإذا تبعنا الصورة في شعر الخمر نجد أن الشاعر قد أخفق في مواضع منها .

فيشبه حَبَابَ الخمر بالأحداق . تُرَى ما موقف شارب الخمر إذا مرَّ بخاطره هذا الاعتبار للحَبَابِ المتجول على سطح كأس الخمر ؟ ، هل يستطيع أن يُقبل عليها ويشربها برغبة ، ويستسيغ ما بها ؟!

من المؤكد أن الإجابة بالنفي .

وذلك في وصفه كأس الخمر بأنها ذهبية في لونها ، عليها حَبَابٌ يشبه الأحداق . يقول :

فَجَاءَتْ بِهَا فِي كَأْسِهَا ذَهَبِيَّةٌ لَهَا حَدَقٌ لَمْ تَتَّصِلْ بِجَفْـوَنِ^(٢)

(١) ديوان ابن المعتز ، دار صادر ، ص ٥٨ / الكامل .

(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٨ / الطويل .

ما أقبح هذا التصوير من شاعر مبدع كابن المعتز !! فهو الذي يملك قدرة عجيبة على اختيار الصور المناسبة ، ويرعى حق الرعاية الروابط والوشائج المعنوية ، وصلات التشابه والاتفاق المادية والمعنوية والنفسية ، ويوجد للصور جواً عاماً يجعلها خلقاً جديداً وإبداعاً متفوقاً .

كل هذا وابن المعتز ليس شاعراً فحسب ؛ بل هو عالمٌ في البلاغة العربية ومن كبار النقاد للأدب والشعر ؛ فهو لهذا يملك قدرة عالية على إدراك المعاني والاحساس بها وبنبضها المعنوي في كل جسم من التراكيب اللفظية وفي كل نمط من أنماط التصوير الفني .



الباب الثالث

دراسة أساليب الوصف في شعر

عبدالله بن المعتز

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : لغت الشعرية

الفصل الثاني : الصيغة في شعره

الفصل الثالث : موسيقى شعر الوصف وأوزانه

الفصل الأول: لغتہ الشعرية

الفصل الأول

لغته الشعرية

تميز لغة شعر ابن المعتز بالسهولة والوضوح غالباً . وأسلوبه « أسلوب المحدثين في رقتهم وعذوبتهم ، وجمال صياغاتهم وفي سحر التعبير وروعة التأثير والتصوير ، وفي التجويد والتجديد وخصب الملكة التي تساعد على خصوبة الأداء وفي تمثله لحياة المحدثين وترفهم ... »^(١) .

بالإضافة لما يتسم به أسلوبه من « جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها . وهي من أهم خصائص الفن في أسلوب ابن المعتز في شعره »^(٢) .

وقد يُعرب الشاعر أحياناً في اللغة والألفاظ وخاصة في شعر الصيد . فمن النوع الأول — المتسم بالسهولة والوضوح — قوله يصف الطبيعة بأرضها المخضرة لسقوط المطر عليها :

النُّورُ يَضْحَكُ عَنْ بُكَاءِ سَحَابِ والأَرْضُ قَدْ كُيِّتَتْ صُوفَ ثِيَابِ
خَلَعَ الرَّهَامُ عَلَى الرَّبَى دِياجَةَ نُسِجَتْ بِغَيْرِ أُنَامِلِ الْأَنْرَابِ
وَكَأَنَّمَا أُجْفَانُهَا مَسْكُوبَةٌ مُقَلَّ بَكَتْ لِتَفْرِقِ الْأَحْيَابِ^(٣)

ومن النوع الثاني — الذي يبدو فيه الإغراب — قوله يصف البازي والفرس :

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كِتَابُ ابْنِ الْمُعْتَزِ وَوَرَاثَتُهُ فِي الْأَدَبِ وَالنَّقْدِ وَالْيَمَانِ ، ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كِتَابُ شِعْرِ ابْنِ الْمُعْتَزِ ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الدewan ، الجزء الثاني ، ص ٥٠٨/الكامل .

رُعنا الوحوشَ بابنٍ شدُّ مُذْمَجٍ أشعرَ مَلزوزِ القَرَى والمَنجِجِ
قد خاضَ تَحجِجاً ولم يُلجُجِجِ كَالخَوْدِ فِي جِلْبَاتِهَا المُضْرَجِ
رَمَتْ إِلَى مِعصِمِهَا بِالذُّمْلِجِجِ ذِي غُرَّةٍ مِثْلِ الصَّبَاحِ الأَبْلِجِجِ^(١)

وقد أَلَمَحَ الدكتور طه حسين إلى أسلوب ابن المعتز ، وبساطة تناوله للمظاهر العامة من حوله يقول : « فأجمل ما فيه أنه يرى كل البراءة من التكلف ، لم يبحث عن لفظ غريب ، ولم يتكلف معنى غريباً ، وإنما هو يأخذ الأشياء التي حوله ، فيعبر عنها بالألفاظ التي تدور على ألسنة الناس جميعاً »^(٢) هذا هو أسلوب الشاعر في وصف الطبيعة والخمر - غالباً - . وقد يستخدم الغريب في الصيد والطرْد ؛ فهذا الغرض يحتم على الشاعر أن يختار لغة خشنة ، يتخللها الكثير أو القليل من الغريب .

وقد تحدث عن لغة ابن المعتز العباسي في الشعر ، واختلافها بين السهولة والوضوح والرقّة ، ثم الخشونة والقوة أبو الفرج الأصفهاني فقال : « وشعره وإن كان فيه رقّة الملوكيّة وغزّل الظرفاء ، وهلهلة المُحدثين ، فإن فيه أشياء كثيرة تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصُر لمن مَدَى السابقين ، وأشياء ظريفة من أشعار الملوك من جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهليّة ... أن يُعَدِلَ بذلك مما يُشبهه من الكلام السَّبِطِ الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَنْ حضرَ ، إلى جَعْدِ الكلامِ ووَحْشِيهِ وإلى وصف البيدِ والمهَامِهِ والظُّبِيِّ والظُّلِيمِ والناقَةِ والجمَلِ والديارِ والقَفَازِ والمنازلِ الخالية المهجورة »^(٣) .

ومما يلاحظ على شعر ابن المعتز أيضاً أنه مع فصاحة لغته ، فقد تخللتها بعض الألفاظ

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ /الرجز .

انظر دراسة هذه الأبيات ص ٩٩ - ١٠٠ من هذا البحث .

(٢) من كتاب حديث الشعر والنثر ، الطبعة الحادية عشرة ، الناشر دار المعارف بمصر ص ١٧٠ .

(٣) كتاب الأغاني ، المجلد العاشر ، ص ٢٧٤ .

الأعجمية كالأذريون^(١) ، والنيروز^(٢) ، والدستند ، والدستندات^(٣) في مثل قوله :

وَحَمَلْ أَدْرِيُونَهُ فَوْقَ أُذُنِهِ كَكَاسٍ عَقِيْقٍ فِي قَرَارَتِهَا مِسْكَ^(٤)

وقوله :

دَارَكَ الْتَيْرُوزُ فِي أَطْرَبِ أَوْقَاتِ الزَّمَانِ

فَالْقَعُ بِالرَّاحِ وَالرُّو ج وَتَضْرِبُ الْقِيَامَانَ^(٥)

وقوله :

وَدِنَانٍ كِمَثَلِ صَفِّ رَجَالٍ قَدْ أَقِيمُوا لِيَرْقُصُوا دَسْتِنْدَانًا^(٦)

وقوله أيضا :

قَدْ ظَهَرَ الْجِنُّ بِالنَّهَارِ لَنَا مِنْهُمْ صُفُوفٌ وَدَسْتِنْدَاتُ^(٧)

(١) راجع معنى آذريون ص ٥٣ من هذا البحث .

(٢) (النُّورُوزُ ، أو النَّيرُوزُ) [بالفارسية] :

اليوم الجديد ، وهو أوَّل يومٍ من السنة الشمسيَّة الإيرانيَّة ، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية . وعيد (النُّورُوز ، أو النَّيرُوز) : أكبر الأعياد القومية للفرس . (المعجم الوسيط ج ٢ ، ٩٦٢) .

(٣) (الدَّسْتُ) : اللباس . وصدر المخلبن ودَسْتُ الوزارة : منصبا . وأُنْعَبُ . ويقال : فلان حَسَنُ الدَّسْتِ :

شَطْرَ نَجْمِ ما هَر . والغلبة في الشطرخ ونحوه . ودست القمار (كان في اصطلاح الجاهلية) : إذا خاب قَدَح أحدهم ولم يَبَل ما رامه قيل : تَمَّ عليه الدَّسْت (المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ١٩٣/الطويل .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٥٧/مجزوء الرمل .

(٦) المصدر السابق ، ص ٩٣/الخفيف .

(٧) المصدر السابق ، ص ٥١٥/المنرح .

ثم لمحات تدل على معرفة له بالنجوم ، وبعض أحوالها : ومن ذلك قوله يصف وَقْدَةَ
سُهَيْل :

أَدَامَ أَيْلُولَ لَنَا وَقْدَةَ جَرَّعْنَا مِنْهُ الْأَمْرِينَا
يَرِيدُ أَنْ يُبْدِيَ لَنَا كَوْكِبًا نَحْسًا بَطِيءَ السَّيْرِ مَلْعُونَا
قُلْ رَسَتْ أَيْلُولُ فَكَمْ ذَا الْأَذَى يَبْضِي سُهَيْلًا وَأُرْبِحِينَا^(١)

وقد يكثر التكرار عند ابن المعتز في الإلفاظ « وجاء هذا التكرار على ثلاثة أنواع :

الأول : تكرار اللفظة مرتين بالتعاقب ، وهو تكرار لطيف ، ولعله كان يتوخى منه التوكيد
والتنفيس عما يكابده من آلام وانفعالات^(٢) :

ومن ذلك قوله بتكرار لفظ غرة في قوله :

كَأَنَّهَا حِينَئِذٍ مَجَّتْ فِي الْكَأْسِ رِبْقَةً حَمْرَهُ
أُمَّ تَعَاهَدُ فَرَحًا بَعْرَةً بَعْدَ غَرِّهِ^(٣)

وقوله يُكْرَرُ لَفْظُ يَوْمٍ ، وَرَوْحُ :

إِسْقِيَانِي فَالْيَوْمَ يَوْمَ صَبَّوحِ وَدَعَانِي مِنْ تُرْهَاتِ النَّصِيحِ
وَإِسْقِيَانِي رُوحَ الْعَصِيرِ فَمَا اللَّـ نْدَةُ إِلَّا اعْتَنَّقَاقُ رُوحِ بَرُوحِ

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الضولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، ج ٢ ، ص ٦٤٦/السريع .-

(٢) المصدر السابق ، القسم الثاني ، الدراسة ص ٣٠٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٠/المجث .

من كُمَيْتٍ كَأْتَهَا نَعَمُ اللَّـمِ هِ تَوَالَتْ بِطَيْبِ طَعْمٍ وَرِيحٍ^(١)

وقوله في الصقر :

يَا رَبِّ لَيْلٍ كَجَنَاحِ النَّاعِقِ سَرِيئُهُ بِفَتِيحَةٍ بَطَّارِقِ

تَتَابُ صَيْدًا لَمْ يُرْغِ بَطَّارِقِ بِأَجْدَلٍ يَلْقَنُ تُطَقُّ النَّاطِقِ^(٢)

وقوله :

أَقْبَلْنَ فِي رَأْدِ الضَّحَاءِ بِهَا فَتَرْنَ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ^(٣)

« والثاني تكرار في إعجاز الأبيات لبعض ما في صدورها »^(٤) .

من مثل قوله :

غَادِ شُرْبِ الرَّاحِ مُصْطَبِحَا لَا تَدْعُ مِنْ كَفِّكَ الْقَدْحَا

إِنَّمَا عُمَرُ الْفَتَى فَرِحَ فَاغْتَنِمَ مِنْ عُمَرِكَ الْفَرِحَا^(٥)

وقوله :

إِكْبِيرُ بِمَائِكَ جِدَّةَ الصَّهْبَاءِ فَإِذَا رَأَيْتَ خَضُوعَهَا لِلْمَاءِ^(٦)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٨ ، ٧٩ / الخفيف .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٦٨ / الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٥ / الكامل .

(٤) المصدر السابق ، قسم الدراسة ص ٣٠٨ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٣ / المديد .

(٦) المصدر السابق ، ص ٢٠ / الكامل .

فاجن يدك عن التي خلقت لها
نفس تُشاكل أنفُسَ الأحياءِ
وقوله :

أما ترى اليوم في سحابه
قد ضحك البرق في جوانبه
وانهل دمع السماء مُمثلاً
دمع مُحبُّ بكى لغائبه
وليس في الدن غير قوت فتى
يعجز عن بعض قوت صاحبه^(١)

« والثالث : تكرار الألفاظ (العبارات) والمعاني في أكثر من مرة ولعل سببه إعجاب الشاعر بالمعنى الذي يولده ، فيحوله إعادته وتكراره ، وكأني به يجد في هذه الإعادة ترسيخاً لهذا المعنى ، ولذة نفسية^(٢) » انتهى .

ومن ذلك تقديمه لكثير من قصائد في شعر الصيد والطرْد بقوله : « وقد اغتدي » ثم يغير ما بعدها ومنها :

قوله في قصيدة له في وصف البازي :

قد اغتدي على الجياد الضمر
والصبح في طرة ليل مُسفر^(٣)
وفي وصف الكلاب يقدم بقوله :

قد اغتدي في صبح ليل فاشي
يُوزج رَبيب بيت ناشي^(٤)

وفي تقديمه لوصف الصقر والكلب يقول :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السمراني ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٨/المنسرح .

(٢) المصدر السابق ، قسم الدراسة ، ص ٣٠٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٤٠/الرجز .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥٠/الرجز .

قد اغتدي والفجرُ مُستعجِلٌ ليلاً بِقَرْنِ الصبْحِ مَطْعُونَا^(١)

ومن التكرار في المعاني أيضاً قوله في موضعين في حديثه عن الخمر ووصفها :

إسْقِيَانِي وَاَعْمَلَا طَرَبَا وَأَدِيرَا الْكَأْسَ وَاتَخِيَا^(٢)

وأيضاً في موضع آخر :

أَدِرِ الْكَأْسَ عَلَيْنَا أَيُّهَا السَّاقِي لِتَطْرَبَ^(٣)

وعن بكاء السماء مطراً يسقي الأرض يتناول المعنى في أكثر من موضع . يقول :

لِي بُكَاءٌ وَلِلسَّحَابِ بُكَاءٌ فَدَمْعِي هَوِيٌّ وَذَاكَ هَوَاءُ^(٤)

وقوله أيضاً :

النُّورُ يَضْحَكُ عَنِ بُكَاءِ سَحَابٍ وَالْأَرْضُ قَدْ كُسِيَتْ صُنُوفَ ثِيَابٍ^(٥)

ومن تكرار المعاني تشبيهه للثريا في أكثر من موضع بالعنقود . يقول :

يَتَلَوُ الثُّرَيَّا كَفَاغِرِ شَرِيهِ يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عُنُقُودٍ^(٦)

وقوله في موضع آخر :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٧٨/السريع .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٤/المديد .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٩٣/الخفيف .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٠٨/الكامل .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٠٠/المنسرح .

زارني والدُّجَى أَحْمُ الحَوَاشِي وَالثَّرِيَّا فِي الغَرَبِ كَالعُنُقُودِ^(١)

ومن تكرار المعاني أيضاً وصفه للنجس في موضعين من الديوان يقول في الأول منهما :

عيونٌ كَسَاهَا الغَيْثُ ثوباً من البَهَا فَأَجْفَانُهَا بِيضٌ وَأَحْدَاقُهَا صَفْرُ^(٢)

وقوله في الموضع الثاني :

عيونٌ لُجَيْنٍ فَوْقَهَا حَدَقٌ صَفْرُ تَزِينُهَا من تَحْتِهَا عَمْدٌ خُضْرُ^(٣)

وغير ذلك من استخدام ابن المعتز للقهوة اسم للخمر في أكثر من موضع ، مع كثرة أسمائها ، وتشبيهه النجوم بالنور أيضاً في أكثر من بيت في ديوانه حتى أصبحت هذه الألفاظ والمعاني تُذكر له أكثر مما تُذكر لغيره ، وإن كانت قد وردت عند آخرين قبله وبعده .

ومع اطمئناني لتعليل الدكتور السامرائي لظاهرة تكرار الألفاظ ، والمعاني في مواضع عدة من شعر ابن المعتز ، إلا أنني أضيف إلى قوله : أن هذه الألفاظ والمعاني ربما كانت مما يدور كثيراً بخاطر الشاعر ، واستدعاؤه لها مرة لم يُفقدُه إحساسه بها ، وظلَّت تُلحُّ عليه ، وتظهر في أكثر من موضع في شعره .

إلا إنه — عبد الله بن المعتز — لم يكرر نفسه ، فلا يصادفنا ذلك التكرار في الألفاظ والمعاني من خلال ضعف العاطفة ، أو ضعف التناول ؛ بل نجده مع كل تكرار ، الشاعر الذي أحسن بالمعنى ، وأجاله في نفسه ، وحمله اللفظ المناسب .

ولم يرَ التكرار عيباً في الشعر يؤخذ على الشاعر أو يحاسب عليه كما يحاسب من يفرط في البديع إلى أن يفسد المعنى ، إلى غير ذلك من المآخذ التي تُؤخذ على الشعراء في عصره

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٦٦/الخفيف .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠١/الطويل .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٠٢/الطويل .

وغير عصر من مثل ما أورده المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) في الموشح^(١) ، أو بما أخذ ابن المعتز على أبي تمام^(٢) .



(١) ومن هذه المآخذ مسائل لغوية وعروضية ونحوية وبلاغية ونقدية . ومن المسائل البلاغية والنقدية : التناقض ، الكذب في الشعر ، التكلف ، الاستعارة القبيحة ، الخطأ في الوصف ، المبالغة ، فساد التقسيم ، فساد المقابلات ، التشبيهات البعيدة (الغلو) ، وضع الشيء في غير موضعه ، مخالفة العرف ، الإخلال ، زيادة ما يفسد المعنى ، المطابقة غير الحسنة ، البديع المقيت ، الألفاظ السخيفة ، الإكثار من الغريب ... إلخ .

(٢) أورد المرزباني رسالة ابن المعتز في أبي تمام قال : « قال عبد الله بن المعتز في رسالة نبّه [فيها] على محاسن شعر أبي تمام ومساويه : ربما رأيت في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً بيئاً ، فأعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزلته في الشعر لما يدعو إليه اللجاج ؛ فأما قولنا فيه فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان ، فكأنّ شعره قوله :

إن كان وجهك لي تنسرى محاسنه فإن فعلك بي تنسرى مساويه

(الموشح ، ص ٤٧٠) .

الفصل الثاني : الصيغ في شعره

الفصل الثاني

الصيغة في شعره

بعد دراستنا للغة الشعر عند عبد الله بن المعتز ، ثم مدى دلالتها على المعاني يجدر بنا أن نتناول بلاغة أسلوب الشاعر على أساس المعايير البلاغية القديمة والاحتكام إليها .

ومناسبة الاحتكام إلى المعايير القديمة في بلاغة الأسلوب العربي ، هو أن شاعرنا عبد الله ابن المعتز العالم الأول في البلاغة العربية ، وأول من قننها ، وعرف بقواعدها ، وجمع الشواهد على ذلك من الكتاب والسنة ، والشعر العربي القديم ، وعرض ذلك كله في كتابه البديع^(١)

وقد عاصر ابن المعتز العباسي قضية كبرى في عصره ، شغلت البلاغة والنقد العربي في العصر العباسي ، وهي قضية القديم والجديد ، « ويكاد يكون البديع محور هذه القضية ، وقد عاب شاعرنا على أبي تمام إغراقه في بديعياته وتكديسها »^(٢) وهذا لا يعني أن شعره — ابن المعتز — خلا من البديع ولكنه جاء مطبوعاً إلى حد كبير ، ولم يكثر منه الشاعر ، الكثرة التي تظفي على الأسلوب ، وتميل به إلى التكلف أو التعقيد المعنوي .

وقد لاحظ ابن رشيق القيرواني سمة البديع ، الذي ورد دون تكلف ومغالاة في شعر

(١) أورد فيه عبد الله بن المعتز علوم البلاغة مرتبة فكانت الاستعارة والاعتراض والاعنات والامراط في الصفة ، والالتفات ، وتأكيده المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العارف ، والتجنيس ، والنشبه ، والتعريض ، والتعقيد ، وحسن الأبتدآت ، وحسن التضمين ، وحسن الخروج والرجوع ، ورد الاعجاز على الصدر ، والكنائية ، ومحاسن الكلام ، ومذهب كلامي ، ومرسل من الكلام ، والمطابقة ، والهزل يُراد به الجد ، (كتاب البديع ، نشره أغناطيوس كراتشوفسكي) .

انظر دراسة مستفيضة لكتاب البديع أهميته ومصادره وشرح أبوابه ثم أثره ، في كتاب ابن المعتز للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، ص ٥٩٦ — ٦٠٩ .

(٢) الدكتور سعد إسماعيل شلبي ، كتاب ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، ص ٦٤ .

عبد الله بن المعتز فقال في باب « المطبوع والمصنوع » : « وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعته خفية لطيفة ، لا تكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي ألطف أصحابه شعراً ، وأكثرهم بديعاً وافتناناً ، وأقربهم قوافي وأوزاناً »^(١) .

ولدراسة أسلوب ابن المعتز ، بإستخراج ألوان البديع من طباق^(٢) ، ومقابلة^(٣) ، وجناس^(٤) ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم^(٥) .

ومن خلال دراستي لأسلوب الوصف في شعر ابن المعتز ظفرت بكثرة وافرة من الأمثلة والنماذج في الطباق . « وهو يشيع في شعر ابن المعتز شيوعاً ظاهراً ، ويغلب عليه اللطف

(١) كتاب العمدة : ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٢) الطباق : هو الجمع بين لفظين مُقابلين في المعنى . وهما قد يكونان إسمين .. أو فعلين .. أو حرفين .. فيكون تقابل المعنيين وتختلفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة . (ويسمى بالمطابقة .. وبالتضاد .. وبالتطابق .. وبالتكافؤ .. وبالتطابق) وهو أن يجمع المتكلم في كلامه بين لفظين يتناقى وجود معناهما معاً في شيء واحد ، في وقت واحد ، بحيث يجمع المتكلم في الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل : تقابل الضدين ، أو النقيضين ، أو الإيجاب والسلب . أو التضاييف .

(السيد المرحوم أحمد الهاشمي ، كتاب جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . الطبعة الثانية عشرة ، الناشر دار إحياء التراث العربي ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٣) المقابلة : هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم يؤتي بما يقابل ذلك على الترتيب . (المصدر السابق ، ص ٣٦٧) .

(٤) الجناس : هو تشابه لفظين في النطق ، واختلافهما في المعنى ، وهو ينقسم إلى نوعين : لفظي ومعنوي . (وتلخيص القول في الجناس : أنه نوعان تام وغير تام — فالتام ، هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة : نوع الحروف . وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات . وعددها . وترتيبها . وغير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة كقول الله تعالى : ﴿ وَالتَّفَّت السَّاقِ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ ﴾ (المرجع السابق ، ص ٣٩٦ — ٣٩٧) .

(٥) وهو نوعان : الأول : أن يستثنى من صفة ذمٍ منفية عن الشيء ، صفة مدح بتقدير دخولها فيه . والثاني : أن يُثبت لشيء صفة مدح ، ثم يؤتي بعدها بأداة استثناء تليها صفة أخرى (المرجع السابق ، ص ٣٨١) .

والسهولة والبراعة ، والأمثلة عليه أكثر من أن يمثل لها «^(١)» .

ومن ذلك قوله في النخل ونبيده :

يُمَلِّنْ أَغْصَاناً مَهْفَهفَاتٍ مَلَايِقَاتٍ وَمَفَارِقَاتٍ

بالريح تَعْصِي وَهِيَ تُوَاتِي^(٢)

وفي مقدمة لإحدى خمرياته يقول :

هُوًى بَاطِنٌ فَوْقَ الْهُوَى لَحَّ دَاوَهُ وَأَعْيَا عَلَى الْعُدَّالِ فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ^(٣)

وقال في وصف المطر :

وَمُزْنَةٌ جَادَتْ مِنْ أَجْفَانِهَا الْمَطْرُ فَالرَّوْضُ مُنْتَظِمٌ وَالْقَطْرُ مُنْتَشِرٌ

تَرَى مَوَاقِعَهَا فِي الْأَرْضِ لَانْحَةً مِثْلَ الدَّرَاهِمِ تَبْدُو ثُمَّ تَسْتَبِرُ^(٤)

وقال في وصف سحابة :

بَاكِيسَةٌ تَضْحَكُ عَنْ بُرُوقٍ سَرَتْ بِجَيْبِ فِي الدُّجَى مَشْقُوقٍ^(٥)

ومن شعر الصيد قوله في مخطيء الرماة بالبندق :

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الثاني ، الدراسة ، ص ٣١١ .

(٢) المصدر السابق ، القسم الأول ، الجزء الثاني ، ص ٥٢٣/الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٢٥/الطويل .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٨٥/البيسط .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٢٠/الرجز .

يا ناصر اليأس على الرجاء رَمَيْتِ بِالْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ

ولم تُصَيِّبْ شَيْئاً سِوَى الْهَوَاءِ فَحَسْبُنَا مِنْ كَثْرَةِ الْعِيَاءِ^(١)

وقوله في مقدمة لوصف الصقر والكلب :

قد اغتدي والفجر مُستعجلٌ لَيْلًا بِقَرْنِ الصَّبْحِ مَطْعُونًا

بِالسَّكَّاتِ سَبَّلِ الْخَاطِظِهَا بَيْنَ سَمَاوَاتٍ وَأَرْضَيْنَا^(٢)

وفي وصف الخمر يقول :

يَصَوِّغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شُبَّانَكَ فِضَّةً لَهَا خَلْقٌ بَيْضٌ تُحَلُّ وَتُغَقَّدُ^(٣)

وقوله أيضاً :

وليلة أحييها بالبراج مُخْسِنَةً مُسِيئَةَ الصُّبْحِ^(٤)

وقوله :

أسكنوها في السُّدْنِ مُذْ عَهْدُ نَوْجٍ كَظْلَامٍ فِيهِ نَهَارٌ حَبِيسٍ^(٥)

وقوله :

جَرَّتْ حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فَوْقَ سُكُونِهَا فَذَابَتْ كَذُوبِ الْبَيْرِ أَخْلَصَهُ السُّبُكُ^(٦)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ص ٤٢٠٩ / السريع .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٨ / السريع .

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٨ / الطويل .

(٤) المصدر السابق ، ص ٧٧ / الرجز .

(٥) المصدر السابق ، ص ١٥٦ / الخفيف .

(٦) المصدر السابق ، ص ١٩٢ / الطويل .

وقوله :

وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي الدُّجَى
فَكَانَ لَيْتِرِ اللَّيْلِ مِنْ نُورِهَا هَتَاكُ
إِذَا سَكَنْتَ قَلْبًا تَرَحَّلَ هُمُّهُ
وَطَابَتْ لَهُ ذُنْبَاهُ وَاتَّسَعَ الضَّنْكَ^(١)

وقد يجمع في البيت الواحد أكثر من لفظين متضادين ، فينفصل شطر البيت بتضاد ،
وشطره الآخر بآخر :

ومن ذلك وصفه للندى على الأزهار يقول :

فُرْسَانُ قَطْرِ عَلَى خَيْلٍ مِنَ الرَّهْرِ
تَحْتَهُنَّ سَيَاطُ الرِّيْحِ فِي السُّحْرِ
مَا شَعَتْ مِنْ حَرَكَاتٍ وَهِيَ وَاقِفَةٌ
تَحَالُّهَا سَائِرَاتٍ وَهِيَ لَمْ تَسِرْ^(٢)
وقوله في وصف (حمار) :

هَذَا الْحَمَارُ مِنَ الْحَمِيرِ حَمَارُ
نَاحَتْ عَلَيْهِ جِلْبَةٌ وَعِرْدَارُ
وَكَأَنَّهَا الْحَرَكَاتُ مِنْهُ سَوَاكِنُ
وَكَأَنَّهَا إِقْبَالُهُ إِدْبَارُ^(٣)

ومع الوفرة في أمثلة المطابقة في شعر عبد الله بن المعتز ، لا أجد إلا القليل من المقابلة بين
الألفاظ والمعاني في شعره ، وربما كان ذلك لأن الشاعر لو اشتغل بها لانشغل عن المعنى وهو
الأصل ، ولما إلى الصنعة ، ولوقع فيما وقع فيه غيره من الشعراء الذين أفسدوا الشعر بانشغالهم
بألوان البديع .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
ج ٢٤ ص ١٩٣-١٩٤ / الطبع
(٢) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٧٤ / البسيط .
(٣) المصدر السابق ، ص ٥٨٣ / الكامل .

والمقابلة في شعر ابن المعتز — كما ذكرت سابقاً — تأتي بطريقتين :
الأولى : حين يقابل بين الألفاظ على الترتيب فتكون المقابلة لفظية .

ومن ذلك قوله يصف الربيع :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا مُخَضَّرَةٌ وَاكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِلْسَمَاءِ بَكَاءٌ فِي حَدَائِقِهَا وللرياضِ ابتسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا^(١)
وقوله في حديثه عن الخمر :

فَبَادِرُ بَأَيَّامِ السُّرُورِ فَإِنَّهَا يِرَاعُ وَأَيَّامِ الِهُمُومِ بِطَاءِ^(٢)
وقوله :

أَدْرِ الْكَأْسَ عَلَيْنَا أَيُّهَا السَّاقِي لِنَطْرَبَ
مَا تَرَى اللَّيْلَ تَوَلَّى وضيَاءَ الصُّبْحِ يَقْرَبُ
وَالثُّرَيَّا مِثْلَ كَأْسِ حِينَ يِيَادُ ثُمَّ يَغْرَبُ
فَكَأَنَّ الشَّرْقَ سَاقِي وَكَأَنَّ الْغَرْبَ يَشْرَبُ^(٣)
وقوله :

لَا تَدْعُنِي لِصَبِيحٍ إِنَّ الْعَبْءَ وَقَّ حَبِيصِي

- (١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الجزء الثاني ، ص ٦٥٤/البيسط .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٤/الطويل .
(٣) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم
الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٣٧/مجزوء الرمل .

فَاللَّيْلُ لَوْنٌ شَبِيهُنِي وَالصَّبْحُ لَوْنٌ مَشِيئِي^(١)
وقوله :

وَزُنَّا لَهَا ذَهَباً جَامِداً فَكَالَتْ لَنَا ذَهَباً سَائِلاً^(٢)

والثانية : حين يقابل بين الألفاظ لا على الترتيب ، فيكون التقابل في المعنى وكأنه يُواز في المعنى بين شطري البيت الواحد .

ومن ذلك قوله في مقدمة لوصف الصقر والكلب :

تُقَاسِمُهَا قَبْضَ النُّفُوسِ أَجَادِلُ فَقِي الأَرْضِ نَهَاشٌ وَفِي الجَوِّ خَاطِفٌ

كَأَنَّ دِلَاءً فِي السَّمَاءِ تَحْطُهَا وَتَرَقِّي بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ غَوَارِفٌ^(٣)

ومن وصفه لأثر الخمر على شاربها قوله :

تُصْبِحُ غَنِيّاً مِنَ السَّرُورِ وَمِنَ عَقْلِكَ تُمَسِي مِنَ المَقَالِيسِ^(٤)

والجناس أيضاً قليل الورد في شعر ابن المعتز ، ويأتي حين يتأني به مطبوعاً غير متكلف ومن الأول منه وهو التام ، قوله في الوصف أوردته الدكتور السامرائي فيه ، وذكر أنه من فن الغزل :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الشَّمْسَ طَالِعَةً تَحْتَقِلُ بَيْنَ كَوَاكِبِ خَمْسِي

أَقْبَلْتَنِي فِي رَأْدِ الضَّحَاءِ بِهَا فَسْتَرَنَ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالشَّمْسِ^(٥)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القمم

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٠١/المقارب . ح ٣ ص ٤٢/الجنث .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٦٣/الطويل .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٥٤/المنسرح .

(٥) المصدر السابق ، ص ٦٠٥/الكامل .

وقال في الاعتذار ، وقد أورده الدكتور السامرائي في باب الأوصاف والملح :

طَبِيعِي كَطَبِيعِ الْمُشْتَرِي مَا فِيهِ مِنْ شَوْبٍ فَهَلْ مِنْ مُشْتَرٍ لِلْمُشْتَرِي^(١)
ومن الثاني وهو الجنس الناقض :

وقد أورد الدكتور السامرائي في باب الأوصاف والملح وصف ابن المعتز لمغنية وقد جانب
بين لفظي غنت فأغنت يقول :

وَمُخْطَفَةٌ غُصْنِيَّةٌ رَشَائِيَّةٌ تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ تَمَنَّتِ^(٢)
أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ تَحْوِدُ غَرِيرَةً كَأَنَّ بَحْدَيْهِمَا شَمُوسًا تَجَلَّتْ
كَأَنَّ الْقُمَارِي وَالْبِلَابِلَ غَرَّدَتْ لَدَى الْعُودِ فِي أَصْوَاتِهَا حِينَ غَنَّتِ^(٣)
فَأَوَمَّتْ إِلَى قَبْضِ النُّفُوسِ بِطَرَفِهَا وَقَالَتْ : أَطَعْنَا ثُمَّ غَنَّتْ فَأَغْنَتِ^(٤)

وقوله في التحذير من الدنيا وزخرفها وقد جانس بين غرر ، وغرر :

يَا مَنْ تَبَجَّجَ بِالدُّنْيَا وَزُخْرِهَا ، كُنْ مِنْ صُرُوفٍ لِيَالِيهَا عَلَى حَذَرٍ

وَلَا يَغْرُرْكَ عَيْشٌ إِنْ صَفَا وَعَفَا فالمرء من غرر الأيام في غرر^(٥)

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٩٧/الكامل .
(٢) رَشَائِيَّةٌ : الرشا حُلٌّ فَعَلَ بالتَحْرِيكِ : الظَّيْفُ إِذَا قَوِيَ وَتَحَرَّكَ وَمَثَى مَعَ أُمِّهِ ، وَالجَمْعُ أَرشَاءٌ . وَالرَّشَاءُ أَيضاً :

شَجَرَةٌ تَسْمُو فَوْقَ القَامَةِ وَرُفْهَا كَوَرَقِ الخَزْوَعِ ، لَا تَمْرٌ لَهَا وَلَا يَأْكُلُهَا شَيْءٌ . (والمعنى الأول الظبي هو المراد

عند الشاعر) (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٦٤٨) .

(٣) الْقُمَارِيُّ : الْقُمَرِيُّ : طَائِرٌ يُشْبِهُ الحَمَامَ القَمْرَ البَيْضَ . (ابن منظور ، معجم لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٧٣٧) .

(٤) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم

الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٥٢٣ - ٥٥٤/الطويل .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٩٤/البيسط .

وقوله في وصف الخمر وقد جانس بين راح وأرواح .

طَافَتْ عَلَيْنَا بِمَاءِ الْمُزْنِ وَالرَّاحِ مَعْشُوقَةٌ مَزَجَتْ رَاحاً بِأُرُوجٍ^(١)

وتأكيد المدح بما يشبه الظم يردُّ بُنْدَرَةٌ في شعر ابن المعتز في الوصف .

ومن ذلك قوله في وصف الباشق :

يَا كَفُّ مَا حُبُّبَتِ إِذْ غَدَوْتَ بِبَاشِقٍ يُعْطِيكَ مَا ابْتَغَيْتِ

لَا يَتَّقِيهِ هَارِبٌ بِفُوتٍ سَهْمٌ مُصِيبٌ كَلَّمَا رَمَيْتِ

مُؤَدَّبٌ يُسْرِعُ إِنْ دَعَا فُوتٍ لَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرُ عِشْقِ الْمَوْتِ^(٢)

وقال في وصف قدح الخمر :

مِنْ كُلِّ جِسْمٍ كَأَنَّـهُ عَرَّضٌ يَكَادُ لُطْفَاً بِاللَّحِظِ يُتَهَبُ

نُورٌ وَإِنْ لَمْ يَعْـِ وَوَهْمٌ إِذَا صَحَّ وَمَسَاءٌ لَوْ كَانَ يَنْسَكِبُ

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى إِذَاعَتِهِ سِرِّ الَّذِي فِي حَشَاهُ يَحْتَجِبُ^(٣)

والناظر في شعر ابن المعتز يلاحظ بساطة الأسلوب ، وسهولته ووضوحه ثم دلالاته على المعنى دلالة مباشرة — ماعدا بعض المواضع التي اقتضت منه إغراباً — ومع ذلك يظهر في بعض شعر الوصف أبيات غني الشاعر بحسن تقسيم الألفاظ والمعاني ، تقسيماً يرتب المعنى ، ويصدر عنه موسيقى لفظية يخلو معها تذوق المعنى ، ويؤثر في النفس .

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٧٤/البيسط .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٢٤/الرجز .

(٣) المصدر السابق ، ص ٤٦/النسرح .

ومن ذلك قوله في وصف الطبيعة :

لي بُكاءٌ وللحبابِ بكاءٌ فدموعي هوىً وذاك هواءٌ
نحنُ في الحاليتين شتَّى وفيما قد بدا للعيونِ مئاسواً
يا جفون السحابِ دمْعكِ يَفْنَى عن قليل وما لدمعي فناءً
أنا أبكي طوعاً وتكبيراً كرهاً ودموعي دمٌّ ودمْعكِ ماءٌ^(١)

وفي وصف النرجس يقسم البيت الثاني ، حيث يُنهي كل قسم بلونٍ تتكون منه الزهرة
يقول :

عيونٌ إذا عاينتها فكأنمنا مدامعُها من فوقِ أجفانها دُرٌ
محاجرُها بيضٌ وأحداقُها صُفْرٌ وأجسامُها خضرٌ وأنفاسُها عِطْرٌ^(٢)
وقوله في وصف الخمر :

فكأنها شمسٌ وكفٌ مُديرها ؛ فيها ضحىٌ وفمٌ النديمِ أُصيْلٌ^(٣)

وهذه وقفة قصيرة أمام بلاغة أسلوب ابن المعتز ، بعد أن نال نصيباً من الدراسة المتفرقة في صفحات وسطور الفصول السابقة ، إذ أن الدراسة الفنية لشعر الوصف استدعت الحديث عن الأسلوب في موضعه ؛ لتم الدراسة على الصورة الصحيحة ما أمكن ذلك .

* * *

-
- (١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ، كتاب شعر ابن المعتز ، دراسة وتحقيق د. يونس السامرائي ، القسم الأول ، الديوان ، الجزء الثاني ، ص ٤٩٣/الخفيف .
(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٨/الطويل .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٢١/الكامل .

الفصل الثالث: موسيقى شجر الوصف وأوزانه

الفصل الثالث

موسيقى الشعر وأوزانه

يختار ابن المعتز ألفاظه إختياراً مُتقناً ، وينسّقها لتؤدي المعاني أداءً دقيقاً مناسباً ، ويطوّعها لترسم الجمال ، وتنقل الحركة ، وتحدد معالم الشكل والنفس وخطراتها .

وشعر ابن المعتز كياناً مُتماسكاً ، له نصيب وافر من القديم بخصائصه الفنية والمعنوية والأسلوبية ، ونصيب أوفر من الحديث برويقه ، وبهائه ودقة أساليبه ، وظلاله المعنوية الوارفة على شعره ؛ فجاء شعره مزيجاً رائعاً رائعاً من المعاني والصور والأساليب والأخيلة البديعة ، التي تضع بين أيدينا نموذجاً يُمثل صدى للصراع بين القديم والجديد وآثاره في الشعر العربي العباسي .

وتأثره بالمحدثين من شعراء عصره ، ثم بالحضارة والترّف والبيئة كان لها جميعاً أثرٌ بعيد على أسلوبه فهو : « رقيق الحاشية لطيف الصوغ ، سمح الأسلوب ، يمثل مدرسة المحدثين الأدبية وذوقهم الفني وملكاتهم التي تأثرت بالبيئة والحضارة ، والترّف ، ومثلت هذه الحياة في فنّها تمثيلاً صحيحاً ، ونأت عن التقليد للقدماء في وحشية الأسلوب وغرابته ، وما كان لابن المعتز وهو حضري تتمثل أمامه الحضارة أن ينأى عن الرقة والعذوبة والحلاوة بعد أن سرى ذلك في نفسه وخُلقه وطباعه ، من أثر الحياة والعيش والبيئة والعصر »^(١) .

وقد تصدر الموسيقى من تكرار بعض الألفاظ من مثل قوله :

لَمَّا رَأَوْهَا وَعَلَوْنَا نَشْرَا هَزَّ جَنَاحِيهَا إِلَيْهَا هَزًّا

كَمَا هَزَزْتَ النَّيْزَكَ الْمُرْتَزًّا يَحُزُّ أَعْنَاقَ الرِّيَاحِ حَزًّا

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٢٥٧ .

النظم عليها على القادرين من الشعراء»^(١).

ومع أن الرجز من بحور الشعر القوية ، إلا أن الشاعر استطاع أن يصف الطبيعة على هذا البحر في مقدمة أرجوزته في ذم الصبوح ، التي بلغ بها مائة وعشرين بيتاً .

والرجز هو البحر الذي اختاره ابن المعتز للشعر التعليمي أيضاً ، فجاءت أرجوزته التاريخية « وقد ناهزت الأربعمائة بيت لا نجد فيها قلقاً أو تصنعاً ولكن تتوالى الأبيات في سلاسة ويُسر ، لا نشعر بالتكلف الذي يصادفنا في أمثالها من المطولات »^(٢)

وأوزان بحر الرجز كثيرة ، توافق الأغراض والأحوال « فهو بحر طويل لمن أرادته سالماً كاملاً ، وهو مجزوء لمن أراد استعماله في غرض ملائم للمجزوء ، وهو مشطور متوسط الطول لمن أراد كذلك .. يمكن استخدامه كأقصر بحر من بحور الشعر وذلك حينما يستعمل منهوكاً كما أصبح نوع منه يتألف من تفعيلة واحدة وهو الذي سَمَّوهُ (المقطع) والذي نظم فيه يحيى بن علي بن المنجم^(٣) ، وسلم الخاسر^(٤) ، وتنوع وزن الرجز هذا هو أحد ثمار التطور والتجديد الذي

(١) الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، ص ٢٩٨ .
(٢) د. سعد اسماعيل شلبي ، كتاب ابن المعتز العباسي ، صورة لعصره ، الناشر دار الفكر العربي ، ص ٢٨٣ .
(٣) يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم : أديب شاعر مطبوع ، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدباً ، وأكثرهم افتناناً في علوم العرب والعجم ، جالس الموفق ، والمعتصم وحُص به ، والمكتفي من بعده . وهو من شجرة الأدب الناضرة ، وأنجمه الزاهرة ، فاضل الآباء والأجداد ، صنف كتباً كثيرة ، فمن ذلك كتاب « النغم » و « الباهر » وكتاب « الإجماع في الفقه » على مذهب أبي جعفر الطبري ، وكتاب « المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه » وكتاب « الأوقات » .
أما كتاب « الباهر » في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية تمه ابنه « أحمد » وأضاف إليه بضعة شعراء محدثين .

وأخبار يحيى ومحاسنه كثيرة . وكانت ولادته سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وتوفي سنة ثلاثمائة رحمه الله تعالى .
(الحافظ البغدادي ، كتاب تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٣٠) .

(ابن تحلّكان ، كتاب وقفات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٩٨ - ٢٠١) .

(خيرالدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ، ص ١٥٧) .

(٤) سَلَمٌ أو سالم بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر ، سَمِّي الخاسر لكونه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً ، =

أصاب الرجز فيما بعد ، والذي شمل جوانب عديدة منه «^(١) .

والرجز من يأتي في كثير من بحور الشعر العربي المعروفة ، أو هو من بحر الرجز فقط أمر يختلف فيه العلماء ف « بعضهم يرى أن الرجز عند العرب كل ما كان على ثلاثة أجزاء ، وهو الذي يترغمون به في عملهم وسوقهم وحدائهم ، ومن هؤلاء الأخفش .

وهم بهذا لا يشترطون أن يكون من بحر الرجز ، إنما يعدون القطع القصار المصرة الشطوور رجزاً من أي بحر كانت .

في حين يرى آخرون أنه لا يسمى رجزاً إلا أن يكون من أحد أنواع بحر الرجز المعروفة وابن رشيقي القيرواني من هؤلاء «^(٢) .

وهناك أراجيز جرت على لسان الرسول ﷺ : « المنهوك والمشطور كقوليه في رواية البراء

أنه رأى النبي ﷺ على بغلة بيضاء يوم حنين يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

== كان منافساً لمروان بن أبي حفصة في مدح الخلفاء والبرامكة ، يُقال إنه مولى أبي بكر الصديق وهو مولى بني تيم بن مرة ، ورواية بشار بن بُرد وتلميذه . وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وأبي العتاهية على وجه الخصوص . وسلم أحد المطبوعين المحسنين وكان كثير البدائع والروائع في شعره ، عارفاً بالشعر وتقده . أما فنون شعره فهي الفخر والمدح والهجاء والوصف والأدب والخمر ، وله وصف في الحصان وله شعر على حرفين (قصير التفاعيل) مدح به الهاديّ أوله :

موسى المَطْرُزُ غَيْثُ بَكْرُزُ
ثمَّ انْهَمَرُزُ أَلْسُونِي الْمِرْرُزُ

توفي سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م .

(ابن المعتز ، كتاب طبقات الشعراء . ذخائر العرب (٢٠) تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثالثة ، الناشر دار المعارف بمصر ، ص ٩٩ — ١٠٥) .

(ابن خَلِّكَان ، كتاب وَكَيَاتُ الْأَعْيَان ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ — ٣٥٢) .

(عمر قَرُوح ، كتاب تَارِيحُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ ، الْأَعَصُرُ الْعَبَّاسِيَّة ، الطبعة الثانية ١٩٧٥م . الناشر دار العلم للملايين ، بيروت ، ج ٢ ، ص ١٣٥ — ١٣٦) .

(١) الأستاذ جمال نجم العبيدي ، كتاب الرجز ، نشأته ، أشهر شعرائه ، عام ١٩٦٨ — ١٩٦٩م ، مطبعة

الأديب البغدادي ، ص ٥٥ — ٥٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨ — ١٩ .

والمشطور كقوله في رواية جندب أنه صلى الله عليه وسلم دُميت أصبعه فقال :

هل أنت إلا أصبع دُميت وفي سبيل الله ما لقيت ^(١)»

وإن كان قد كثر الرجز في عصر الإسلام فإن نصيبه كان وفيراً في العصر الأموي إذ هناك مَنْ تخصص فيه « وأول من أطاله وجعله كالقصيد هو الأغلب العجلي ، ولا نتقدم في عصر بني أمية حتى لا يتكاثر من يحاكونه ، حتى يَقصرَ بعض الشعراء النابهين حياتهم على تجويده وتحبيره ، وهم في ذلك فريقان :

فريق يجمع بينه وبين القصير ، وفريق لا يجاوزه ^(٢)» .

وفي عهد الأمويين اشتهر بالرجز قوم أطالوا في قصائده ، وتفننوا في أوزانه أمثال أبي النجم ، وذو الرمة ^(٣) ، والعجاج ورؤبة .

« فالكثرة الغالبة من الأراجيز التي رُويت لنا تنسب للعصور الإسلامية ، وقد جمع السيد توفيق البكري في كتابه (أراجيز العرب) قدراً منها ^(٤)» .



(١) السيد محمد توفيق البكري ، كتاب أراجيز العرب ، ص ٣ .

الطبعة الثانية ، سنة ١٣٤٦ هـ .

ملتزم النشر محمد محمود حجاج الكنتي بالأزهر .

(٢) الدكتور شوقي ضيف ، كتاب العصر العباسي الأول ، ص ٣٩٥ .

(٣) سيأتي تعريف عنه ص ١٦٥ من هذا البحث .

(٤) الدكتور إبراهيم أنيس ، كتاب موسيقى الشعر ، ص ١٤٢ .

الباب الرابع

موقف العلماء والنقاد والدارسين من شعر الوصف

عند عبد الله بن المعتز العباسي

وفيه فصلان

الفصل الأول : موقف العلماء والنقاد والقُدامى من شعر الوصف

عند ابن المعتز

الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين

من شعر الوصف عند ابن المعتز

الفصل الأول : موقف الفاعلاء والنقاد والقُدَّامى من شعر الوصف

عند ابن المعتز

الفصل الأول

موقف العلماء والنقاد والدارسين القدامى

من شعر الوصف عند ابن المعتز

وبعد عرض الوصف مفهومه وصورته إلى العصر العباسي ، وبعد إتمام الدراسة الفنية النقدية لشعر عبد الله بن المعتز في الوصف وتناول سمات أسلوبه فيه. أصبح من المناسب أن نتعرف على آراء العلماء والنقاد والدارسين في شعر ابن المعتز عامة ثم الوصف خاصة .

قال عنه الصولي في مقدمة ترجمته له في الأوراق : « شاعر مفلح مُحسِن ، حسن الطبع ، واسع الفكر ، كثير الحفظ والعلم ، يُحسِن في النظم والنثر ، من شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم ، ومن نشأ في الرواية والسمع ، يكثر في مجلسه من حدثنا وأخبرنا »^(١) .

وقال أيضاً : وكان أبو العباس أحمد بن يحيى يقدمه ويقول : « هو أشعر أهل زمانه »^(٢) .

ويقول الصولي أيضاً : وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : « هو أشعر قريش » ، لأنه ليس فيهم من له مثل فنونه « لأنه قال في الخمر ، والطرْد ، والغزل ، والمديح ، والهجاء ، ... والمعاببات ، والزهد ، والأوصاف ، والمرائي ... فأحسن في جميعها ، وهو حسن التشبيه ، مليح الألفاظ ، واسع الفكر »^(٣) .

وقال عنه المسعودي : « وكان عبد الله بن المعتز أديباً ، بليغاً ، شاعراً ، مطبوعاً ، مجوداً ،

(١) ص ١٠٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١١٣ .

مقتدراً على الشعر ، قريب المأخذ ، سهّل اللفظ ، جيد القريحة ، حسن الاختراع للمعاني»^(١).

وقال عنه الحُصْرِي في حديثه عن أدب ابن المعتز : « وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر ، وفي النهاية في إشراف ديباجة البيان ، والغاية في رقة حاشية اللسان . وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى رقيق النثر أتى بخلال السحر ، وليس بعد ذي الرُّمَّة^(٢) أكثر افتناناً وأكبر تصرفاً وإحساناً في التشبيه منه »^(٣).

وقال عنه ابن الأنباري في ترجمته له أيضاً : « وأما عبد الله بن المعتز بالله ، أمير المؤمنين ، فإنه كان غزيرَ الفضل ، بارعاً في الأدب ، حسن الشعر كثيره »^(٤).

وقال ابن رشيقي في باب المشاهير من الشعراء عن ابن المعتز : « وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولد ؛ فالجاهلي إمروء القيس ، والإسلامي

(١) كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الرابع . الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، الناشر دار الفكر ، ص ٢٩٣ .

(٢) ذو الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧ هـ = ٦٩٦ - ٧٣٥ م) غيلان بن عقبة بن نيس بن مسعود العدوي ، من مُضَرَ ، أبو الحارث ، ذو الرمة : شاعر ، من فحول الطبقة الثانية في عصره . قال أبو عمرو بن العلاء : فتح الشعر بإمراء القيس وختم بذي الرمة . وكان شديد القصر ، دميماً ، يضرب لونه إلى السواد . أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال ، يذهب في ذلك مذهب الجاهلين ، وكان مقيماً بالبادية ، يحضر إلى الإمامة ، والبصرة كثيراً . وامتاز بإجادة التشبيه . قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته : « ما بال عينك منها الماء ينسكب » لكان أشعر الناس . وقال الأصمعي : لو أدركتُ ذو الرمة لأشرتُ عليه أن يدع كثيراً من شعره ، فكان ذلك خيراً له توفي باصبيان وقيل بالبادية ... (خَيْرُ الدِّينِ الزَّرْكَلي ، قاموس التراجم الأعلام ، ج ٥ ، ص ١٢٤) وانظر كذلك ابن قتيبة ، كتاب الشعر والشعراء . الطبعة الأولى ، قسطنطينية ١٢٨٢ هـ الناشر ، عالم الكتب بيروت ص ١٢٦ - ١٢٩ .

(٣) كتاب زهُو الآداب ، وثمر الألباب ، عارضه بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهرسه علي محمد البجاوي .. الطبعة الثانية فيها زيادة وشرح وتعلق ، الناشر دار إحياء الكتب العربية عيسى الببائي الحلبي وشركاه ، الجزء الأول ، ص ١٧٦ .

(٤) كتاب نُزْهة الألباء ، في طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر ص ٢٣٣ .

ذو الرمة ، والمولّد ابن المعتز ، وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر ... وليس في المولدين أشهر إسماً من الحسن أبي نُوّاس ، ثم حبيب والبحثري ... ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وإمريء القيس في القُدَمَاء ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس»^(١) .

هذا الموقف من ابن المعتز بعامة في الشعر ، من حيث إحسانه فيه ، وتفوقه في بعض أغراضه ، أو في أسلوبه ، من استخدامه للبديع أو التشبيه .

أما وصفه الذي برع فيه ؛ فأصبح بين شعراء الوصف المجيدين في العربية ، فقد خاض في هذا الأمر منذ عصر ابن المعتز شاعر آخر ، معاصر له كان يوم أن وُلد ابن المعتز في السادسة والعشرين من عمره - تقريباً وهو ابن الرومي (٢٢١ - ٣٨٤ هـ) فقد أورد ابن رشيقي في كتابه (العمدة)^(٢) ، وفي باب المعاني المستحدثة قوله :

« يُحكى عن ابن الرومي : أن لائماً لامه ، فقال : لِمَ لا تشبّه تشبيه ابن المعتز ، وأنت أشعر منه ؟ قال (أي ابن الرومي للأئمة) : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله . فأنشده في صفة الهلال :

فانظر إليه كزورق من فضةٍ قد أنقلتهُ حمولةً من عَنبرٍ

فقال : زدني ، فأنشده :

كَأَن آذْرِيُونَهُ _____ وَالشَّمْسُ فِيهِ كَالْيُونَةِ

مَدَاهُ _____ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةِ

(١) كتاب العمدة ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(٢) الجزء الثاني ، ص ٢٣٦ : ٢٣٧ .

وانظر القضية في كتاب الموازنة بين الشعراء . للدكتور زكي مبارك ص ٢٦ - ٢٧ .

فصاح (ابن الرومي) : واغوثاه ، يا لله ، لا يكلفُ الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف
مَاعُونَ بيته ، لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظروا إذا وصفتُ ما أعرف أين يقع
الناس كُلهم مني ؟ هل قال أحد قط أملك من قولي في قوس الغمام :

وقد نَشَرَتْ أيدي السحابِ مَطَارِفاً على الأرض كفاً وهي تُخضِرُ على الأرض
يَطْرُزُها قوسُ الغمام بأصفر على أحمر في أخضر وَسَطَ مُبَيَّضُ
كأذيالِ خَوْذِ أَقْبَلَتْ في غلائل مُصَبَّغَةَ والبعضُ أقصرُ من بعض
وقولي في قصيدة في الرفاقة :

ما أنسى لا أنسى خَبَازاً مررت به يَدْحُو الرفاقة وَشَكَ اللّمْح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كُرَّة وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلا بمقننار ما تُنَدِّح دائرة في صفحة الماء يُرْمِي فيه بالحجر
ويعلق ابن رشيقي على ذلك بقوله :

« وهذا كلام إن صح عن ابن الرومي ، فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك ، لأن جميع ما
أراه ابن المعتز أبوه ، وجده في ديارهم — كما ذكر أن ذلك علة الإجابة وعذره — فقد رآه ابن
الرومي هنالك أيضاً ، اللهم إلا أن يريد أن ابن المعتز مَلِكٌ قد شغل نفسه بالتشبيه ، فهو ينظر
ماعون بيته وأثائه ، فيشبهه به ما أراد ، وأنا (والكلام لابن الرومي) مشغول بالتصرف في الشعر
طالباً به الرزق ؛ أمدحُ هذا مرة ، وأهجو هذا كرة ، وأعاتبُ هذا تارة ، وأستعطفُ هذا طوراً ،
ولا يمكن أن يقع أيضاً عندي تحت هذا ، وفي شعره أيضاً من مליح التشبيه ما دونه النهايات التي
لا تُبلغ ، وإن لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز « انتهى ^(١) .

وإذا كان (ابن رشيقي) قد أورد هذا الخبر ، ولم يقبل بعله ابن الرومي في تقصيره في
التشبيه عن ابن المعتز الذي غلب عليه ، فهناك من أورده وقد لقي عنده الاستحسان والقبول .

* * *

الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين

من شعر الوصف عند ابن المعتز

الفصل الثاني

موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين من شعر الوصف عند ابن المعتز

ومن الذين أوردوا خبر ابن الرومي مع لائمة مع قبولهم واستحسانهم له من الدارسين المعاصرين الأستاذ عباس محمود العقاد والدكتور شوقي ضيف . فيعلق الأستاذ العقاد على القصة بعد أن ذكر طرفاً منها ، فيقول :

وقد تصح هذه القصة ، أو لا تصح ، ولكنها على الحالتين تدل على رأي شائع في التشبيه بين الذين كانوا يتعاطون الأدب في عصر ابن الرومي ، وبين الذين يتعاطونه في هذه الأيام . فلا بين المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ من هذه التي مرّت في القصة ، وأجمل وأنقى في المعنى والديباجة ، ولكنهم لا يختارون له في مقام التحدي والتعجيز إلا هذه الأبيات وأمثالها ، لظنهم أن نفاسة التشبيه إنما تُقاس بنفاسة المشبه به ، وإن الغرض من التشبيه إنما هو مضاهاة أبيض على أبيض ، وأصفر على أصفر ، ومستدير على مستدير ومستطيل على مستطيل ، مما يُرى بالعين ، ولا فضل فيه للشعور ...

فالشاعر الذي يصف النجوم ، ويشبهها بالجواهر، والحلي هو الشاعر غير مدافع ، وهو المثل الأعلى في هذه الصناعة ... ثم يليه الشعراء على حسب الأشعار في سوق المشبهات ! وقصارى ما يطلبه الشاعر من التشبيه أن يثبت لك أنه رأى شيئين من لون واحد وشكل واحد ، كأنك في حاجة إلى مثل ذلك الإثبات الذي لا طائل تحته ، فأما أنه أحسن وتخيّل وصوّر إحساسه ، وتخيّله باللفظ المبين والخواطر الذهنية الواضحة ، فليس ذلك من شأنه ، ولا هو مما يدخل عنده في باب البلاغة والشاعرية .

وهذا خطأ بعيد في فهم الوصف والشعر يخرج بهما عن القدرة النفسية إلى القدرة الآلية التي تحكي المناظر الظاهرة كما تحكيها المصورة الشمسية . فالمسافة عظيمة جداً بين شاعر يصف لك ما رآه كما قد تراه المرآة أو المصورة الشمسية ، وشاعر يصف لك ما رآه وشعر به وتخيله وأجاله في روعة وجعله جزءاً من حياته ، وليس يعنيك أن يكون الشاعر صحيح العين مطلعاً على المراتب المتشابهة ليتصل ما بينك وبينه ، ويقرب وجدانك من وجدانه ، ولكننا يعنيك منه أن يكون إنساناً « حياً » يشعر بالدنيا ويزيد حظك من الشعور بها ، وتلك هي مزية ابن الرومي في وصفه وتشبيهه ، ومزيتة في شعره كله من أوائل شبابه إلى اليوم البذي مات فيه « انتهى »^(١) .

والمبالغة واضحة في كلام الأستاذ العقاد ، والتعصب لشاعره ابن الرومي الذي عُني بالحديث عنه كثيراً ظاهر وبارز ، فيمكنه أن يُبرز في شعر ابن الرومي ما يُبرز من مظاهر القوة في الوصف ، دون أن يحطّ من مرتبة غيره من شعراء الوصف .

وابن المعتز شاعر شهد له بالتفوق والسبق في الوصف والتشبيه عمالقة الفكر والفن ، قديماً وحديثاً . وأولهم ابن رشيقي القيرواني .

وقد يظفر العقاد بناذج قليلة على النمط التصويري الذي ذكره — من المادية وخلو التشبيهات من الاحساس بها — ولكنها قلة لا تميز له إطلاق الحكم عامة على صور ابن المعتز ، وتشبيهاته .

وفي معرض حديثه عن التأثير والتأثير بين كل منهما (ابن الرومي ، وابن المعتز) لخص رأيه في ابن المعتز فقال : « ... لأن ابن المعتز إنما امتاز بين شعراء بغداد في عصره بمزاياه الثلاثة وهي : البديع ، والتوشيح ، والتشبيه بالتحف والنفائس »^(٢) .

(١) عباس محمود العقاد ، كتاب ابن الرومي حياته من شعره . الطبعة السابعة ، ١٩٦٨ م . الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ص ٣١٦ — ٣١٧ .

(٢) الأستاذ عباس محمود العقاد ، كتاب ابن الرومي ، حياته في شعره ، ص ٢٥٨ .

وأوردُ هنا رداً مناسباً على رأي كل من ابن الرومي والعتاد ، يعقّب به الدكتور/محمد بديع شريف على القصة نفسها . يقول :

« ... فإذا صحت هذه الرواية التي لا تخلو من افتعال ، فإنما هي من قِبَل الذين يميلون إلى شعر ابن الرومي ، وكأنهم يقولون : إن خيال ابن المعتز لا يعدوا ما تقع عليه عينه في بيته ، وهو رأي كله وهم . فابن المعتز وصّاف غير مدافع ، يصف الحقائق والمروج ، والطبيعة ، ينفذ في دقائق أسرارها . ويصف النوق العراب ، والخيل المسومة ، والطيور ، وغرائب الحيوانات ، ومواهب الإنسان في الشجاعة والكرم والخلق الرقيق^(١) ، ويصف الحروب، وقراع السيوف .

... وفي كل هذا اقتعد ابن المعتز مكانة عالية بين فحول الشعراء . وقد منح اللغة العربية في هذا الوصف ، ثروة عظيمة في تصوير المعاني .

فإذا استطاع أن يصف ماعون بيته ، فيستغيث ابن الرومي من هذا الوصف الجميل ، فإن ابن المعتز وصف جرد داره ، وبقها وبراعيتها^(٢)»

ثم أورد الدكتور/محمد بديع شريف نماذج جيدة للوصف عند ابن المعتز في وصفه للجرذ ، والبق والبراغيث ، ثم وصفه للديك واقفاً على الجدار ...

ومن جيد ما ذكر له في هذا الرد ، وصفه لـ « سرّ من رأى » حين عادتْ خربه فقال :

«ماتت كما مات فيــــل تُسَلُّ منه العِظــــام

فهذا خيال غير منتزع من الواقع ، بعيد التفكير ، عميق في الوصف ؛ فماذا يبقى من الفيل إذا سلّت عظامه؟؟ هكذا هي « سرّ من رأى »^(٣).

(١) وردت هكذا في المرجع واعتقد أنه خطأ مطبعي والصحيح رفيع .

(٢) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج ١ ، ص ١٩١ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

وكذلك ذكر تصويره للفجر يدفع الظلام ، ويعلق الدكتور شريف علي الصور التي رسمها ابن المعتز بأنها « لم تكن بين جدران قصر أبيه ، أو في قصور الخلفاء الذين نشأ في ظلهم . إنها في مهمة قفر ، فيه المها ، والظباء ، والعين والنعام »^(١).

وللدكتور/ شوقي ضيف رأي في تشبيهات ابن المعتز ، وصوره يبرزها في كتابه : الفن ومذاهبه . فهو — في رأيه — شاعر مبدع ، أحسن في الوصف ، وأجاد في التشبيه ، عمقيرة فنية ، تندر عند غيره من شعراء الوصف ، بل هو فنان بارع ، أتقن التصوير ، والتلوين . يقول :

« يُكثِرُ (ابن المعتز) من أوضاع هذه الصور والتشبيهات في شعره ، ويفرط فيها إفراطاً شديداً ، حتى لتظهر في قصائده على هيئة صفوف متلاحقة ، ففي كل جانب منها صورة أو تشبيه ، وهي صور وتشبيهات مايزال ابن المعتز ، يحاول أن يُحدث بها طرافة في شعره ، فهي كل ما يقدمه للفن من زينة وجمال ... فقد انحاز إلى التشبيه ، وذهب يطرز به قصائده ، ويوشئ به أبياته ، وأظهر في ذلك براعة لم تُنح لشاعر من قبله . وهل هناك أبرع من هذا التشبيه ، إذ يقول :

رِيمٌ يَتِيهُ بِحُسْنِ صَوْرَتِهِ عَبَثَ الْفَوَادُ بِلِحَظِ مُقَلَّتِهِ
وَكأنَّ عَقْرَبَ صُدْغِهِ وَقَفَتْ لَمَّا دَنَتْ مِنْ نَارٍ وَجَنَّتِ بِهِ

فهذه صلازة رائعة روعة شديدة ؛ لما أشاعه فيها من جمال وبعث من نار هي نار الوجدات ، أو هي نار الفن ، وما أشبهها بهذه القطع من الشمس التي كان يلقيها الساق في أقذاح جماعته ، إذ يقول :

وَكأنَّ كَفَيَّهِ تَقَسَّمُ فِي أَقْذاحِنَا قَطْعاً مِنَ الشَّمْسِ

(١) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج ١ ، ص ١٩١ - ١٩٢

كان ابن المعتز بارعاً في صنْع الصور والتشبيهاً ، وهي براعة نرى آثارها في كل مكان من ديوانه ، ومن الصعب أن نجعلها في حيز محدود من صحيفة أو صحف . ومع ذلك فمن المحقق : أنه كلما جمع ناقد منها طائفة خرجت إليه أصباغ تحكي أصباغ الطيف للون واحد ولكنه لون معقد يعقده ابن المعتز ، ويستخرج منه أوضاعاً متضاربة ، يشيع فيها النور والجمال والحياة . انظر إلى قوله :

وزوبعية من نبات الرياح تُريك على الأرض شيئاً عجيب
تضمُّ الطريد إلى نُحرها كضمُّ الحبيبة من لا يجب

أرأيت إلى هذه الصورة ؟ إنها صورة خيالية رائعة ، لا بد لها من خيال فنان حتى يعرضها على أنظارنا ، فإذا هي العناق القريب .

وانظر إلى قوله :

ودنا إلى الفرقدان كما دنت زرقاء تنظر في نقاب أسود

فإنك ترى ابن المعتز يعرف كيف يُطرف قارئه بالصور الغريبة وإنها لصور نادرة . وهي ليست صوراً جامدة من تلك التي تواضع عليها الشعراء ، وأصبحت متحجرة في اللغة ، إذ فقدت نُضرتها وبهجتها ، بل هي حية نضرة ، وكأنما نُقِشت رسومها بالأمس ؛ نقشها شاعر كان حياً يبعث الحياة والحركة في صورهِ حتى ليحس من يقرأ في ديوانه كأنه يعيش في دار من دور الصور المتحركة ، فما يزال يرى مناظر وأشكالاً من شخوص ووجوه . وجوه مستعارة ، ولكنها تعبر عن روعة الفن بأجمل مما تعبر عنه الوجوه الحقيقية ... »^(١) .

نخرج من ذلك بنتيجة واحدة هي : أن الدكتور (ضيف) قد وضع يديه فعلاً على جانب الإبداع في وصف ابن المعتز للطبيعة برياضها وبساتينها وزهرها . والصيد بحيواناته ، من كلاب

(١) ديوان أشعار الأمير أبي العباس ، ج ١ ، ص ٢٧٠ - ٢٧٤ .

وخيول ، وفي الغزل . وأتى بناذج جيدة ، ردّ بها على رأيه القائل بأن تصويره مادي حسي . وأنه لا يتعمق الأشياء ، في ترجمته له بين أعلام شعراء العصر العباسي ، وفي معرض حديثه عن قصة ابن الرومي مع لائمة^(١) .

وفي هذا المجال حظينا برأي جيد للدكتور/مصطفى الشكعة حيث يرى ابن المعتز فناناً مطبوعاً في فنّه ، بعيداً عن التكلف ، ذا وصف رائق صافٍ ، وليس لغيره مثله ، استمع إليه وهو يقول :

« شعر الوصف والطبيعة هو الميدان الواسع الرحب الذي ملّك ابن المعتز ناصيته ، ووقف فيه وقفة الفارس المجلي الذي لا ينازله أو يطاوله فيه شاعرٌ آخر ، وبمعنى آخر كانت الطبيعة بالنسبة إليه محراباً ، يتبتل فيه ويتعبّد في رحابه . ومن ثمّ فقد أنشأ ابن المعتز شعراً رائعاً في وصف البساتين ، والرياحين والأزهار ، والأثمار والسحاب ، والمطر والجداول والبرك ، والسماء والكواكب ، والنجوم والقمر هلالاً وبدراً ، وجاء بالتشبيهات الفريدة التي عُرف بها دون سائر الشعراء ، تلك التشبيهات التي كان لها طعم ومذاق وأحياناً سحر وأرج لم يهبأ لشاعر آخر أن ينهض بمثلها ...

...ولقد أغرم ابن المعتز على كل حال بالوصف بصفة عامة وبوصف الطبيعة بصفة خاصة ، وقتن الناس معه لأنه مطبوع في فنّه بعيد عن التكلف والافتعال، مع عناية بالمعاني المترفة التي تلائم حياته وبيئته»^(٢) .

ويدلل الدكتور الشكعة على قدرة الشاعر الفريدة في الوصف ، وذلك في استخدامه بحر الرجز في وصف الطبيعة الذي يحتاج إلى الرقة ، والسلاسة والعدوئية ، مع أن المعروف عن الرجز أنه يجمع إلى خصائصه الخشونة ، والجزالة والإغراب . يقول :

(١) انظر الدكتور شوقي ضيف ، في كتابه العصر العباسي الثاني ، ص ٣٣٣ .

(٢) كتاب الشِعْر والشُعْرَاء في العصر العباسي ، الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م ، الناشر دار العلم للملايين بيروت ،

« بلغت براعة ابن المعتز ونبوغه في التصوير ، وفتنته بالطبيعة المدى الذي جعله يصفها ويخلق في سماء زاهية من الفن الرفيع من خلال بحر الرجز ، وهو بحر عودنا الشغراء الجأء والحشونة والإغراب اللفظي فيه رغم أنه نشأ أصلاً للحداء . أما ابن المعتز فهو من خلال واحدة من أرجوزيته الطويلتين الرائعتين اللتين لم يتح لشاعر آخر أن يبلغ شأوه فيهما ، يصور جمال الطبيعة والبساتين »^(١).

ويتابع الدكتور/الشكعة حديثه عن ابن المعتز ، فيعتبره من رواد شعر الطبيعة ، وفي مقابلة شعراء مدرسة الصورة الشعرية ، فيقول :

« إن ابن المعتز يهيم بالطبيعة حباً ، ومعها تنبض مشاعره ، وأحاسيسه ، وترق شاعريته حين يصفها ، وقد ... وصفها مجملة في شكل بستانٍ أو حديقةٍ أو روضة ، غير أن الأهم من ذلك كله أنه يهيم بها مفصلة أيضاً بمعنى أنه يصف الأزهار وحدها والأثمار وحدها ، والميسان وحدها من برك وأنهار ، وسحاب وأمطار ، والسماء وحدها بما حوت من كواكب ونجوم وأهلة وأقمار ، وهو من خلال ذلك قد رسم أكثر من تقليد شعري ، وابتكر أكثر من صورة بكرة الأمر الذي جعله رائداً في شعر الطبيعة ورأس مدرسة الصورة الشعرية »^(٢)

وبعد أن عرض الدكتور مصطفى الشكعة نماذج جيدة من شعر ابن المعتز في الأغراض المختلفة ، ختم حديثه عنه بقوله :

« إن ابن المعتز هو فنان الشعر العربي وأستاذ الشعراء العرب في مجال التشبيه الرائق ، والصورة الأنيقة ، النابعة من طبيعة الفن الكامنة فيه ، وملكة الشعر والموسيقى التي خلقت معه ورافقتاه منذ أن كان فتى صغير السن ، غض الإهاب »^(٣)

(١) كتاب الشِعْر والشُعْرَاء في العَصْرِ القَبَائِي ص ٧٧٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٨٨٢ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٨٨ .

ويتناول الدكتور/سعد شلبي موضوع الصورة الخيالية عند ابن المعتز فيراه مجسداً للفن ، مرتفعاً بالواقع ، أو التعبير عنه ، بما يثير الدهشة والإعجاب فيقول :

« وقد شارك ابن المعتز في تحويل الوصف إلى صور فنية ، فما كان هم الشعراء في العصر العباسي همهم في العصر الجاهلي وبنى أمية من توضيح الوصف ، والكشف عن جوانب الموصوف — بل ذهبوا ينشدون الجمال ، ويرقون بالواقع ، ويجسدون الفن في لوحات تصويرية ، تبرز المشاعر وتعبّر عن الأحاسيس ، ويتجلى فيها براعة الشاعر في الارتقاء بالواقع ، أو التعبير عنه بما يدهش ، ويفتن » (١)

وللأستاذ نجيب البهتي رأي أيضاً لا يختلف عن سابقه في شعر ابن المعتز ، بمقارنته بغيره من عمالقة الشعر في عصره . فقد أتموا هيكله وبناءه ، فجاء فزخرفه : وزينه وجعله ملوناً بالذهب ، ومرصعاً باللؤلؤ والجوهر . يقول :

« لا يكاد ينتهي عهد أبي تمام والبحتري حتى يكون هيكل الشعر العربي الضخم قد تمّ بناؤه ، واستكمل صورته وأداته ، وامتدّ إلى العواطف والمشاعر ومظاهر الحياة ، فاستجمعها ، وطواها بين جدرانها الشاخنة الهائلة .

حتى إذا جاء ابن المعتز وجده تاماً ، ثابتاً قد شادته أجيال من العبقريات تمتد آجالها في كبد الزمن ، وتغيب في قلب الأبد العميق . فلم يجد ما يزيد عليه إلا بعض الخلى الأنيقة ، التي أتاحتها له نشأته الكريمة بين جدران القصور ، في ظلال النعمة والسؤدد .

وإننا لنجد عند ابن المعتز بحثاً دائماً عن الجمال ينشده ، ويتذوّقه ويصوّره تصوير الغني المترف . وإذا كان الشعراء الذين سبقوا ابن المعتز قد فرغوا من وضع هذا الهيكل الشاخص ، وتقسيم أقسامه وأفنائه ، ومدّ أروقته ، وأبهاهه ، وتجميله بالزخارف والتماثيل والصور ؛ فإن ابن المعتز قد موهه بالذهب ، ورضّعه بالدرر ، وأضاهه باللؤلؤ الوهاج » (٢) .

(١) انظر كتاب ابن المعتز العباسي صورة لعصره ، ص ١٨٥ .

(٢) كتاب تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٥١٠ — ٥١٧ .

ولبيان طريقة ابن المعتز في كتابه ، شعر الوصف ، واتجاهه فيه . يرى الأستاذ/نجيب الهبتي أنه شاعر تقليدي ، إلا أن لديه مرونة في المقدمات والموضوعات .
ثم لا يلبث أن ينتقل إلى الطبيعة ليصفها . يقول :

« وإنه ليسير في الشعر على النمط التقليدي ، على مرونة في اختيار موضوع الافتتاحية ، ولكنه لا يلبث أن يتعدى الاستهلال إلى الحديث عن السماء ونجومها ، والسحب وعودها ، أو البساتين والرياح وأزهارها وشذاها والمرآيات يحضرانه جميعاً ، ويقترنان في ذهنه اقتراناً عجيباً ، لا يكاد يحضره أحدهما حتى ينهض إليه الآخر . وهو يضرب مظاهر الكون الجامد ، بظواهره الحية فيعتلجان ويمتزجان ، ويتداخلان في لطف بالغ ، وذوق سليم ، لم تثبته شائبة من زهو مصنوع أو كبرياء مفتعل»^(١) .

ويختم حديثه عنه بقوله :

« إذا نحن فارقنا عصر أبي تمام والبحثري ، فقد فارقنا عصر التأثيرات العامة في الشعر ، أي التأثيرات التي لا تأتي الشعر من نفس صاحبه ، قدر ما تأتيه من عوامل فعالة من العصر ، واتجاه الجماعة ومجرى التاريخ بالأهم والأفراد .

فإذا جئنا إلى عصر ابن المعتز ، وقفنا على عصر التأثيرات الفردية وعلى نتاج العبقرية الخاصة ، التي تحل بالشعر أثراً لنفس صاحبها وتكوينه ونشأته وبيئته»^(٢) .

أما الدكتور/طه حسين فيرى أن ابن المعتز « يستطيع أن يظهر على ما في البساتين من جمال الرياض والبساتين تصويراً هو آية في الإبداع الفني . لا أظن أن أحداً قد استطاع أن يأتي بمثله في تشبيهاته واختراع المعاني البديعة التي تثيرها هذه الرياض»^(٣) .

(١) كتاب تاريخ الشعراء العرب حتى آخر القرن الثالث الهجري ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١٧ .

(٣) من حديث الشعر والنثر ص ١٦٤ .

وللدكتور مصطفى ناصف رأي طريف في شعر ابن المعتز وتشبيهاته حيث يذكر أن القاريء لشعر ابن المعتز لابد أن يُعجَب بتشبيهاته سواء أظهر هذا الإعجاب أم أخفاه . وأما دليل إعجاب النقاد بهذه التشبيهات مُحكوفهم عليها يتأملونها ، ويتخذون منهجه أساساً لفن التشبيه ، وهذا وحده يُغني عن الأخذ بما قاله المحدثون في شعر ابن المعتز وتشبيهاته . يقول :

« لا أشك في أن مادة التشبيه عند ابن المعتز لعبت بعقول كثيرين ممن استمعوا إليه ، ثم استحالت إلى التقدير المسرف للتشبيه ، وخيل النقاد المعجبون لأنفسهم أنهم إنما يزكون: التشبيه لذاته أو لعراقته ونقائه ، وما دروا أنهم يُخفون بين أنفسهم هذه المتعة الهائلة التي تجدها نفوس محرومة وغير محرومة حين تطوف مع ابن المعتز في قصور وهمية امتلأت ثراء وغنى وأدوات ناعمة تُمزج مزجاً غريباً لكي تزهد في الواقع أو تصور عنه بديلاً . ومن ثم عكفوا عليه يتأملون شعره ويتخذون من منهجه أساساً قوية لفن التشبيه ، وربما كانت هذه الأسس التي دَعَموها أقوى وأصدق ، وأنفذ مما قال المحدثون العصريون في وصف فن ابن المعتز وتشبيهاته » انتهى^(١) .

وبعد هذا العرض والبسط والمناقشة لآراء الأدباء والمؤرخين والنقاد عن ابن المعتز يتضح لنا : أن ابن المعتز شاعر وصف مبدع ، وصاحب موهبة فذة فريدة ، وهو رسّام بارع ، وشاعر ذكي فطن ، وهو شاعر وصف من الطراز الأول يملك قدرة وبراعة في إبراز الصورة بشكلها وهيئتها ، ويطبّعها بطابعه النفسي . وهو عالم بدقائق المعاني وخفاياها ، وهو صاحب منهج في التشبيه خاص به كما قال عنه الدكتور ناصف ، وكما لقبه الدكتور الشكعة بأنه من رواد شعر الطبيعة ، وأنه رأس مدرسة الصورة الشعرية في الشعر العربي العباسي ، وهو من رواد الوصف في أغراضه الثلاثة الطبيعية والخمر والصيد .



(١) الضورة الأدبية ص ٤٨ .

السلامة

الخاتمة

وبعد رحلة طويلة رافقت فيها عبد الله بن المعتز العبّاسي وشعره في الطبيعة والخمر والصيد ، وبعد أن أدمت النظر زماً في شعره ، واخترت نماذج لعرضها في دراستي للوصف عنده . ومن خلال ذلك كله وصلت إلى النتائج التالية :

١ — ابن المعتز شاعر تقليدي في موضوعاته ، وبعض معانيه ، سلك منهج سابقه ، وتأثر بهم . البحري في الطبيعة ووصفها ، وأبي نواس في الخمر وإمريء القيس في الصيد والطرْد .

ومع تأثره الواضح بهؤلاء العمالقة الثلاثة إلا أن شخصيته الشعرية برزت واضحة لترسم معالم خاصة بها تميزها ، وتعتد له الريادة في مجال الوصف ، ويصبح مع أساتذته الأوائل في فن الوصف كما يشهد له بذلك ابن رشيق القيرواني .

٢ — ابن المعتز في المرتبة الرابعة من شعراء الخمر عند ابن رشيق القيرواني ، وإنه مع أبي نواس في الصيد والطرْد .

٣ — الشاعر في أغراض الوصف عامة ابن الطبيعة يتحدث بها وعنّها ، تعلق بها وأعجب بجمالها ، واستطاع أن يصورها ، وعرف بوصفها الهلال ، النجوم . النارج ، القش ، النور ، والأزهار .

٤ — ابن المعتز شاعر عبّاسي في تحليه صفات الإنسان وتخصائمه على صورته في شعر الطبيعة والخمر والصيد وهو ما يسمى بالتشخيص وهو اتجاه ظهر عند أبي تمام والبحري ، وابن الرّومي ، واتسع عند ابن المعتز .

٥ — يتفوق ابن المعتز في مجال الصورة . وهو العالم البلاغي والناقد الفذ يتناول الظاهرة ، يُلح عليها حين يُظهرها أمام خيالك وإحساسك وخبرائك فيعمقها بطرقٍ فنيةٍ عدة ، ويربط بين مظاهر الطبيعة بصلات وثيقة بعضها مادي والآخر نفسي ، وقد تحظى منه الصورة بعناية فكرية ونفسية وتأملية فيمنحها قيمة فنية عالية .

٦ — استقى ابن المعتز مادة الصورة من مصادر مختلفة ، من الإنسان وخصائصه ، ومن الطبيعة بنوعها ثم من معين الخبرات المختلفة فالحرَب تُثري خياله والشعائر الدينية يستمد منها بعض الصور .

٧ — في مجال الخمر جدد ابن المعتز في مُزدوجته في دَم الصبوح ، ويرى الدكتور طه حسين أن ابن المعتز مُنفرد في هذه الأرجوزة في اختراع المعاني البديعة وفي تصوير الرياض .
والشاعر في هذه الأرجوزة يُحلل نفس الساقى والشاربين .

٨ — قد يلتقي الدارس لشعر ابن المعتز في الخمر بنجد من المشاعر النفسية الإنسانية في الصورة ، وإن لم يكن ذلك من خصائصها أصلاً كقوله :

فلما رآها الليل حثَّ صَبَاحَهُ مخافةً صُبح في الدنانِ كمينِ

٩ — تناقض الشاعر في موقفه من الخمر ؛ فهو قد يبدو في مواضع مُجماً لها داعياً لِشربها ، وفي مواضع أُخرى يُنفر منها ، ويصورها بصور تدل على ذلك .

وقد ناقش هذه القضية الدكتور محمد بديع شريف ، وذكر رأيه في تحاتمة دراسته لابن المعتز في كتابه ديوان أشعار الأمير أبي العباس يقول : « لا يتناولها (أي الخمر) كما يروي التَّاريخ عنه ، وكان في انتهائه في بعض مطولاتها وفي كناياها يسئل نفسه كما تُسل الشعرة من العجين ، ويجعل شاربها في آخر القول يعتصم بالندم والتوبة » .

١٠ — ويصف ابن المعتز حيوان الصيد بمظهر حسن ، وخصائص طيبة فيعنى بشكله ، ويبرزه في أحسن صورة .

وقد يذكر الطيور بصفاتها دون ذكر أسمائها ، ويشبه أحياناً مظهراً ثابتاً في حيوان الصيد بصفة طارئة في وقت من أوقاته .

١١ — يشغل الشاعر أحياناً — بمقدمات الطواهر وبدائتها عما يليها ؛ فيصف كثيراً غرة الناقة . وظهور الهلال ، وإجتماع النجوم في أشكال مختلفة ، ورحيل الليل ، وقُعود الصبح .

١٢ — يكثر الشاعر من الجمع بين المتضادات في شعره تأثراً بمدرسة البديع في العصر العباسي ، وتظهر سمات البديع بعامة بغير تكلف في شعره .

١٣ — إخفاق الشاعر في اختيار الصفة المناسبة — أحياناً — فلا تخطى منه بحسن انتقاء ، ونخب جيدٍ لمناسبتها والدقة في تناولها .

١٤ — قد يميل الشاعر ابن المعتز في وصفه أحياناً إلى الجانب الحسي ، إلا أنه في كثير من شعر الوصف يثُ خطرات نفسه ، ويرسم ملامح لأحاسيسه الشاعرة .

وهذا بالطبع يجعلنا نتحفظ في إطلاق القول عليه بحسية التشبيه . بل قد عقد له بعض الكتاب والعلماء الريادة في مجال الصورة الشعرية .

وجعله البعض الآخر صاحب اتجاه مُتفردٍ في التشبيه ومنهج رسمه لنفسه لم يأت به غيره .

١٦— وشِعْر ابن المعتز في الوصف نماذج رائعة لبلاغة التشبيه تتصدر الشواهد في دروس البلاغة؛ يُستدل بها على مهارة الشاعر في استغلال الظواهر المشابهة والبعيدة.

١٧— ابن المعتز شاعر مشهور لا يُغفل ذكره ناقد ولا بلاغي إذا تناول موضوعاً عن الوصف أو التشبيه، أو قضية من قضايا النقد والبلاغة في عصره، أو موضوعاً يتعلق بالبدیع

ومما يدلنا على مكانته تلك الصّحة التي أحدثها قول مُعاصِره ابن الرومي، بأنه يصف ماعون بيته. وكيف ردّ عليها معظم العلماء والكتّاب والنقاد. وأصبحت تلك القضية تشغل صفحات من كتبهم، وأدلى كل منهم بدلوه فيها، مما يدلنا على مكانته، وقدرته على التأثير في النفوس بخياله المبدع. فأصبحت المكتبة العربية تضم عدداً من الآراء حول هذا الشاعر وشعره في الوصف أو تشبيهاته الفريدة، يستضيء بها المدارس لشعره، والباحث عن مكانته بين غيره.

وبعد فإنني أرجو من الله العليّ القدير أن يخالف دراستي هذه التوفيق والسداد. وأن ينفّع بها طلاب العلم، والباحثين في هذا المجال وأن تكون دراستي هذه باباً يدخل منه بحث جديد، أو فكر يتبع أو يُنقب عن معالم جديدة في الأدب أو الفن أو الحياة.



مصادر البحث ومراجعته

المصادر والمراجع

أولاً - القرآن الكريم .

ثانياً -

- ١ - ابن رشيقي ، ونقد الشعر (دراسة تحليلية نقدية تاريخية مقارنة) . بقلم دكتور عبد الرؤوف مخلوف ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٧٣ م ، الناشر : وكالة المطبوعات ، الكويت .
- ٢ - ابن الرومي (حياته من شعره) . تأليف : عباس محمود العقاد ، الطبعة السابعة ، عام ١٩٦٨ م . الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان .
- ٣ - ابن المعتز (وراثته في الأدب والنقد والبيان) . تأليف : محمد عبد المنعم خفاجي . الطبعة الأولى عام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م . الناشر : مكتبة الحسين التجارية لصاحبها : محمود توفيق .
- ٤ - ابن المعتز العباسي . تأليف الدكتور أحمد كمال زكي ، أعلام العرب (٣٦) عام ١٩٦٤ م . الناشر : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر . الدار المصرية للتأليف والترجمة .
- ٥ - ابن المعتز العباسي (صورة لعصره) . تأليف الدكتور سعد اسماعيل شلبي عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، الناشر : دار الفكر العربي .
- ٦ - أبو نواس (الحسن بن هانيء) . تأليف عباس محمود العقاد . عام ١٩٨٠ م ، الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة - القاهرة .
- ٧ - أبو نواس (في شعره الخمري) . تأليف : جورج عبدو معتوق ، الطبعة الثانية عام ١٩٨١ م . الناشر : دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ٨ - اتجاهات الشعر العربي (في القرن الثاني الهجري) . مكتبة الدراسات الأدبية (٢٩) . تأليف الدكتور محمد مصطفى هدارة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . الناشر : دار المعارف .
- ٩ - أخبار الشعراء المحدثين من كتاب الأوراق . تأليف : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥) ، عنى بنشره : ج . هيورث . دن . الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م . الناشر : دار المسيرة - بيروت .

- ١٠ — أساس البلاغة . تأليف الإمام العلامة : جبار الله أبي القاسم محمود بن عمر الذمخشري عام ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م . الناشر : دار صادر — بيروت .
- ١١ — أشعار أولاد الخلفاء (وأخبارهم) من كتاب الأوراق . تأليف : أبي بكر محمد بن يحيى الصولي . عنى بنشره : ج . هيورث . دن . الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ — ١٩٨٢ م . الناشر : دار المسيرة — بيروت .
- ١٢ — الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف : خير الدين الزركلي . الطبعة الخامسة ١٩٨٠ م . الناشر دار العلم للملايين .
- ١٣ — البداية والنهاية . تأليف : أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، دقق أصوله وحققه : دكتور أحمد أبو ملحم ، دكتور علي نجيب عطوي ، الأستاذ فؤاد السيد ، الأستاذ مهدي ناصر الدين ، الأستاذ علي عبد الساتر . الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ — ١٩٨٥ م ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان .
- ١٤ — الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) . تأليف : حنا الفاخوري . الطبعة الأولى ١٩٨٦ م . الناشر : دار الجيل — بيروت — لبنان .
- ١٥ — بعية الوعاة (في طبقات اللغويين والنحاة) تأليف : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثانية عام ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م . الناشر : دار الفكر .
- ١٦ — تاريخ آداب العرب . تأليف : مصطفى صادق الرافعي . الطبعة الثانية : ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م . الناشر : دار الكتاب العربي — بيروت — لبنان .
- ١٧ — تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) . تأليف : عمر فروخ . الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ م ، الناشر : دار العلم للملايين .
- ١٨ — تاريخ الأدب العربي . تأليف : كارل بروكلمان . الطبعة الرابعة ١٩٥٩ م . الناشر : دار المعارف .

- ١٩— تاريخ بغداد (أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣ هـ) . تأليف : الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ولم يذكر الطبعة ولا تاريخها .
الناشر : المكتبة السلفية .
- ٢٠— تاريخ الخلفاء . تصنيف : الحافظ جلال الدين السيوطي . لم تذكر الطبعة ولا تاريخها .
الناشر : دار الفكر — بيروت .
- ٢١— تاريخ الشعر العربي (حتى آخر القرن الثالث الهجري) تأليف : نجيب محمد البهيتي .
عام ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م . الناشر : دار الثقافة ، الدار البيضاء (المغرب) .
- ٢٢— جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) . تأليف : السيد المرحوم أحمد الهاشمي .
الطبعة الثانية عشرة . الناشر : دار إحياء التراث العربي — بيروت — لبنان .
- ٢٣— حلبة الكميت (في الأدب والنوادر المتعلقة بالخمريات) تأليف : الإمام شمس الدين محمد بن الحسن النواجي (ت ٨٥٩) . نسخة مصورة من مكتبة دار العلوم بجامعة القاهرة .
- ٢٤— دائرة المعارف الإسلامية . أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم ، ويشرف على تحريرها الاتحاد الدولي للمجامع العلمية . النسخة العربية إعداد وتحرير : إبراهيم زكي خورشيد ، أحمد الشنتناوي ، د. عبد الحميد يونس . الطبعة الأولى ١٩٣٣ م . الناشر : دار الشعب — القاهرة .
- ٢٥— ديوان ابن المعتز . لم يذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر — بيروت .
- ٢٦— ديوان ابن المعتز . شرح وتقديم : ميشيل نعمان . عام ١٩٦٩ م . الناشر : الشركة اللبنانية للكتاب — بيروت — لبنان ، توزيع : دار صعب .
- ٢٧— ديوان أبي نواس . عام ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م . الناشر : دار بيروت للطباعة والنشر — بيروت .
- ٢٨— ديوان أشعار الأمير أبي العباس (عبد الله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي) ذخائر العرب (٥٤) . دراسة وتحقيق : الدكتور محمد بديع شريف . لم تذكر الطبعة وتاريخها .
الناشر : دار المعارف .

- ٢٩ — ديوان امرىء القيس . لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر — بيروت .
- ٣٠ — ديوان البحتري . لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار صادر — بيروت .
- ٣١ — ديوان الحماسة (وهو ما اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب) . شرح العلامة التبريزي . لم تذكر الطبعة و تاريخها . الناشر : دار القلم — بيروت — لبنان .
- ٣٢ — زهر الآداب وثمر الألباب . تأليف : أبي اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني . عارضة بمخطوطات القاهرة وحققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه على محمد الجاوي . الطبعة الثانية ١٩٦٩م . الناشر : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الباني الحلبي وشركاه .
- ٣٣ — الرجز (نشأته ، أشهر شعرائه) . تأليف : جمال نجم العبيدي . الرسالة التي حصل بها المؤلف على شهادة الماجستير في الآداب من جامعة بغداد سنة ١٩٦٩م . « ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره » ، مطبعة الأديب البغدادي .
- ٣٤ — شعر ابن المعتز . صنعة أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، دراسة وتحقيق : الدكتور يونس أحمد السامرائي . سلسلة كتب التراث (٦٧) عام ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م ، وزارة الثقافة والفنون ، الجمهورية العراقية ، الناشر : دار الحرية للطباعة ببغداد .
- ٣٥ — الشعر الجاهلي (خصائصه وفنون) . تأليف : الدكتور يحيى الجبوري . الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م . الناشر : مؤسسة الرسالة .
- ٣٦ — الشعر والشعراء (طبقات) . تأليف : ابن قتيبة . الطبعة الأولى . قسطنطينية ١٢٨٢هـ . الناشر : عالم الكتب — بيروت .
- ٣٧ — الشعر والشعراء (في العصر العباسي) تأليف : الدكتور مصطفى الشكعة . الطبعة الخامسة عام ١٩٨٠م . الناشر : دار العلم للملايين .
- ٣٨ — شعر الطبيعة (في الأدب العربي) . تأليف : الدكتور سيد نوفل . مكتبة الدراسات الأدبية (٧٥) ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٨م . الناشر : دار المعارف .

- ٣٩ — شعر الطرد عند العرب (دراسة مسهبة لمختلف العصور القديمة) . تأليف : عبد القادر حسن أمين . عام ١٩٧٢ م . الناشر : مطبعة النعمان — النجف الأشرف . ساعدت جامعة بغداد على نشره .
- ٤٠ — الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) . تأليف : إسماعيل بن حماد الجوهري . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م . طبع على نفقة السيد حسن عباس الشرتلي .
- ٤١ — الصور الأدبية . تأليف : الدكتور مصطفى ناصف . الطبعة الثانية عام ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م . الناشر : دار الأندلس .
- ٤٢ — الصيد عند العرب (أدواته وطرقه — حيوانه الصائد والمصيد) . تأليف : الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا . الطبعة الثالثة ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م . الناشر : مؤسسة الرسالة — بيروت . دار النفائس بيروت .
- ٤٣ — طبقات الشعراء . ذخائر العرب (٢٠) تأليف : ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الطبعة الثالثة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م . الناشر : دار المعارف بمصر .
- ٤٤ — الطبيعة (في شعر العصر العباسي الأول) . تأليف : الدكتور أنور عليان أبو سويلم ، الطبعة الأولى عام ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م . الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر .
- ٤٥ — عبد الله بن المعتز العباسي (حياته وإنتاجه) . تأليف الدكتور : محمد عبد العزيز الكفراوي . الأدب والنقد (٩) عام ١٩٥٧ م . الناشر : مكتبة نهضة مصر بالقاهرة .
- ٤٦ — العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب المتنسي . تأليف : الشيخ ناصف اليازجي ، الطبعة الثانية ، ولم يذكر الناشر دار القلم ، بيروت لبنان .
- ٤٧ — العصر العباسي الأول . تاريخ الأدب العربي (٣) . تأليف : الدكتور شوقي ضيف . الطبعة السابعة عام ١٩٦٦ م . الناشر دار المعارف .
- ٤٨ — العصر العباسي الثاني . تاريخ الأدب العربي (٤) تأليف : الدكتور شوقي ضيف . الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م ، الناشر : دار المعارف .
- ٤٩ — العملة (في محاسن الشعر وآدابه ونقده) . تأليف : أبي علي الحسن بن رشيقي ، القيرواني ، الأزدي (ت ٤٥٦ هـ) . حققه وفصله : محمد عبد الحميد الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م . الناشر : دار الجليل — بيروت — لبنان .

- ٥٠— فن الوصف (وتطوره في الشعر العربي) . الفنون الأدبية عند العرب (١) . تأليف : إيليا الحاوي ، الطبعة الثالثة عام ١٩٨٠م ، الناشر : دار الكتاب اللبناني — بيروت .
- ٥١— الفن ومذاهبه (في الشعر العربي) . مكتبة الدراسات الأدبية (٢٠) . تأليف الدكتور شوقي ضيف . الطبعة السابعة عام ١٩٦٠م الناشر : دار المعارف بمصر .
- ٥٢— في الشعر العباسي (الرؤية والفن) . تأليف : الدكتور عز الدين إسماعيل ، الطبعة الثانية عام ١٩٨٠م . الناشر : دار المعارف .
- ٥٣— قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية (دراسة تطبيعية في شعر البحتري وابن المعتز) . تأليف : دكتور عبد الله عبد الفتاح التطاوي ، عام ١٩٨١م . الناشر : دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة .
- ٥٤— القاموس المحيط . تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . المؤسسة العربية للطباعة والنشر — بيروت — لبنان عام ١٣٧١هـ — ١٩٥٢م .
- ٥٥— الكامل في التاريخ . تأليف : أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف « بابن الأثير » الجزري الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠هـ) ، عام ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م . الناشر : دار الفكر — بيروت .
- ٥٦— كتاب الأغاني . تأليف : أبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) . عام ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م . مصور عن طبعة دار الكتب . الناشر : دار إحياء التراث العربي .
- ٥٧— كتاب أراجيز العرب . تأليف : محمد توفيق البكري . الطبعة الثانية ٣٤٦هـ . الناشر : محمد محمود حجاج الكتبي بالأزهر .
- ٥٨— كتاب البديع . تصنيف : عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ) . اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس : إغناطيوس كراتسفوفسكي (ت ١٩٥١م) . طبعة ثانية ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م . أعادت طبعه مكتبة المتنبّي ببغداد . لصاحبها قاسم محمد البرجب .
- ٥٩— كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) . تصنيف : أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ) . حققه وضبط نصه : الدكتور مفيد قميحة ، عام ١٣٢٠هـ — ١٩٧١م . الناشر : دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان .

- ٦٠- لسان العرب . تأليف : ابن منظور . حققها : عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هشام محمد الشاذلي ، سيد رمضان أحمد . طبعة جديدة منقحة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيبة بفهارس مفصلة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م . أعيد ترتيب هذه الطبعة على ترتيب الحروف الهجائية . الناشر : مؤسسة جمال للطباعة والنشر .
- ٦١- مرصد الإطلاع (على أسماء الأمكنة والبقاع) تأليف : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩ هـ) . تحقيق وتعليق علي محمد الجاوي . الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م . الناشر : دار المعرفة - بيروت - لبنان .
- ٦٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تصنيف الرحالة الكبير ، والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السمودي المتوفى في عام ٣٤٦ من الهجرة . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، الناشر دار الفكر ، ص ٢٩٣ .
- ٦٣- معجم البلدان . تأليف : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (تراث العرب ، عام ١٩٨٦ م . الناشر : دار صادر - بيروت
- ٦٤- المعجم الوسيط . قام بإخراج هذه الطبعة : الدكتور إبراهيم أنيس ، الدكتور عبد الحلیم منتصر ، عطية الصوالي ، محمد خلف الله أحمد . وأشرف على الطبع : حسن علي عطية ، ومحمد شوقي أمين . الطبعة الثانية . الناشر : دار إحياء التراث العربي .
- ٦٥- كرم حديث الشعر والنثر . تأليف : طه حسين . الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٣٦ م . الناشر : دار المعارف بمصر .
- ٦٦- الموازنة بين الشعراء (أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان) . تأليف : زكي مبارك . الطبعة الثانية ١٩٣٦ م . الناشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- ٦٧- الموشح (مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر) للمرزباني أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ، طبعة عام ١٩٦٥ م . الناشر : دار نهضة مصر .
- ٦٨- موسيقى الشعر . تأليف : الدكتور إبراهيم أنيس . الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م . الناشر : دار القلم للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ٦٩- الموسوعة العربية الميسرة . بإشراف : محمد شفيق غريبال . الطبعة الثانية ١٩٧٢ م . الناشر : دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

- ٧٠— النجوم في الشعر العربي القديم (حتى أواخر العصر الأموي) . تأليف : الدكتور يحيى عبد الأمير شامي . الطبعة الأولى عام ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م . الناشر : دار الآفاق الجديدة — بيروت .
- ٧١— زهرة الألباء ، في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار نهضة مصر للطبع والنشر — الفجالة — القاهرة .
- ٧٢— النقد الأدبي (ومدارسه الحديثة) . تأليف : ستانلي هايمن . ترجمة : الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم ، لم تذكر الطبعة وتاريخها . الناشر : دار الثقافة — بيروت — لبنان .
- ٧٣— وفيات الأعيان . (وأنباء أبناء الزمان) . تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ١٦٨١) . حققه : الدكتور إحسان عباس . عام ١٩٧٠ م . الناشر : دار صادر — بيروت .
- ٧٤— يوم وليلة (خلافة ابن المعتز) . تأليف : عبد العزيز سيد الأهل . عام ١٩٥١ م . الناشر : دار العلم للملايين — بيروت .



مکتوبیات البحت

محتويات البحث

الصفحة	الموضوع
أ - ٥	أولاً - المقدمة
٢٠ - ١	ثانياً - الباب الأول : الوصف
	الفصل الأول : تعريف الوصف وتطوره منذ العصر الجاهلي وإلى العصر
١٢ - ١	العباسي
٣٠ - ١٣	الفصل الثاني : أبواب الوصف عند ابن المعتز
١٦ - ١٣	١ - الطبيعة
٢٥ - ١٧	٢ - الخمر
٣٠ - ٢٦	٣ - الصيد
	ثالثاً - الباب الثاني : دراسة فنية نقدية للصورة في شعر الوصف عند ابن المعتز
١٣٩ - ٣١	بأغراضه الثلاث
٤٤ - ٣١	الفصل الأول : التعمق في الصورة
٦٩ - ٤٥	الفصل الثاني : العناية بتفاصيل الصورة
٨٨ - ٧٠	الفصل الثالث : التشخيص
١٠٤ - ٨٩	الفصل الرابع : الخيال التركيبي
١١٣ - ١٠٥	الفصل الخامس : تكثيف الصورة لموصوف واحد
١٢١ - ١١٤	الفصل السادس : الجانب النفسي في الصورة
١٣٥ - ١٢٢	الفصل السابع : دلالات حركية في الصورة
١٣٩ - ١٣٦	الفصل الثامن : ضعف التصوير

الصفحة

الموضوع

١٦٣ — ١٤٠	رابعاً — الباب الثالث : دراسة أسلوب الوصف في شعر ابن المعتز
١٤٨ — ١٤٠	الفصل الأول : لغته الشعرية
١٥٨ — ١٤٩	الفصل الثاني : الصياغة في شعره
١٦٣ — ١٥٩	الفصل الثالث : موسيقى شعر الوصف وأوزانه
	خامساً — الباب الرابع : موقف العلماء والنقاد والدارسين من شعر الوصف
١٧٧ — ١٦٤	عند عبد الله بن المعتز العباسي
١٦٧ — ١٦٤	الفصل الأول : موقف العلماء والنقاد القدامى من شعر ابن المعتز في الوصف
	الفصل الثاني : موقف العلماء والنقاد والدارسين المحدثين من شعر ابن المعتز
١٧٧ — ١٦٨	الوصف
١٨١ — ١٧٨	الخاتمة
١٩٠ — ١٨٢	المصادر والمراجع
١٩٢ — ١٩١	محتويات البحث

